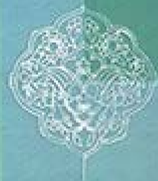
سلسلة رواد التقريب ٥



الامام موسى الصدر



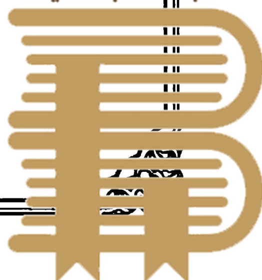
عبدالرحيم أباذري

الإمام موسى الصدر

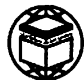
تأليف: عبدالرحيم أباذري

تعريب: محمّد پور صبّاغ

تحقيق واستدراك: محمّد جاسم الساعدي



سرشناسه : اباذري، عبدالرحيم.
عنوان قراردادی : امام موسی صدر: سروش وحدت. عربي
عنوان و پديدآور : الامام موسى الصدر ملهم الوحدة / تأليف: عبدالرحيم اباذري؛ تعريب محمد پورصباغ؛ تحقيق واستدراك محمد جاسم الساعدي
مشخصات نشر : تهران: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، المعاونية الثقافية، ۱۳۸۶.
مشخصات ظاهری : ۲۰۰ص.
شابک : 978-964-8889-92-5
وضعیت فهرست‌نویسی : فیپا.
یادداشت : کتابنامه: ص ۱۸۵ـ ۱۹۲؛ همچنین به صورت زیرنویس.
موضوع : صدر، موسی، ۱۳۰۷ ـ . سرگذشتنامه.
موضوع : اصلاح طلبان -- کشورهای اسلامی.
موضوع : اسلام -- تجدید حیات فکری.
موضوع : تقریب مذاهب .
شناسه افزوده : پورصباغ ، محمد، مترجم.
شناسه افزوده : ساعدی، محمد جاسم، محقق.
شناسه افزوده : مجمع جهانی تقریب مذاهب اسلامی. معاونت فرهنگی.
رده‌بندی کنگره : ۱۳۸۶ ۸۰۴۳ الف ۲الف/۶/BP ۲۳۳
رده‌بندی دیویی : ۲۹۷/۴۸.
شماره کتابشناسی ملی : ۱۰۳۱۴۶۳.



المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

اسم الكتاب: الامام موسى الصدر ملهم الوحدة
تأليف: عبدالرحيم أباذري
تعريب: محمد پورصباغ
تحقيق و استدراك: محمد جاسم الساعدي
الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية – المعاونية الثقافية
الطبعة: الاولى – ۱٤۲۸ هـ.ق ۲۰۰۷ م
الكمية: ۲۰۰۰ نسخه
السعر: ۱٤۰۰ تومان
المطبعة: نور
ردمك: ٩٧٨-٩٦٤ – ٨٨٨٩ – ٩٢– ٥ ISBN: 978-964 – 8889 – 92– 5
العنوان: الجمهورية الاسلامية في ايران _ طهران _ ص. ب: ٦٩٩٥ _ ١٥٨٧٥
للفكس: ١٤ – ٨٨٣٢١٤١١ – ٢١ – ٠٠٩٨

مقدّمة المجمع

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ليس من قبيل الصدفة عدم خفاء دور القادة المفكّرين وعظماء التاريخ العلمي والأدبي في إيجاد الحركات النهضوية والتحوّلات الفكرية والفلسفية الكثيرة في العالم، وما تعكسه من آثار متعدّدة الجوانب على مسيرة البشرية، وتطوّرها على كافّة الأصعدة؛ إذ في غالب الأحوال ثمّة ظروف تعين هؤلاء العظماء على المدّ في تحرّكهم ودفع عجلة نشاطاتهم بالاتّجاه الذي يرغبون فيه، يضاف إليه الأوضاع المعقّدة التي قد تدعو الناس إلى محاولة التغيير ولو بصورة معيّنة وعلى نطاق محدود.

فكلّ تلك العوامل تزيد من مدى طواعية الجماهير باتّجاه هذا القائد الفكري، وتحثّ من خطاه نحو إكمال مسيرته. هذا إذا أضفنا إلى مجموع ما مرّ شخصية القائد الجذّابة، والخصائص الفذّة التي يتمتّع بها.

من الصعب أن تشهد رجالاً من هذا الطراز قادوا «انقلابات» فكرية وثقافية في مجتمعاتهم مع وجود المال والناصر.

لكن أن تجد رجالاً قاموا بنهضات وحدوية بمفردهم، وجمعوا شتات أُممهم العريضة بهمّة عالية أثارت إعجاب الآخرين، فهذا هو الصعب والعسير المنال؛ لأنّهم لم يسندوا تحرّكاتهم على الرجال والأنصار، ولم يجلسوا على كنوز الذهب التي تترى علىٰ البعض من جهات مختلفة.

إنّ المصلحين العظام لم يقودوا حملاتهم النهضوية ضمن فئات محدودة أو جماعات قليلة ليدرجها المضطّلعون في خانة المساعي الهيّنة، بل كانت دعوات بعضهم تشمل أطراف الأُمّة الكبيرة التي يبلغ تعداد نفوسها أكثر من مليار نسمة! هذا إذا أضفنا إلى

ذلك الجماعات والجهات المخالفة التي لم تأن في استخدام كلّ ما لديها من الحيل لنزع فتيل حملتهم، واستحلال ساحتهم ولو بالتصفية الجسدية!

وهذا ما دعا التاريخ إلى حفظ أسماء هؤلاء الثلّة الرائعة بعدما رفعها عالياً، فكانت بمثابة شموس مضيئة أشرقت بنورها على الناس، الذين لم يألوا جهداً في تسجيل مواقفهم وإبراز احتراماتهم تجاههم.

إنّ وصول هؤلاء الرجال في ميدان الإصلاح الاجتماعي والتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى هذا المستوى من الرقي والعالمية إنّما كان مبنياً على استراتيجية ثابتة منتقاة من الفكر والثقافة القرآنية والأدب النبوي الشريف وتربية أهل بيت النبوّة الطاهرين والسيرة التي تابع الصحابة عليها بإحسان، ولم تكن حركة خبط عشواء، أو حاطب ليل، وأيضاً لم تكن على أُسس شخصية ومصلحية فردية أو أُسرية.

ففي الوقت الذي يجوب بعضهم العالم بأسره للقاء الزعماء السياسيّين ومسؤولي الدول، يطوف بعضهم الآخر البلدان والقرى، قاطعاً المسافات البعيدة من أجل بثّ فكرة التقريب ووحدة الصفّ، ومحاولة إقناع النخب من تمكين فكرة التقريب، والحوار الهادئ، واحترام الغير في نفوس مؤيّديهم.

ولعلّ من أبرز هؤلاء الطليمة التي ترجمها المجمع بعنوان «روّاد التقريب»، الذين بذلوا جهوداً جبّارة في هذا السبيل، وأبدوا كثيراً من النشاطات العلمية على مستوى الرسائل والكتب من أجل معالجة المتطلّبات الملحّة التي تحتاجها حركة التقريب بين أفراد الأُمّة الإسلاميّة.

وفي الوقت الذي نشكر فيه جهود الأُستاذ الفاضل الأخ محمّد الساعدي، وما أبداه من تعاون مثمر على صعيد تحقيق وتوثيق واستدراك هذا الكتاب، نقدّر جهود كلّ من ساهم في نشر وإعداد هذا السفر الجليل. والحمد لله ربّ العالمين.

المعاونيّة الثقافيّة للمجمع العالمي

للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

كلمة المحقّق

لا يخفى على المراقب الحصيف دور رجال التقريب وروّاده في نشـر وتـرويج الفكر الإصلاحي في الأوساط الثقافيّة والفكريّة الإسلاميّة وعلى أكثر من مستوى.

ولم يقف دورهم عند هذا الحدّ، بل تعدّاه إلى مستوى أكثر فاعلية، بعدما فتحوا الأبواب لدخول «الأفكار الأُخرى» وسلّطوا الأضواء على المباحث العلميّة الجادّة في سبيل رفعة الإسلام ورفرفة رايته الفضفاضة، بحيث يتسنّىٰ للأجـيال اللاحـقة مـتابعة الحقيقة بأبهى صورها.

إنّ هكذا رجال وأصحاب قلم وفكـر إصـلاحي وتـقريبي بـحاجة إلى بـرنامج للتعريف بهم لأجيالنا اللاحقة، والدفاع عن مبادئهم وشعاراتهم التي فدوا نفوسهم الزكية وأموالهم الطيّبة وأوقاتهم الشريفة من أجلها.

ولعلّها أمانة هي في رقاب كلّ المصلحين والتقريبيّين. وهذا بالضبط ما دعاني إلى تلبية دعوة المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة إلى تحقيق مجموعة «طلايه داران تقريب» (روّاد التقريب) وتهذيبها والاستدراك عليها.

وقد كان منهجي في التحقيق كما يلي:

١ ـ متابعة التعريب الذي تمّ على النصّ الفـارسي للكـتاب، والإشـراف عـلى الترجمة، وتهذيب بعض بنودها التي رأيتها مـناسبة أكـثر لمـوضوع الكـتاب، وسـبك العبارات بأُسلوب عصري حديث.

٢ ـ تقويم متنه، وتصحيح الأخطاء الواردة فيه، وإصلاح ما يلزم.

٣ ـ متابعة مراحل الطبع والمقابلة بكلّ تداعياتها.

٤ ـ ترجمة الأعلام الواردة أسماؤهم في المتن ليتسنّ للقارئ اللبيب الإحاطة بأخبارهم، والاطّلاع على أحوالهم وما قدّموه من آثار.

٥ ـ توثيق الموارد التاريخيّة واللغويّة والحديثيّة والسياسيّة وغيرها الواردة في الكتاب.

٦ ـ كتابة الاستدراكات التي تتعلّق بحياة وسيرة المترجم لهم والمراحل التي تتمحور حولها شخصياتهم، والتي لم يتسنّ للنصّ الفارسي الأصل استيفائها وإيرادها في هذا الكتاب، فلاح لي ضرورة الاهتمام بهذا الجانب الحيوي، ومتابعة المسألة بصورة جدّية في الهامش على أن لا تكون متجاوزة لحدود الكتاب، وبالتالي يمكن أن تساهم هذه الاستدراكات في زيادة اطّلاع القارئ على ملابسات حياة الشخصية المترجم لها. وقد رمزت للاستدراك بهذه العلامة (*).

هذا وأسأل المولى عزّ وجلّ التوفيق لخدمة التقريب بين مذاهب الأُمّة الإسلاميّة والإصلاح أكثر فأكثر. ولا يفوتني أن أُعرب عن شكري وتقديري للمجمع العالمي للتقريب، وأخصّ بالذكر سماحة حجّة الإسلام والمسلمين الشيخ علي أصغر الأوحدي (حفظه الله) على إتاحته الفرصة لي للمساهمة في إنجاز هذا العمل على أحسن ما يرام إن شاء الله، وآخر دعواهم أن الحمد لله ربّ العالمين.

محمّد الساعدي

٥/ذو الحجّة/١٤٢٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدّمة الطبعة الفارسيّة]

روّاد الحركات الفكريّة هم أُولئك الذين يملكون كفاءات فكريّة تتفوّق على الأُطر والآفاق الضيّقة المحيطة بهم. هؤلاء الروّاد يخوضون أحياناً غمار التحدّي في مواجهة الأجواء التاريخيّة والاجتماعيّة أو الرؤى والاعتقادات التي يعيشون بين ثناياها، ويجودون بروًى مغايرة ترسم منطلقات جديدة أمام أُفق العقل الاجتماعي السليم.

تكمن أهميّة مثل هؤلاء الأفراد في البعد المنهجي أكثر من أيّ شيء آخر، في ما يمثّلونه من تحدٍّ ذي حدّين؛ يعكس أحدهما -كما هو حال أيّ مفكّر آخر- حصيلة الأجواء التي يعيش في غمارها، وهو يجسّد بطبيعة الحال رمزها ومثالها، وأمّا الحدّ الآخر فهو ما يأتي على نحو مخالف لما يتّسم به المفكّرون المتجمّدو الفكر، أيّ: أنّه يرى بأنّ مسؤولياته الفكريّة تمتدّ إلى ما هو أبعد من الأوضاع الراهنة التي يعيشها المجتمع، بمعنى: أن يصوغ أحجاماً جديدة، ويرسم أضلاعاً مبتكرة. أمّا الذين يخلقون من بين إرهاصات هذين العاملين أفكاراً معتدلة، فهم الروّاد والطلائع الذين وإن كان عددهم على امتداد التاريخ قليلاً على الدوام، إلّا

أنّ لهم تأثيرات كيفيّة بالغة الأهميّة وفاعلة ومصيريّة.

ومن الطبيعي أنّ الريادة في الحركات الفكريّة تحظى بأهميّة أعظم عندما تجعل الميادين الاجتماعيّة حقلاً لها. فالعادات والتقاليد والرسوم ـ بالمعنى العامّ للكلمة وما تشمله من معاني التعصّب ـ من أقدم وأعرق مكوّنات الحياة البشريّة. ولا شكّ في أنّ المساس بالصيغ الموروثة التي تتطلّب تنقيتها طي مسار عقلاني واع، يستلزم التحلّي بالثبات والوعي الكفيل بمعرفة مدى التأثير والتجذير التاريخي لتلك العادات والتقاليد.

ومن الطبيعي أنّ مهمّة التقريب بين المذاهب تحتلّ موقع الصدارة في مثل هذه الحركات. وقد شهد هذا الميدان روّاداً وطلائع عظام، من أمثال: السيّد جمال الدين الأسد آبادي، وآية الله البروجردي، والشيخ محمود شلتوت، وغيرهم.

لقد تبدّل مفهوم التقريب في ضوء التأثير الذي تركه أمثال هذه الشخصيات، وتحوّل تدريجياً من مثلبة إلى منقبة حسنة وعمل يراد به وجه الله. ومن الواضح أنّ الإمام الخميني كان له دور مهمّ وأساسي في هذا المضمار؛ وذلك لأنّه ـ بعدما رسم أبعاد الثورة الإسلاميّة ـ منح التقريب بعداً آخر، وجعله ينطلق في آفاق أوسع من التأثيرات المحدودة والميادين السياسيّة والاجتماعيّة الضيّقة.

وانطلاقاً من كلّ ذلك دأب مركز البحوث في المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة ـ والذي يرى أنّ أهمّ واجباته نشر أدبيات بحوث التقريب وتبنّي الدراسات التطبيقيّة والعلميّة حول هذه المقولة ـ على تقديم نبذة في التعريف بهؤلاء الروّاد وأفكارهم السبّاقة، وما خلّفوه من تجارب، معتبراً كلّ ذلك بمثابة خطوات تمهيديّة على هذا السبيل.

ومن الواضح أنّ التعريف بروّاد التقريب يكتسب أهميته من اعتبار فكرة

التقريب تمثّل بحدّ ذاتها وفي نسيجها وتكوينها فكرة إصلاحيّة ودعوة إلى التغيير. وإذا كانت مثل هذه الحركات تروم إيقاء مسارها حيّاً وفاعلاً فلابدّ لها قبل أيّ شيء آخر من إعادة قراءة ملفّاتها الماضية، وعندئذٍ لن تفقد بريقها ورونق أدبياتها السالفة ومعطياتها الماضية، ولن يبقى عطائها ومنجزاتها ناقصاً خداجاً غير مكتمل، ولن يكتنفها الجمود.

إنّ للتقريب قدرة على استلهام المعطيات العلميّة الموروثة من الماضي، إلى جانب السعي إلى فتح آفاق وميادين جديدة على صعيد العلم والبحث، فإنّه يفعّل أدبياته الماضية من جهة، ويعمل من جهة أُخرى على توفير الأرضيّة العمليّة لتحقيق الغايات والأهداف والمثل النهائيّة التي يصبو إليها.

بينما لو تجاهل التقريب تراثه المشرق، وأهمل جهود كبار شخصيّاته في السنوات السالفة، تعويلاً منه على قدرة المعاصرين على حلّ جميع العقد المستعصية في فكرة التقريب، فلن تكون نتيجة عمله أكثر من تقديم توصيات متناثرة، لا يخلو بعضها من السطحيّة.

كُرّس الكتاب الذي بين أيديكم لإلقاء نظرة على حياة وسيرة **الإمام موسى الصدر** الذي يُعدّ في عداد الشخصيات الأصيلة المعدودة التي كان لها قصب السبق في ميدان التقريب.

تكفّل بإعداد هذا الكتاب الباحث الكريم سماحة حجّة الإسلام والمسلمين «عبد الرحيم أباذري»، بتوجيهات وإرشادات سماحة حجّة الإسلام والمسلمين «محمود مهدي پور»، وقد جرى إعداده في قسم البحوث التابع لمركز التقريب في قم.

ونحن إذ نعرب عن جزيل شكرنا للكاتب الكريم والمرشد المحترم، نقدّم

أسمى آيات الشكر لسماحة حجّة الاسلام والمسلمين السيّد «حسـن الربّـاني» عضو الهيئة العلميّة في مركز البحوث؛ لما بذله من جهود قيّمة ـ بصفته مشرفاً على هذا المشروع ـ في إخراج هذا البحث بأكمل صورة وأبهىٰ حلّة.

آملين أن يؤدّي توجّه الباحثين في الحوزة والجامعة بمزيد من الاهتمام نحو قضيّة التقريب، إلى تمهيد الأرضيّة لتدوين وتعريف أُطروحات من هذا القبيل على نحو أوسع وأشمل.

مركز البحوث
في
المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة

الفصل الأوّل:

السيرة الذاتيّة



الولادة والأُسرة

في الرابع من حزيران سنة ١٩٢٨ م، وفي مدينة قم أبصرت عينا الإمام موسىٰ الصدر النور.

وسمّاه والده المرحوم آية الله العظمىٰ السيّد صدر الدين صدر باسم: (موسىٰ)؛ تيمّناً باسم جدّه الأعلى الإمام موسىٰ الكاظم ﷺ، والذي تنحدر منه هذه الأُسرة العريقة.

وتعتبر أُسرة الصدر الطاهرة امتداداً لسلسلة عريقة، تتّصل عبر قرون متمادية بسلسلتين من الأُسر المعروفة: أُسرة (الصدر)، وأُسرة (شرف الدين). فأنجبت للمجتمع شخصيات كبيرة خدمت الدين والمجتمع بمواقفها العلميّة والسياسيّة في إيران والعراق ولبنان، ورجالها يعدّون رموزاً لمفاخر العلم والجهاد والهداية[1].

وها نحن هناك نذكر بعض أفذاذ هذه الأُسرة الجليلة:

١ ـ السيّد صالح شرف الدين (الجدّ الأوّل للإمام موسى الصدر).

من مفاخر العلم والجهاد، ولد سنة ١١٢٢ هـ في بلدة (شحور) من توابع مدينة (صور) في جنوب لبنان، وأقام فيها.

ولم يكتف بالدراسة والتعليم؛ بل تصدّر الثورة والجهاد ضدّ ظلم الوالي العثماني آنذاك أحمد الجزّار، الذي قاد حملته الشعواء في التقتيل والتنكيل بعلماء

---

(١) تكملة أمل الآمل: ٥٤.

الشيعة ووجهائهم، فوقف بوجهه متحدّياً، وحرّض الناس علىٰ الجهاد والمقاومة، فقامت أزلام الجزّار باغتيال ولده السيّد هبة الله الصدر، من أمام منزله، وعلىٰ مرأىٰ ومسمع من أبيه ومن أُسرته، ومن ثمّ قاموا باعتقاله، وحُبس في إحدىٰ زنزانات مدينة (عكّا) ما يزيد عن تسعة أشهر، إلىٰ أن تمكّن من الفرار إلىٰ العراق، حيث أقام في النجف الأشرف إلىٰ آخر أيّام حياته، وتوفّي عام ١١٩٨هـ[١].

٢ ـ السيّد صدر الدين الصدر.

للسيّد صالح ولد آخر هو السيّد صدر الدين الصدر المولود عام ١١٩٣ هـ، وكان يعدّ من العلماء المجتهدين البارزين في النجف آنذاك، وقد تزوّج من ابنة المجتهد الأكبر الشيخ كاشف الغطاء، ثمّ هاجر ـ بعد زواجه ـ إلىٰ مدينة أصفهان في إيران، وسكن هناك.

وأنجب السيّد صدر الدين خمسة علماء دين، كان أصغرهم المرحوم آية الله السيّد إسماعيل الصدر.

٣ ـ السيّد إسماعيل الصدر (الجدّ الأخير للإمام).

ولد سنة ١٢٥٨ هـ في أصفهان، وحرم من ظلّ والده وهو في الخامسة من عمره، فتكفّله أخوه السيّد محمّد الصدر المعروف بـ(المجتهد)، وتعلّم علىٰ يديه مقدّمات العلوم الإسلاميّة، كالصرف والنحو والمنطق والبيان.

وحُرم من فيض أخيه بعد ذلك وهو لم يناهز الرابعة عشر من عمره، حيث تُوفّي محمّد الصدر تاركاً مسؤوليّة تربيته وتعليمه بعهدة أحد أبرز الأساتذة

(١) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور جمران): ١٥.

والعلماء آنذاك، ألا وهو الشيخ محمّد باقر الأصفهاني[١].

ولم تفل تلك المصائب من عزيمة السيّد إسماعيل، حيث واصل دراسته بجدّ واجتهاد، حتّىٰ ذاع صيته العالم الإسلاميّ، وأضحىٰ رمزاً يُحتذىٰ به في العلم والتقوىٰ والاجتهاد.

هاجر إلىٰ مدينة الكاظمية المقدّسة، إلىٰ أن تُوفّي فيها عام ١٣٣٩هـ، بعد أن ترك خلفه أربعة أولاد، وهم: السيّد صدر الدين (والد السيّد موسىٰ)، والسيّد محمّد مهدي، والسيّد حيدر، والسيّد محمّد جواد الصدر. وقد عرفوا بالعلم والتقوىٰ والاجتهاد، فكانوا نجوماً ساطعة في سماء عائلة الصدر، كما تصدّوا للمرجعيّة الدينيّة في كلٍّ من النجف والكاظمية[٢].

٤ ـ السيّد صدر الدين الصدر (والد الإمام موسى الصدر).

ولد سنة ١٢٩٩ هـ في الكاظميّة، وتلقّىٰ مقدّمات العلوم الدينيّة علىٰ يد والده حتّىٰ أتقنها، وبعدها هاجر إلىٰ كربلاء المقدّسة، حيث تلقّىٰ السطوح علىٰ يد الشيخ حسن الكربلائي، ومن ثمّ وبتوصية من والده هاجر إلىٰ النجف الأشرف، وتلقّىٰ دروس البحث الخارج علىٰ يد: الآخوند الخراساني[٣]، والسيّد كاظم

---

(١) محمّد باقر بن محمّد تقي الأصفهاني: من مشاهير علماء عصره. ولد في أصفهان سنة ١٢٣٥ هـ، وسافر إلى النجف الأشرف لطلب العلم، ودرس عند: خاله الشيخ حسن مؤلّف أنوار الفقاهة، وصاحب الجواهر، والشيخ الأنصاري، ثمّ عاد إلى أصفهان، وتخرّج من مجلس درسه جماعة من الفقهاء الأعلام. له: شرح رسالة حجّية الظنّ، ولبّ الأصول، ولبّ الفقه. توفّي عام ١٣٠١ هـ في النجف. (الفوائد الرضوية: ٤٠٩ ـ ٤١٠، نجوم السماء ٢: ٢ ـ ٣، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٧٢).

(٢) أعيان الشيعة ٣: ٤٠٣.

(٣) محمّد كاظم بن حسين الهروي الخراساني الآخوند: أحد الأُصوليّين المعروفين. ولد في طوس سنة ١٢٥٥ هـ، وتتلمذ في الفقه على: الشيخ راضي النجفي، والشيخ الأنصاري، والميرزا محمّد حسن الشيرازي. ألّف: الكفاية، وكتاب الإجارة، وشرح التبصرة، وغيرها.

←

اليزدي[١]، فنال وسام الاجتهاد بكلّ فخر واستحقاق.

وقاد إبّان شبابه حركة دينيّة تجديديّة، وارتبط اسمه بالنهضة الأدبيّة في العراق.

هاجر إلىٰ إيران، وسكن مدينة مشهد المقدّسة بجوار مرقد الإمام الرضا عليه السلام، وتزوّج من السيدة (صفيّة) كريمة المرجع الكبير آية الله العظمىٰ الحاجّ السيّد حسين القمّي[٢].

ولم يستقرّ به المقام في مشهد الرضا عليه السلام؛ حيث هاجر إلى مدينة قم المقدّسة بدعوة من المرجع الكبير مؤسّس الحوزة العلميّة في قم الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي[٣]؛ ليكون معاونه وخليفته.

وبعد رحيل الشيخ الحائري تولّىٰ زعامة الشيعة إلىٰ جانب علمين آخرين،

← توفّي سنة ١٣٢٩ هـ. (معارف الرجال ٢: ٣٢٣ ـ ٣٢٥، أعيان الشيعة ٩: ٥ ـ ٦، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٥٦ ـ ٤٥٧).

(١) محمّد كاظم بن عبد العظيم الكسنوي الحسني الطباطبائي اليزدي: سيّد علماء الأُمّة. ولد في قرية كسنو اليزدية سنة ١٢٤٧ هـ. قرأ على: الشيخ محمّد باقر الأصفهاني، والشيخ مهدي الجعفري، والشيخ راضي الجعفري، والميرزا الشيرازي. من أشهر مؤلّفاته: العروة الوثقى، حاشية المكاسب، كتاب التعادل والتراجيح. ظهرت في أيّامه قضية المشروطة في إيران، فعارضها. توفّي في النجف الأشرف بداء الرئة وداء الجنب سنة ١٣٣٧ هـ. (الفوائد الرضوية: ٥٩٦ ـ ٥٩٨، ريحانة الأدب ٤: ٣٣٤ ـ ٣٣٥، معجم المؤلّفين ١١: ١٥٦).

(٢) ستأتي ترجمته عمّا قريب.

(٣) عبد الكريم بن محمّد جعفر المهرجردي اليزدي الحائري القمّي: فقيه جليل وعالم كبير. ولد في يزد سنة ١٢٧٦ هـ، وتوجّه نحو العراق لتحصيل العلم، فحضر أبحاث: السيّد المجدّد الشيرازي، والميرزا محمّد تقي الشيرازي، والسيّد محمّد الفشاركي الأصفهاني، والشيخ الآخوند، ثمّ رجع إلى إيران وجعل من مدينة قم سنة ١٣٤٠ هـ مركزاً علمياً للأبحاث الدينية. ألّف: درر الفوائد، كتاب الرضاع، كتاب النكاح، وغيرها. توفّي بقم سنة ١٣٥٥ هـ. (معارف الرجال ٢: ٦٥ ـ ٦٧، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٣٦٥ ـ ١٣٦٦، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

هما: آية الله العظمىٰ الخوانساري[1]، وآية الله العظمىٰ حجّت[2]، واستمرّ ذلك إلىٰ ما قبل زعامة آية الله البروجردي.

وقد قدّم السيّد صدر الدين خدمات علمية واجتماعية وصحّية، بالإضافة إلىٰ تربية عدد كبير من العلماء[3].

ولقد كان همّ السيّد صدر الدين خدمة الدين والمذهب والمجتمع، وكان ذا روح عالية ومتواضعة جدّاً، حتّىٰ إنّه بعد قدوم آية الله البروجردي إلىٰ قم، تنازل له بكلّ تواضع واحترام عن الصلاة وإمامة المؤمنين داخل الصحن الشريف لحضرة فاطمة المعصومة عليها السلام، فلم يتقدّم لإمامة الناس داخل الصحن إلىٰ آخر أيّام

---

(١) محمّد تقي بن أسد الله الخوانساري الموسوي: فقيه أُصولي متبحّر، ومجتهد كبير. ولد في خوانسار، وهاجر سنة ١٣٢٢ هـ إلى النجف الأشرف، فتتلمذ على: الشيخ محمّد كاظم الخراساني، والسيّد محمّد كاظم اليزدي، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، وبدع ونبغ وأصبح من الفقهاء المبرّزين، وعاد سنة ١٣٤٠ هـ إلى مدينة قم وتصدّى للتدريس والبحث، فكان من دعائم الحركة العلمية، له: منتخب الأحكام، وحاشية على العروة الوثقى. توفّي بهمدان سنة ١٣٧١ هـ. (معجم المؤلّفين ٩: ١٢٧، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ١٣٥٨ ـ ١٣٥٩، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(٢) محمّد بن علي بن علي نقي الحجّة الكوهكمري: من كبار الفقهاء ومراجع التقليد. أخذ المقدّمات في مدينة تبريز، ثمّ هاجر نحو النجف، وحضر دروس: السيّد محمّد كاظم اليزدي، والسيّد أبي تراب الخوانساري، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ النائيني، وغيرهم. وفي عام ١٣٤٩ هـ عاد إلى مدينة قم وتصدّى للتدريس والإمامة والتأليف، حتّى وافاه الأجل عام ١٣٧٢ هـ. له من المؤلّفات: الاستصحاب، البيع، جامع الأحاديث والأُصول، الوقف. (ريحانة الأدب ٢: ٢٣، معجم المؤلّفين ٩: ١٧٧).

(٣) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور جمران): ١٥.

حياته تواضعاً واحتراماً[(١)].

وكانت له مساهمات كثيرة فعّالة في الدعوة إلىٰ الوحدة الإسلاميّة والتقريب بين المذاهب بشتّىٰ تيّاراتها، ويعتبر كتابه «المهدي» الخطوة العمليّة في هذا المضمار، حيث كانت أغلب مطالب الكتاب مخرّجة من كتب أهل السنّة وصحاحهم؛ محاولاً بذلك إبراز نقاط الاشتراك بقدر المستطاع.

وبعد عمر مديد قضاه في العلم والتربية والجهاد والدعوة إلىٰ الوحدة والإصلاح، فارق الحياة بتاريخ ١٩ /ربيع الثاني /١٣٧٣ هـ، ودفن بقرب قبر السيّدة فاطمة بنت الامام موسى بن جعفر عليهما السلام في قم المقدّسة.

أبناء العمومة الشهداء

كما أسلفنا فإنّ عائلة الصدر أنجبت فطاحل في العلم والجهاد والفضيلة، قضىٰ أغلبهم إمّا نفياً أو سجناً أو قتلاً، وعلىٰ رأس هؤلاء الشهيدين السعيدين: الفيلسوف والفقيه الكبير آية الله السيّد محمّد باقر الصدر، وأُخته العلويّة الفاضلة آمنة بنت الهدىٰ، وهما من أبناء المرحوم آية الله السيّد حيدر الصدر (عمّ الإمام موسىٰ الصدر).

ولد الشهيد محمّد باقر الصدر بتاريخ ٢٥ /ذي القعدة /١٣٥٣ هـ في مدينة الكاظمية المقدّسة، وكرّسه والداه ـ كما هو عادة أبناء هذه العائلة ـ لتلقّي العلوم الدينيّة، فقضىٰ مرحلة المقدّمات والسطوح في تلك المدينة، حتّىٰ إذا ما أحسّ أنّه لم يرتو من معين العلوم، وأنّ ما هو موجود لا يروي ظمأه، هاجر إلىٰ مدينة العلم النجف الأشرف، فشارك في دروس كبار علماء النجف يومذاك، كان أبرزهم

(١) زندگاني (حياة) آية الله البروجردي: ١١٩.

خاله آية الله الشيخ محمّـد رضا آل ياسين[١]، حيث تـلقّىٰ عـلىٰ يـديه دروس البحث الخارج، وآية الله السيّد الخوئي[٢]، تلقّىٰ علىٰ يديه دروس الفقه وأُصوله، حتّىٰ نال درجة الاجتهاد بكلّ فخر واقتدار.

كما وتلقّىٰ أغلب دروسه في الفلسفة علىٰ يد المرحوم آية الله الشيخ صدرا البادكوبي[٣].

وتعتبر الشهيدة بنت الهدىٰ هي الأُخرىٰ مفخرة من مفاخر هـذه العـائلة، وهي بحقّ كما قال عنها الإمام الخميني ﷺ: «كانت معلّمة من مـعلّمات المـعرفة والأخلاق، ومفخرة من مفاخر العلم والأدب»[٤].

وختمت حياتها الفاضلة بالشهادة، حالها حال أخيها السيّد مـحمّـد بـاقر الصدر علىٰ أيدي جلاوزة حزب البعث في العراق، وذلك يوم الثلاثاء ٢٣ جمادي الأوّل من عام ١٤٠٠ هـ، وسلّمت جثتاهما بسريّة تامّة إلىٰ سماحة آية الله السيّد محمّـد صادق الصدر، وهو ابن آية الله السيّد محمّـد مهدي الصدر (واحـد مـن

---

(١) محمّد رضا بن عبد الحسين بن باقر بن محمّد حسن آل ياسين الكاظمي النجفي: فقيه بارز وأُستاذ قدير. ولد في الكاظمية سنة ١٢٩٧ هـ، وتتلمذ على: والده، وخاله السيّد حسـن الصدر، والسيّد إسماعيل بن صدر الدين الصدر، وغيرهم. وحضر عليه فريق من العلماء ـ بعد أن أصبح علماً ذائع الصيت ـ أمثال: أخيه مرتضى، والسيّد محمّد باقر الشخص، والسيّد محمّد تقي بن حسن بحر العلوم. وضع عدّة تأليفات، منها: شرح التبصرة، حاشية العروة، سبيل الرشاد في شرح نجاة العباد، شرح منظومة الدرّة النـجفية. تـوفّي سـنة ١٣٧٠ هـ. (معارف الرجال ٢: ٤١، شعراء الغري ٨: ٣٨٢ ـ ٣٩٢، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٧٠ ـ ٧١).

(٢) ستأتي ترجمته عمّا قريب.

(٣) شهيد صدر بر بلنداي أنديشه و جهاد (الشهيد الصدر رأس القمّة والجهاد): ٢٩ ـ ٢١.

(٤) صحيفهى إمام (صحيفة الإمام) ١٢: ٢٥٣.

أعمام الإمام موسىٰ الصدر)، فقام ـ وبمساعدة ثلّة من المـؤمنين والمـؤمنات ـ بتغسيلهما وتكفينهما، ومن ثمّ الصلاة علىٰ جسديهما الطاهرين المعذّبين، ودفنهما بجوار حرم جدّهما الإمام علي عليه السلام في مقبرة عائلة (شرف الدين).

وزوجة الشهيد محمّـد باقر الصدر هي أُخت الإمام موسىٰ الصدر، وكانت ثمرة هذا الزواج ثلاثة بنات، أصبحن فيما بعد زوجـات لأولاد الشـهيد السـيّد محمّـد الصدر، وولد فاضل هو السيّد جعفر الصدر.

أمّا الشهيد آية الله محمّـد الصدر، وهو ابن السيّد محمّـد صادق الصدر، فهو الآخر من أبناء عمومة الإمام موسىٰ الصدر، وكان يتميّز بشخصيّة قويّة ومكـانة علميّة مرموقة في النجف الأشرف، أغنىٰ المذهب ـ إضافة إلىٰ مواقفه السياسيّة الجريئة ـ بمجموعة من الآثار العلميّة والتحقيقيّة المتينة.

ولد في ١٧ ربيع الأوّل من سنة ١٣٦٢ هـ، واستشهد علىٰ أيدي أزلام البعث سنة ١٤١٩ هـ[١].

وترتبط عائلة (شرف الدين) هي الأُخرىٰ بعائلة (الصدر) برابطة العمومة وأبناء العمومة، فكما أسلفنا فإنّ الإمام موسىٰ الصدر انحدر من هاتين الأُسرتين، وكانت عائلته تعرف في لبنان ـ وإلىٰ زمن السيّد صالح شرف الدين ـ باسم (شرف الدين)، ولكن بعد بروز ولد السيّد شرف الدين ـ وهو آية الله السيّد صدر الدين ـ وتصدّيه لمقام الفقاهة والزعامة الدينيّة للمذهب دون منازع، غـلب عـلىٰ هـذه الأُسرة لقب (الصدر)، وعُرفت فيما بعد وإلىٰ هذا اليوم بهذا الاسم.

وينتسب العالم المجاهد آية الله السيّد عبد الحسين شرف الدين ـ وهو واحد من روّاد الوحدة والتقريب بين أتباع المذاهب الإسلاميّة ـ بعائلة الصدر، إضافة

---

(١) شهيد صدر بر بلنداي أنديشه و جهاد (الشهيد الصدر رأس القمّة والجهاد): ١٤٢.

إلىٰ رابطة العمومة، فإنّ أُمّه هي السيّدة الفاضلة زهراء ابنة آية الله السيّد هادي الصدر، والذي يعدّ واحداً من أكبر علماء أواخر القرن الثالث عشر الهجري[١].

الجدّ من الأُمّ

والدة الإمام موسىٰ الصدر (بي بي صفيّة)، وهي من سلالة العترة الزكيّة الطاهرة، عرفت بالتقوىٰ والطهارة، وتحمّلت مع زوجها كافّة معاناة طي المرحلة الدراسيّة، وكانت زوجة مضحيّة وأُمّاً رؤوفة ومربّية صالحة، اشتهرت بين معارفها بـ(صفيّة الصالحة)، وقد نالت احترام وتقدير كافّة علماء الحوزة الكبار، الذين عرفوا فيها الوقار والعظمة.

توفّيت هذه المرأة العفيفة يوم ١٢ شعبان من سنة ١٤١٩ هـ في مدينة قم المقدّسة، بعد عمر مديد قضته في تربية سلالة طاهرة خدمت الإسلام والمذهب، ودفنت بجوار حرم حضرت فاطمة بنت موسى بن جعفر عليها السلام في مقبرة (بروين اعتصامي)[٢].

والدها هو العالم التقي والمجاهد الكبير آية الله الحاجّ حسين القمّي، وهو من سلالة الإمام الحسن المجتبىٰ عليه السلام. ولد في مدينة قم المقدّسة في ٢٨ رجب من

---

(١) راجع: التاريخ الثقافي المعاصر (العدد الخاصّ بالإمام موسىٰ الصدر): ١١، شرف الدين عاملي چاووش وحدت (شرف الدين العاملي دليل الوحدة): ٢٥.

(٢) پروين يوسف اعتصامي آشتياني: إحدى شواعر إيران المشهورات. ولدت في تبريز سنة ١٢٨٥ هـ. ش، وقضت كلّ عمرها في طهران، تعلّمت الأدب العربي والفارسي عند أبيها وعن طريق المدرسة الأميركية للبنات، وأصبحت شاعرة معروفة بذوقها الرفيع، ولها ديوان شعر مطبوع. توفّيت بداء الحصبة بطهران سنة ١٣٢٠ هـ. ش، ودفنت بقم. (لغت نامه ٤: ٥٥٧٦ـ٥٥٧٨).

عام ١٢٨٢ هـ. وكعادة أقرانه من أبناء هذه العائلة، التحق بصفوف الحوزة العلميّة في قم وهو لم يزل صبيّاً، وبعد أن أنهىٰ دراسة المقدّمات فيها هاجر لطلب المزيد من العلم إلىٰ كلّ من طهران وسامرّاء والنجف علىٰ التوالي، حيث أكمل ما برع به من العلوم، كالفقه والأُصول والفلسفة والعرفان والأخلاق وغيرها علىٰ أيدي كبار أساتذة عصره آنذاك، كالميرزا محمّد حسن الشيرازي[1]، والميرزا أبي الحسن جلوة، والسيّد علي المدرّس، والميرزا علي أكبر الحكمي اليزدي، والميرزا حبيب الله الرشتي[2]، والآخوند الخراساني، والسيّد محمّد كاظم اليزدي، والسيّد أحمد الكربلائي، وآخرين. حتّىٰ إذا ما نال درجة الاجتهاد بكلّ استحقاق، هاجر إلىٰ مشهد الرضا عليه السلام، وذلك بتوجيه من آية الله الميرزا محمّد

(١) محمّد حسن بن محمود الشيرازي النجفي المعروف بالميرزا المجدّد: من أعاظم علماء الإمامية. ولد في شيراز عام ١٢٣٠ هـ، وأخذ مقدّمات العلوم فيها، ثمّ انتقل إلى أصفهان ودرس على الشيخ محمّد تقي صاحب حاشية المعالم، ثمّ هاجر إلى النجف ودرس على: الشيخ محمّد حسن الجواهري، والشيخ حسن كاشف الغطاء، والشيخ مرتضى الأنصاري. وأصبح المرجع من بعد الأُستاذ الأخير، كما وقف ضدّ الملك ناصر الدين القاجاري عندما وقّع الأخير اتّفاقية اقتصادية حول التبغ مع شركة بريطانية، وأفتى بحرمة التدخين، فخسرت الشركة. له من التآليف: حاشية نجاة العباد، حاشية النخبة، رسالة في الرضاع، وغيرها. توفّي في سامرّاء سنة ١٣١٢ هـ، ودفن بالنجف الأشرف. (معارف الرجال ٢: ٢٣٣ ـ ٢٣٨، الكنى والألقاب ٣: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٧٦٩ ـ ٧٧٠).

(٢) حبيب الله بن محمّد علي خان الرشتي: عالم مؤسّس ومحقّق مدقّق. درس المقدّمات والسطوح في قزوين، ثمّ هاجر إلى مدينة النجف الأشرف، وحضر بحث الشيخ الأنصاري وغيره من الأعلام، فأصبح يشار إليه بالبنان، وكان عالماً مبتكراً حلو التعبير رشيق العبارة مواظباً على السنن كثير الصلاة والصمت. من جملة تصانيفه: الإمامة، بدائع الأفكار، تقليد الأعلم، شرح الشرائع، حاشية على تفسير الجلالين. توفّي في عام ١٣١٢هـ. (تأسيس الشيعة: ٢٣، الفوائد الرضوية: ٩٣، نجوم السماء ٢: ١٣٨ ـ ١٣٩).

تقي الشيرازي(١)؛ للتصدّي للزعامة الدينيّة وللقيادة السياسيّة والتربويّة والعلميّة في تلك المدينة.

وكانت مشهد حالها حال بقيّة المدن الإيرانيّة، تعيش هجمة ثقافيّة فاسدة، تبنّاها رضا خان بإصداره قوانين نزع الحجاب والتعرّض للزي الشرعي للمرأة المسلمة، فشمّر عن ساعديه للتصدّي لهذه الظاهرة، فالتفّ أهالي مشهد حوله، وقاد تحرّكاً تاريخيّاً نادراً ضدّ الغزو الثقافي الغربي الذي تعهّده رضا خان البهلوي، فأدّىٰ إلىٰ حصول النهضة المعروفة باسم: نهضة (گوهر شاد)، ممّا أثار غضب الشاه عليه، فأمر بنفيه إلىٰ كربلاء، حيث بقيهناك ما يناهز السبع سنين، إلىٰ حين حصول أحداث سبّبت في هروب رضا خان وتهيئة الأجواء السياسيّة والاجتماعيّة لعودته مرّة أُخرىٰ إلىٰ مشهد التي كان أهلها يتشوّقون لقدومه علىٰ أحرّ من الجمر.

ولم تثن سنوات الغربة من عزيمته أو تحدّ من إرادته، بل شحذته قوّة وعزيمة علىٰ العودة ومقاومة مظاهر الفساد المتفشّية من جديد. فقام بإصدار بيانه المعروف الذي عدّ واحداً من أهمّ البيانات التاريخيّة المعبّرة عن إرادة الشعب القويّة، والتي ضمّنها خمسة بنود، يطالب فيها الحكومة الشاهنشاهيّة بالحدّ من

(١) محمّد تقي بن محبّ علي الشيرازي: من أكابر العلماء وأعاظم المجتهدين. ولد في شيراز، ونشأ ودرس في كربلاء، وحضر على: السيّد محمّد حسن الشيرازي، والشيخ محمّد حسين الفاضل الأردكاني، ثمّ تصدّى لتدريس جمع من الفضلاء. يعدّ الزعيم الأوّل لثورة العشرين العراقية. هاجر إلى النجف وأقام بها فقيهاً موجّهاً وبصيراً ناقداً. من مؤلّفاته: شرح المكاسب، رسالة في صلاة الجمعة، رسالة في أحكام الخلل. توفّي سنة ١٣٣٨ هـ. (أعيان الشيعة ٩: ١٧٢، معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٧٧٨، معارف الرجال ٢: ٢١٥ ـ ٢١٨).

مظاهر الفساد، وإيقاف حالات القهر والتنكيل بحقّ الأُمّة الإسلاميّة. ولشدّة صلابته وتأييد الجماهير له أجبر الشاه علىٰ التنازل والخضوع لبعض تلك المطالب.

توفّي (رحمة الله عليه) في ١٤ ربيع الأوّل من سنة ١٣٦٦ هـ، وشيّع جثمانه الطاهر تشييعاً عظيماً، ووري الثرىٰ بجوار جدّه الإمام عليّ عليه السلام في مقبرة شيخ الشريعة الأصفهاني(١).

دراسته وأساتذته

أنهىٰ الإمام موسىٰ الصدر دراسته الابتدائيّة في مدينة قم المقدّسة في ابتدائية (الحياة)، والثانويّة في مدرسة (سناي). وفي عام ١٩٤١ م انتسب إلىٰ الحوزة العلميّة؛ ليكمل كعادة أبناء أُسرته ما تبقّىٰ من عمره بطلب العلم والعمل به.

وبعد أن تخطّىٰ بنجاح بارز مرحلتي المقدّمات والسطوح، شارك في حضور دروس البحث الخارج في الفقه والأُصول بالإضافة إلىٰ الفلسفة عند كبار أساتذة وفضلاء الحوزة العلميّة المشهورين يومذاك، كان أبرزهم:

١ ـ آية الله السيّد محمّد باقر سلطاني الطباطبائي.

---

(١) التاريخ الثقافي المعاصر (العدد الخاصّ بالإمام موسى الصدر): ١١.

وشيخ الشريعة هو: فتح الله بن محمّد جواد النمازي الشيرازي المعروف بشيخ الشريعة الأصفهاني. يعدّ من أكابر العلماء ومن أساتذة الفقه والأُصول والمعقول والمنقول، وقد تصدّى للتدريس والبحث والتأليف، وحارب الإنجليز بعد وفاة الميرزا الشيرازي، وتوفّي سنة ١٣٣٩ هـ. له: أصالة الصحّة، حاشية الفصول، إفاضة القدير، الردّ على الهداية، زاد المتّقين، صيانة الإبانة، وغيرها من المؤلّفات. (ريحانة الأدب ٣: ٢٠٦، الفوائد الرضوية: ٣٤٥، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٢٥).

٢ ـ الشيخ عبدالجواد العاملي.
٣ ـ آية الله المحقّق الداماد[١].
٤ ـ آية الله السيّد محمّـد تقي الخوانساري.
٥ ـ آية الله حجّت الكوهكمري.
٦ ـ آية الله السيّد صدر الدين الصدر، (الأب).
٧ ـ العلّامة الطباطبائي[٢].
٨ ـ آية الله السيّد كاظم شريعتمداري[٣].

---

(١) محمّد بن جعفر الأحمد آبادي اليزدي المدرّس المعروف بالمحقّق الداماد: أحد الفقهاء الإماميّة. ولد في يزد سنة ١٣٢١ هـ، وطوى بعض مراحله الدراسية في بلدته، وانتقل إلى قم وحضر بها على عدّة من الأعلام، مثل: السيّد محمّد الحجّة، والسيّد محمّد تقي الخوانساري، والشيخ عبد الكريم الحائري، وصاهره على ابنته، ولذا لقّب بالداماد، وجدّ في التحصيل حتّى بلغ مرتبة الاجتهاد، فصار من العلماء البارزين، فحضر عنده جمع من الأعلام واستفادوا من نمير علومه. توفّي بقم سنة ١٣٨٨ هـ. (مستدركات أعيان الشيعة ٣: ٢١١، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٥١٧ ـ ٥١٨).

(٢) محمّد حسين بن محمّد بن محمّد حسين الطباطبائي: عالم جليل وفيلسوف كبير ومفسّر عارف. ولد في تبريز سنة ١٣٢١ هـ، فتعلّم مبادئ العلوم في بلدته، ثمّ هاجر إلى النجف وحضر أبحاث: الشيخ محمّد حسين النائيني، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والحجّة الكوهكمري، والسيّد حسين البادكوبي، والسيّد أبي القاسم الخوانساري. انتقل إلى قم وأصبح المحور الأوّل في الفلسفة الإسلاميّة. توفّي بقم سنة ١٤٠٢ هـ. من جملة مؤلّفاته: تفسير الميزان، رسالة في البرهان، الإنسان في الدنيا، أصول الفلسفة الواقعيّة، رسالة في الحكومة الإسلاميّة، الشيعة في الإسلام، سنن النبي ﷺ. (أعيان الشيعة ٩: ٢٥٤ ـ ٢٥٦، معجم رجال الفكر والأدب ٣: ٩٦٥ ـ ٩٦٦، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٦٢ ـ ٥٦٣).

(٣) محمّد كاظم بن حسن بن محمّد الشريعتمداري: أحد علماء الإماميّة. ولد سنة ١٣٢٢ هـ في تبريز، وتعلّم فيها المقدّمات، ثمّ سافر إلى قم ومنها إلى النجف، فحضر على: الشيخ ←

٩ ـ آية الله السيّد رضا الصدر، (الأخ).

والشيء اللافت للانتباه في حياة الإمام موسىٰ الصدر العلميّة أنّه لم يكتف بما تلقّىٰ وبنجاح بارز من الدروس الدينيّة في الحوزة العلميّة، بل قرّر اللحاق بركب العلوم الأكاديميّة، حيث التحق بكليّة الحقوق في جامعة طهران عام ١٩٥٠م، بعد أن نجح في اجتياز الامتحان التمهيدي، فكانت عمامته أوّل عمامة تدخل الحرم الجامعي، فنال شهادة الليسانس (البكالوريوس أو الإجازة) في الحقوق الاقتصادية عام ١٩٥٣م، علىٰ أُطروحته: الترجمة (شروطها وصحّتها)[١].

استفاد السيّد من قدراته الذاتية وهمّته العالية وتعلّم اللغتين الإنكليزيّة والفرنسيّة، بعدما أتقن الفارسيّة والعربيّة، واغتنم الفرصة الثمينة في مرحلة شبابه، وبحث عن كلّ علم ومهارة تساعده علىٰ حلّ مشاكل الناس ومواجهة التخلّف الفكري والسلوكي عند الناس[٢].

التربية والتدريس

قام السيّد الصدر خلال دراسته بتدريس مقدّمات وسطوح العلوم الدينية

← النائيني، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والسيّد أبي الحسن الأصفهاني، وبلغ مرتبة الاجتهاد، فقفل عائداً إلى قم سنة ١٣٦٩ هـ، وأصبح مرجعاً في الفتيا والتقليد. من مصنّفاته: اجتماع الأمر والنهي، توضيح المسائل، اللباس المشكوك، مناسك الحجّ. توفّي سنة ١٤٠٦ هـ. (مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٧٠ ـ ٥٧١).

(١) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور جمران): ١٦.

(٢) المصدر السابق: ١٦.

والفلسفة، وقد تمتّع بأُسلوب شيّق جذّاب في بيان المسائل المهمّة والمعقّدة، فنال إعجاب طلبته، وتمكّن بجهده الدؤوب من إثبات وجوده كأُستاذ مميّز بين أساتذة الحوزة العلمية خلال مدّة قصيرة.

وله شروحات كثيرة، علىٰ رأسها شروحه علىٰ: «المطوّل، والقوانين، والرسائل، والمكاسب»[1].

فتخرّج علىٰ يديه الكثير من التلامذة البارزين، والذين لعب بعضهم فيما بعد أدواراً ناجحة في المجتمع، علىٰ كافّة الأصعدة السياسيّة والتربويّة والعلميّة، كان أبرزهم:

١ ـ آية الله الشيخ علي أكبر هاشمي الرفسنجاني.

٢ ـ آية الله الشيخ يوسف الصانعي.

٣ ـ آية الله الشيخ محمّد رضا التوسّلي.

٤ ـ آية الله الشيخ علي أصغر المسلمي الكاشاني.

٥ ـ آية الله زين العابدين القرباني، (إمام جمعة مدينة رشت).

٦ ـ حجّة الإسلام والمسلمين محمّد جواد الحجّتي الكرماني.

٧ ـ حجّة الإسلام والمسلمين محمّد حسين البهجتي، (شاعر وإمام جمعة مدينة أردكان).

٨ ـ حجّة الإسلام والمسلمين السيّد محمّد الغروي.

٩ ـ حجّة الإسلام والمسلمين السيّد عيسىٰ الطباطبائي.

---

(١) الكتاب الأوّل ـ أي: المطوّل ـ شرح لتلخيص مفتاح العلوم من تأليف سعد الدين التفتازاني المتوفّى سنة ٧٩٢هـ، والكتاب الثاني من تأليف الميرزا أبي القاسم القمّي المتوفّى سنة ١٢٣١ هـ، والثالث من تأليف الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفّى سنة ١٢٨١ هـ، وكذا الرابع.

الهجرة إلىٰ النجف الأشرف

بعد وفاة والده (عام ١٩٥٤ م) ومن أجل الاستفادة من الفيض العلوي والأخلاقي للأساتذة العظام في حوزة النجف الأشرف، وبعد استئذان وتأييد آية الله العظمىٰ البروجردي، قام الإمام موسى الصدر بالتوجّه إلىٰ العراق، حيث بقي فيه حتّىٰ عام ١٩٥٩ م، حضر خلال تلك الفترة دروساً عند العديد من المراجع، من أبرزهم:

١ ـ السيّد محسن الحكيم(١).

٢ ـ السيّد عبد الهادي الشيرازي(٢).

٣ ـ الشيخ حسين الحلّي(٣).

---

(١) محسن بن مهدي بن صالح الحكيم الطباطبائي: أحد فقهاء الإمامية الأعلام، وكبير مراجع التقليد والفتيا، ومن له الزعامة الدينية العامّة والرئاسة العلمية في وقته. له مواقف سياسية مشهورة على الساحة العراقية، وكان ممّن قام بمشاريع ومآثر خالدة. من مصنّفاته: مستمسك العروة الوثقى، نهج الفقاهة، حقائق الأصول، شرح تشريح الأفلاك، دليل الناسك، شرح التبصرة. توفّي في النجف الأشرف عام ١٣٩٠ هـ. (معارف الرجال ٣: ١٢١ ـ ١٢٧، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٣٣٦ ـ ٣٣٧).

(٢) عبدالهادي بن إسماعيل الحسيني الشيرازي: فقيه ثبت وتقي معروف ومرجع من مراجع التقليد. ولد في سامرّاء سنة ١٣٠٥ هـ، ونشأ في ظلّ السيّد المجدّد. هاجر سنة ١٣٢٦ هـ إلى النجف الأشرف، فحضر على: الشيخ محمّد كاظم الخراساني، وشيخ الشريعة الأصفهاني، وغيرهما. تخرّج على يده جمع من الأفاضل الفطاحل، وأصبح أحد أساطين الفقه وأحد عباقرة الأمّة ونوابغها. له من المؤلّفات: تعليقة على العروة الوثقى، ذخيرة العباد، وسيلة النجاة، ديوان شعر، وغير ذلك. توفّي سنة ١٣٨٢ هـ، ودفن في النجف الأشرف. (أعيان الشيعة ٨: ١٢٩، شعراء الغري ٦: ١٣٧ ـ ١٤٢، الكنى والألقاب ٣: ٢٢٦).

(٣) حسين بن علي بن حسين بن حمّود الحلّي النجفي: أحد علماء العصر الأفذاذ. ولد سنة ←

٤ ـ السيّد محمود الشاهرودي[١].
٥ ـ السيّد أبو القاسم الموسوي الخوئي[٢].
٦ ـ الشيخ صدرا البادكوبي[٣].

← ١٣٠٩ هـ، وقرأ المقدّمات والسطوح على لفيف من الأفاضل، وكانت عمدة تلمذته في الفقه وأُصوله على الشيخ محمّد حسين النائيني، فنبغ نبوغاً باهراً وبرز بين أقرانه متميّزاً بغزارة الفضل ودقّة النظر. له مؤلّفات، منها: أخذ الأجرة على الواجبات، معاملة الدينار بأزيد منه، تقريرات الفقه والأُصول، وغيرها. توفّي في النجف الأشرف عام ١٣٩٤ هـ. (معارف الرجال ١: ٢٨٦، معجم رجال الفكر والأدب ١: ٤٤٢، مع علماء النجف الأشرف ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨).

(١) محمود بن علي بن عبدالله الحسيني الشاهرودي النجفي: كان فقيهاً إمامياً كبيراً ومرجعاً من مراجع التقليد. ولد في شاهرود سنة ١٣٠١ هـ، وقصد النجف سنة ١٣٢٨ هـ، فحضر الأبحاث العالية في الفقه وأُصوله على: الشيخ محمّد حسين النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، وكتب تقريراتهما، وبلغ مرتبة الاجتهاد، وتصدّى للبحث والتدريس، وعرف بالبساطة والتقشّف. من جملة تلامذته: ابنه السيّد محمّد، والشيخ محمّد إبراهيم الجنّاتي، والسيّد باقر علي الشخص، والسيّد حسين محمود آل مكّي العاملي، وغيرهم. من مؤلّفاته: توضيح المسائل، جامع المقاصد، شرح الشرائع، حاشية على الرسائل، وغيرها. توفّي في النجف الأشرف عام ١٣٩٤ هـ. (مستدركات أعيان الشيعة ١: ٢٥٠، موسوعة طبقات الفقهاء ١٤: ٨١٤ ـ ٨١٥).

(٢) أبو القاسم بن علي أكبر بن مير هاشم الموسوي الخوئي النجفي: أحد مراجع العصر المشهورين بالعلم والفقاهة. ولد في مدينة خوي سنة ١٣١٧ هـ، وهاجر إلى النجف عام ١٣٣٠ هـ لتحصيل العلوم، وحضر على: شيخ الشريعة الأصفهاني، والشيخ النائيني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني، وكتب تقريراتهم. وحضر عنده جملة من الأعلام، واستمرّ بالتدريس والتأليف مدّة طويلة من الزمن، حتّى وافاه الأجل في النجف الأشرف سنة ١٤١٣ هـ. له مؤلّفات، منها: البيان في تفسير القرآن، أجود التقريرات، تعليقة على العروة الوثقى، رسالة في الغروب، معجم رجال الحديث، نفحات الإعجاز، مستحدثات المسائل. (الذريعة ١: ٢٧٨ و٢٤: ٢٤٦، معارف الرجال ١: ٢٨٥، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥١٨ ـ ٥٢٠).

(٣) صدر الدين البادكوبي: من العلماء الأعلام. ولد عام ١٣١٦ هـ، ودرس في النجف، وأصبح

حيث حضر على الأربعة الأوائل دروس الفقه، وعلى الخامس دروس الأُصول، وعلى الأخير الفلسفة.

وكانت له حلقات أُخرىٰ في المباحثة مع كبار المجتهدين المعروفين آنذاك، أمثال: ابن عمّه الشهيد محمّد باقر الصدر، وآية الله السيّد محمّد علي موحّد الأبطحي، في الفقه والأُصول والفلسفة وغيرها.

ومارس التدريس هناك أيضاً، فكان له الباع الطويل في تدريس المكاسب والرسائل وشرح المنظومة[(١)].

حافظ الإمام موسىٰ الصدر في مدينة النجف ـ كما كان في قم ـ علىٰ تفوّقه بين زملائه في الدراسة والمباحثة، فأدهش جميع معارفه بنبوغه وذكائه، ونال احتراماً لدىٰ مراجع وعلماء النجف لشخصيّته الجامعة، وكانوا ينظرون إليه بعين العظمة والأمل بمستقبل أزهر.

ولإثبات ذلك نقول: إنّ المرحوم آية الله العظمى السيّد الخوئي زعيم المرجعيّة الدينيّة آنذاك، لم يكن يجيز في درسه لأيّ كان طرح الإشكالات العلمية، ولم يكن يجيب عليها، ولكنّه أجاز ذلك للإمام موسىٰ الصدر، فكان يستمع إلىٰ إشكالاته بدقّة واحترام بالغين[(٢)].

ويُنقل عنه قوله في إحدىٰ جلسات تدريسه: «كان أملي بموسىٰ الصدر كبيراً، ولو بقي ثلاث سنوات أُخرىٰ في النجف فسيبرز كأحد أكابر الشخصيات العلميّة المرموقة في العالم الشيعي».

وكان وقع نبأ هجرته إلىٰ لبنان شديداً على السيّد الخوئي، فتأسّف لفراقه،

← عالماً فاضلاً جليلاً حسن السيرة، وكان مميّزاً في تدريس الفلسفة الإلهية. له كتابات وتعليقات على بعض الكتب الفلسفية. توفّي في النجف الأشرف سنة ١٣٩٢ هـ. (معجم رجال الفكر والأدب ١: ١٩٨).

(١) نقلاً عن آية الله الأبطحي، وآية الله مسلم الكاشاني.

(٢) راجع: مجلّة «نور علم» (مجلّة نور العلم) / الدورة الرابعة / العدد: ١١ / تسلسل: ٤٧: ٦٤، التاريخ الثقافي المعاصر (العدد الخاصّ بالإمام موسىٰ الصدر): ٣٩٦.

حتّىٰ إنّه ظلّ يردّد أكثر من مرّة وفي أكثر من مجلس قوله: «ليتني لم أتعرّف عليه»[١].

هكذا كانت شخصيّة الإمام موسىٰ الصدر، تتلقّىٰ الترحيب الواسع والكبير من قبل العلماء والناس في آنٍ واحد، فقد كان يتحلّىٰ بالكثير من الصفات الحميدة، فبالإضافة إلىٰ ما عرف عنه من الزهد والأخلاق الفاضلة والتقوىٰ وغيرها من الصفات الضروريّة التي يجب أن يمتلكها المجتهد، فقد كان فقيهاً عارفاً بزمانه مدركاً لشؤون الحياة ومتطلّباتها، تحلّىٰ بملكات الإخلاص والتقوىٰ والزهد الضروري وجودها في كلّ مجتهد.

ونترك المجال لأفضل ما قيل في حقّه، كما يُنقل عن سماحة آية الله السيّد محمّد باقر السلطاني الطباطبائي، حيث قال: «كان السيّد موسىٰ الصدر واحداً من أبرز الشخصيات العلميّة في النجف، ولو بقي سنوات قليلة أُخرىٰ فيها ولم يهاجر عنها إلىٰ لبنان، لكان بلا شكّ سيبرز كواحد من كبار مراجع التقليد في العالم.

كان حتّىٰ أقوىٰ من مراجع تقليد هذه الأيّام، لا بمعنىٰ كونه مجتهداً، وهو كان كذلك، وإنّما بالمعنىٰ القديم للاجتهاد. كان موسىٰ رجلاً فاضلاً، وباعتقادي كان أفضل من أخيه الكبير رضا الصدر، ولو أُمهل أكثر لكان في مصافّ العلماء الكبار.

وهو حتىٰ لو لم يهاجر إلىٰ النجف الأشرف وبقي في قم، لكان واحداً من كبار مراجع التقليد الشيعة فيها»[٢].

باكورة العمل الثقافي

لم يكن السيّد موسىٰ الصدر كالعديد من أقرانه سلفياً بمعنىٰ الكلمة، بل كان

---

(١) نامه مفيد (رسالة المفيد) / السنة الرابعة / العدد: ٤ / تسلسل: ١٦: ٢٤.

(٢) التاريخ الثقافي المعاصر (العدد الخاصّ بالإمام موسى الصدر): ٥٤ ـ ٥٥.

يمتلك عقليّة حضاريّة معاصرة، ولهذا فما أن عاد من النجف واستقرّ به المطاف من جديد في قم المقدّسة عام ١٩٥٨ م، حتّىٰ أخذت تلحّ عليه فكرة إصدار مجلّة إسلاميّة، تعنى بشؤون الفكر الإسلامي بثوبه الجديد، وتعتبر الوسيلة العصريّة لمخاطبة الشباب المسلم المواجه للهجمات الثقافيّة والفكريّة الأجنبيّة عن معتقده وتفكيره(*).

(*) الإعلام في فكر الإمام الصدر «قل كلمتك، وقاتل من أجلها»، د. جورج كلّاس، جريدة «النهار» (لبنان)، الأحد ١٣ / تشرين الأوّل / ٢٠٠٢م.
شكّل مقاربة الفكر الإعلامي عند الإمام موسى الصدر مدخلاً لفهم ركائز المنطلقات الرئيسة التي جعلت من فهمه معنى الإعلام ودوره في المجتمعات النامية وذات النمط التعدّدي حضارياً ودينياً ومستويات عيش متفاوتة، أسلوب تفكير وفنّ تعبير، تمايز بهما الإمام عن غيره من المسؤولين في لبنان. ويظهر لمن تابع تحرّك الإمام من خلال الإعلام اللبناني بين ١٩٦٩ تاريخ انتخابه رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، وتاريخ تغييبه سنة ١٩٧٨ أنّه كان مدركاً أصول التعامل مع الإعلام، وطريقة التعاطي مع وسائله وفنونه في المراحل المختلفة، في ظلّ التباينات الحادّة التي كانت تخيّم على المنطقة بعد حرب ١٩٦٧ وأحداث ١٩٦٩ وتأثّر الساحة اللبنانية بتلك الأحداث، على مستويات العلاقة الداخلية بين الشركاء في الوطن.
ويتجلّى هذا الإدراك لأهمية الإعلام في خطب الإمام ومداخلاته المؤيّدة للحرّية الإعلامية، والداعمة للصحافة في معركة الحرّيات إثر إحالة أربع عشرة صحيفة على القضاء بسبب نشرها خبر بنقل ضابطين من الجيش في صيدا إثر استشهاد معروف سعد، وإحالة سبع صحف أخرى على القضاء أيضاً بسبب نشرها كلمة الإمام الصدر التأبينية في معروف سعد.
ويبدو من خلال تركيزه على الحضور من خلال الصحافة لتأسيس قاعدة سياسية وطنية أبعد من الطوائف والمناطق، أنّ الإمام كان يمتلك رؤية إعلامية واضحة ساعدته على توضيح آرائه وتبسيط فلسفته للقضايا الحادّة التي يعيشها لبنان، بسبب الاستغلال الخارجي للتناقضات القائمة على أرضه. وهذا ما جعله يحترف أصول تكوين الرأي العامّ من خلال اختياره عناوين خطبه ومقالاته ومداخلاته التي لاقت صدى واسعاً، ممّا جعله في السنوات

←

← القليلة السابقة على الحرب اللبنانية رجل دين، تلتقي على احترامه ومرجعيته الاجتماعية فئاتٍ واسعة من اللبنانيّين.
ولعلّ تمكّنه من أصول الخطابة المنبرية وفنون الإلقاء الجاذب للأسماع والأذهان، ما يسهّل التآلق شعبياً وإعلامياً، فأسّس «الإعلام الاستدراكي» الذي ساعده على إطلاق مواقف تحذيرية للسلطة، كان لها نفع توجيهي في تربية الناس على التعاطي مع القضايا الملحّة بجرأة انطلاقاً من أنّ المواطن شريك في الوطن، وليس هامشياً أو تابعياً. وكلّ ما قاله في هذا الإطار لم يخرج عن فهمه قانون الحريّة، من ضمن احترامه لحريّة التفكير وسعيه لحماية الحقّ بالتعبير، ممّا جعله يطلق على الصحافيّين عبارة «الناطقون بالحقّ». (مسيرة الإمام السيّد موسى الصدر، الوثائق، ١٩٧٠، وثيقة رقم ٧٣/٣/٢٣).
لقد تمكّن الإمام من بناء علاقة ثقة مع الجسم الصحافي، الأمر الذي ساعد على وضع أُسس (إعلام القضايا) الذي أطلقه الإمام من خلال وصف حركته المطلبية بحركة (المحرومين)، وإطلاقه عناوين جادّة تناولت غير قضية حياتية واجتماعية عاشها أُناس وسكتوا عليها دهراً من التعتيم على معاناتهم ومنعهم من (الإفصاح) عن وجعهم.
ومن وظائف الصحافة في رأيه أن تصحّح المفاهيم المغلوطة، وتمسك بيد الناس نحو ما فيه خيرهم، وبذلك تلج الصحافة رسالة الشهادة للحقّ والتعريف بالصحّ من الأُمور، وتصحيح المعارف بحياد موضوعي وجرأة لا تقف عند المصالح الضيّقة والانتماءات الخاصّة.
ومن وظائف الصحافة، إلى أنّها منبر للحقيقة، الانتصار للمظلومين، والشهادة للحقّ خارج إعلام الإثارة والتحريض؛ لأنّ الصحافة وحرّية الرأي هما البعد الوحيد الباقي من عظمة لبنان «الذي هو ضرورة إنسانية حضارية». (مسيرة الإمام الصدر، الوثائق، رقم ٢٦).
وهذا ما يدفع إلى العمل في سبيل إعلام مناضل في خدمة قضايا الناس، لا مرفّه مشغول بغير هموم البشر وقضايا المواطنين الملحّة.
ولعلّ نظرته إلى إعلام وطني واع، انطلاقاً من مرجعيته الدينية والوطنية، جعلته ينظر إلى الإعلام والحريّات الإعلامية «كراعية للقيم والعقائد، والدعامة الأساسية لكيان لبنان وعظمته، ولأداء رسالته العربية والحضارية والإنسانية». (كتاب الوثائق: ص ٢٩٢) معتبراً أنّه لا يمكنه كمواطن «أن يقف متفرّجاً في معركة الصحافة» متمنّياً على المسؤولين «الذين بنوا أمجادهم وانتصاراتهم من خلال حريّة الصحافة أن يتراجعوا عن هذه الخطّة». (كتاب
←

فظلّ علىٰ اتّصال دؤوب مع كبار أصحاب الفكر، يشجّعهم للوقوف إلىٰ جانبه لإنجاح هذه الفكرة.

ولم يكن خافياً عليه طبعاً صعوبة مثل هكذا مشروع؛ كون الحوزة كانت تدار من قبل عقول سلفيّة بحتة، لا تنظر إلىٰ كثير من المشاريع التجديديّة نظرة

← الوثائق: ص٢٩٣).

واللافت في الإعلام النقدي والبنائي الذي ظهر في كتابات السيّد الصدر، أنّه إعلام صريح لا مضمر فيه أو «مسكوت عنه»، ذلك أنّه شجّع الصحافيّين على قول كلّ شيء في سبيل كشف الحقائق وتربية الناس على فنّ «محاكمة الحقائق» والانتصار للحقّ.

والفكر الإعلامي لدى السيّد ظهر في مقاربته الأُمور الحياتية والاجتماعية بأُسلوب جماهيري مبني على اختيار الموضوع واختيار المناسبة الأفضل لطرحه. وكانت الصحف التي تلتزم النضال الاجتماعي تتيح المجال للمظلومين للتشكّي والتظلّم، لكنّها لم تكن مرّة على الأقلّ حتّى سنة ١٩٧٣ بتصرّف كلّ المظلومين، فعمل الصدر على توجيه مسارها ودفعها إلى تبنّي طروحات الإنصاف الاجتماعي، والموازنة بين القضايا السياسية والمشاكل الاجتماعية.

وفي منحى تقويمي آخر اعتبر الصدر أنّ الإعلام في المجتمعات الحرّة هو «نار ونور»؛ لأنّه نور يضيء ونار تحرق. وهذا القول رسم حدود المرحلة الأُولى من التحرّك الاجتماعي ـ السياسي للإمام الذي راهن على الإعلام الواعي في عملية تأهيل الناس لفهم معنى الإعلام ووظائفه التعريفية والوطنية، إضافة إلى دوره في عملية «محو الأميّة» لدى المواطنين.

وثمّة نقطة أساسية في عملية بناء أُسس الشخصية القيادية عند الإمام، هي إسقاطه مبدأ «قل كلمتك وامش»، واعتماد مبدأ «قل كلمتك، وقاتل من أجلها».

وكانت أبرز المحطّات الإعلامية في مسيرة السيّد تلك التي كان يطلقها من قاعات الكنائس ومنابر المساجد والصروح الأكاديمية، حيث كان يحرص أن يكون ضمير جميع اللبنانيّين والمناضل في سبيل قضاياهم.

خلاصة القول: إنّ الإعلام عند الإمام الصدر إعلام ميداني عملي، يتلمّس المشاكل، ويطرحها مرفقة بمشاريع حلول، وليس إعلام شعارات أو إعلاماً تفجيرياً من دون سقف. إعلام قيادي مسؤول يعرف الإمساك بمقاليد «فنّ الزعامة» الراقية.

(سايت: www.bintjbeil.com).

تأييد واحترام، ومن ضمنها إصدار مجلّة أو جريدة.. لقد كان طالب الحوزة العلميّة يتخوّف أن يحمل معه جريدة أو مجلّة، فيتّهم في إيمانه وتقواه، ناهيك عن التفكير بإصدارها وتسنّم منصب مدير تحرير أو صاحب امتياز!

فيتطلّب دخول هذا الميدان التحلّي بشجاعة وإرادة استثنائيّة، وهكذا وبالتوكّل علىٰ الله، وبدعم من آية الله العظمىٰ البروجردي، في صيف ١٩٥٨ م صدر العدد الأوّل من مجلّة «مكتب إسلام» (مدرسة الإسلام)، فنالت موضوعاتها اهتمام الشهيد المطهّري، وخاصّة مقالات السيّد موسىٰ الصدر حول (المذهب الاقتصادي في الإسلام)؛ لأنّها كانت متناسبة مع متطلّبات العصر، وكانت من الأبحاث الحديثة في ذلك الزمان.

تناول الإمام موسىٰ الصدر في مقالاته تلك قضايا الاقتصاد المعاصر بالبحث والتدقيق، وأثر العوامل الثلاثة: (العمل، الرأس مال، وسائل الإنتاج) في التطوّر الاقتصادي، ثمّ وبعد المقارنة بين النظريات الاقتصاديّة الحديثة والنظريّة الإسلاميّة، استطاع أن يثبت قدرة الاقتصاد الإسلامي علىٰ التطبيق علىٰ أرض الواقع المعاصر بما يتناسب مع الحقائق الثابتة التي تربط العلاقات العامّة داخل المجتمع، وبما يلبّي طموحات الإنسان في هذه الحياة، وهذا ما تفتقده النظريات الاقتصاديّة الوضعيّة.

وقامت المجلّة بنشر هذه المقالات الاقتصاديّة في أعدادها العشرة الأُول ـ من العدد الثالث إلىٰ العدد الثاني عشر ـ قبل أن تتحوّل فيما بعد إلىٰ كتاب مستقلّ..

ولكن وللأسف الشديد كانت تلك المبادرة أوّل وآخر أثر علمي للإمام موسىٰ الصدر في تلك المجلّة.

تأسيس المدارس الأهلية

لعبت السلطة الشاهنشاهيّة الفاسدة دوراً كبيراً في إشاعة الفساد بين الشباب، وذلك عن طريق المراكز الثقافيّة والتربويّة العامّة، وفسحت المجال أمام الكثير من المغتربين لكي يسرحوا ويمرحوا داخل تلك المؤسّسات للترويج لثقافة العلمنة والانسلاخ عن الهويّة الإسلاميّة التي تعتبر الطابع المميّز للمجتمع الإيراني المسلم.

هذا الوضع سبّب رهبة العوائل المؤمنة من تسجيل أبنائها في تلك المدارس، فكانت هذه إحدىٰ الظواهر الخطرة التي هدّدت ثقافة الفرد الإيراني المسلم؛ لأنّ حرمان الأجيال عن الدراسة والتعليم لا يخدم المجتمع، كما أنّه يفسح المجال لطبقة المغتربين أن تمسك بزمام الأمور وتسيطر علىٰ مراكز التربية والتعليم، وتسيّرها في خدمة أهدافها الشيطانيّة.

ولم يفت الإمام موسىٰ الصدر الالتفات إلىٰ إشكالية هذا الوضع ومدىٰ خطورته، فقرّر هو وثلّة من المفكّرين المؤمنين، أمثال الشهيد الدكتور بهشتي تلافياً لعواقب تلك الظاهرة، قرّر إنشاء المدارس الأهلية في مقابل المدارس الحكوميّة، والتي تحمل علىٰ عاتقها تعليم وتربية جيل إسلامي متنوّر.

أبصر مشروعهم النور في مدينة قم، حيث استطاعوا الحصول علىٰ إجازة تأسيس أوّل ابتدائية، عرفت باسم: (ابتدائية الصدر)، تحت إشرافه وإدارته، وذلك في مطلع العام الدراسي ١٣٣٧ هـ. ش.. فكانت تلك البذرة التي نمت فيما بعد لتثمر الكثير من المدارس الأهلية في قم.

وبعد هجرة الإمام موسىٰ الصدر إلىٰ لبنان، واصلت هذه الابتدائية فعّالياتها تحت إدارة السيّد أحمد أوحدي.

الفصل الثاني:

الإصلاح والمقاومة في لبنان



لبنان تستقبل الإمام الصدر

في البدء زار الإمام موسىٰ الصدر لبنان، وذلك بدعوة من بعض علمائها الأعلام عام ١٩٦٠ م، وقد كان في نيّته أن يبقىٰ شهراً واحداً، ولكن بعد اطّلاعه عن كثب علىٰ الأوضاع المزرية والحرمان الذي كان يعيشه آنذاك المسلمون في لبنان، وبالذات الشيعة في الجنوب، قرّر سماحته البقاء في لبنان، وذلك خلافاً لرغبته الخاصّة.

وقبل التطرّق إلىٰ ما قام به الإمام الصدر من إنجازات، سوف نسلّط الضوء علىٰ لبنان ما قبل الصدر، وعلىٰ كافّة الأصعدة الجغرافيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والدينيّة، حتّىٰ تتوضّح عظمة الجهود التي بذلها الإمام الصدر في سبيل تغيير هذا البلد وتطويره نحو الأحسن.

الوضع الجغرافي

تقع لبنان في غرب آسيا، علىٰ الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسّط. تحدّها من الشمال الغربي سوريا، ومن الجنوب فلسطين.

كان عدد نفوسها آنذاك يربو علىٰ الأربعة ملايين نسمة بقليل، ومساحة أرضها حوالي ١٠٤٠٠ كيلو متر مربّع، وترتفع بحوالي ٣٠٠٠ متر عن مستوىٰ سطح البحر[١].

---

(١) موسوعة المورد ٦: ١٠٠.

عاصمتها بيروت، وأهمّ مدنها: طرابلس، جبيل، صور، صيدا، بعلبك، وزحلة، نبطية.

تمتلك لبنان ـ بالإضافة الىٰ موقعها الجغرافي المهمّ ـ أرضاً زراعيّة خصبة، أهّلها ذلك لأن تلعب دوراً زراعيّاً واعداً في المنطقة. وتعدّ من الدول المصدّرة للفاكهة، والتي علىٰ رأسها: البرتقال، والموز، والتفّاح، والزيتون، والليمون، والعنب[١].

الموقع الديني والسياسي

تتقاسم لبنان طوائف عديدة، ولكلّ طائفة مذهبها الرسمي الخاصّ بها، وأشهر هذه الطوائف هي: ١ـ الشيعة. ٢ـ السنّة. ٣ـ الدروز[٢]. ٤ـ المارونيّون[٣]. ٥ ـ

(١) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور جمران): ٢٩.

(٢) الدروز: فرقة منشقّة عن الإسماعيلية الأُمّ في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله (٤١٠ هـ)، يسمّون أنفسهم الموحّدين دينياً وبني معروف قومياً. انطلق داعيهم حمزة بن علي بن أحمد مبشّراً بدعوته بعد اختفاء الإمام الحاكم بأمر الله، ولكن أنصاره تعرّضوا لضغوط شديدة في مصر من قبل الإمام الظاهر لإعزاز دين الله سنة ٤٢٣ هـ، ممّا جعلهم يهاجرون إلى بلاد الشام، فبشّروا بدعوتهم هناك، فاستجاب لهم أُمراء حرب يدعون بالتنّوخيّين في لبنان. من عقائدهم: القول بقدم العالم، والتناسخ، والتقمّص، ويتّبعون في مواريثهم وزواجهم المذهب الحنفي السنّي، باستثناء الوصيّة. ومن طبقات مجتمعهم الدينية: العقال، والأجاويد، والشرّاح، والجهّال. وزعاماتهم في لبنان تتركّز في عائلتين: آل جنبلاط، وآل أرسلان. ومن زعاماتهم الاجتماعية العشائرية في سوريا آل الأطرش. (العقائد والأديان: ١٢٩ ـ ١٣١).

(٣) المارونيّة: من الطوائف الكاثوليكيّة الشرقيّة، تنسب إلى القدّيس مارون المتوفّى سنة ٤١٠م، وكان قد اعتزل في سوريا للعبادة، فذاع صيته وتجمّع حوله جماعة عرفوا فيما بعد ←

الكاثوليك(١). ٦ ـ البروتستانت(٢). ٧ـ الأرثوذكس(٣).

← بالمارونيّين، وقد اضطهدهم بعض المسيحيّين، فرحلوا إلى قلعة المضيق على نهر العاصي، حيث أشادوا ديراً عرف بدير مار مارون، وما برحوا أن لاقوا اضطهاداً آخر من اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة للسيّد المسيح، فهدموا ديرهم وقتلوا منهم (٣٥٠) شخصاً، وفي سنة ٦٥٩ هاحتكموا ضدّ اليعاقبة إلى معاوية بن أبي سفيان، فلم يحصلوا على طائل، فهاجروا إلى شمال لبنان حيث كانت إقامتهم الدائمة. وفي هذا المعقل ظهر القدّيس يوحنّا مارون الذي كان أوّل بطريرك للطائفة المارونيّة، وأخيراً خضعوا لسلطان البابا. من معتقداتهم: أنّ للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة، وذلك لالتقاء الطبيعتين في أُقنوم واحد. وأكثر تواجدهم في لبنان، وقسم من سوريا، وبعض البلدان العربيّة الأخرى. (العقائد والأديان: ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(١) الكاثوليك: طائفة مسيحية معروفة، ومعنى اسمها العامّة، وكنيستهم تسمّى بأسماء عديدة، كالغربية واللاتينية والبطرسية والرسولية. والكنيسة الكاثوليكية تتّبع النظام البابوي الذي يرأسه البابا والكرادلة، وهم أصحاب الحقّ الأوّل والأخير في تنظيم الكنيسة؛ لأنّ البابا تلميذ المسيح الأكبر على الأرض، وهو يمثّل إرادة الله، فإرادته لا تقبل الجدل والمناقشة! ومذهب الكاثوليك هو مذهب الطبيعتين والمشيئتين في الأُقنوم الواحد، حيث ولدت مريم أقنوماً إلهياً له ذاتان هما الإله والإنسان. وتعتقد الكنيسة الكاثوليكية بصكوك الغفران وبتولية مريم. (المدخل إلى دراسة الأديان ١: ٢٢٠ و٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٢) البروتستانت: متّبعو الإنجيل دون غيره، وتسمّى كنيستهم بالكنيسة الإنجيلية، ويمثّل البروتستانت ثورة في الفكر النصراني بدأها آريوس في القديم مروراً بنسطور وانتهاءً بالكثيرين الذين من أبرزهم لوثر كنج. وهم يستنكرون حقّ الغفران، والاستحالة، ومنع الصلاة للموتى، وقصر سلطان الكنيسة في الوعظ والإرشاد، ومنع استعمال لغة غير مفهومة في الصلاة. (الموسوعة الميسّرة في الأديان: ٥٠٣).

(٣) الأرثوذكس: كلمة يونانية تعني استقامة الرأي، وهي تطلق على أتباع الفكر اللاهوتي الباقي دون تغيير لتعليم الرسل والكنيسة الأولى. وبعد انشقاق الكنيسة بين كنيسة الشرق والغرب صارت كلمة أرثوذكسية تطلق على الكنائس الشرقية التي يحكم كلّ منها مجمع أساقفتها، وعلى رأسه البطريرك الذي هو أسقف المدينة الأمّ أو الأهمّ. من مذاهبهم أنّ للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. (موسوعة الأديان: ٦٨).

٨ ـ الإنــــجيليّون[١]. ٩ـ الأرمــن[٢]. ١٠ـالســـريانيّون[٣]. ١١ـ الأرمـــن البروتستانت[٤]. ١٢ـالأرمن السريانيّون.

الأحزاب السياسيّة

تمتلك لبنان موقعاً جغرافيّاً وسياسيّاً مهمّاً في المنطقة، وهذا العامل قد سبّب في تحريك أطـماع الدول الإقـليميّة وبـالذات العـربيّة، والعـالميّة وبـالأخصّ الأمريكيّة والفرنسيّة وغيرهما.

---

(١) الإنجيليّون: أتباع الكنائس البروتستانتية المتشدّدون الذين يشدّدون على الولادة الثانية للمؤمنين، وعلى العمل التبشيري حتّى تجاه غيرهم مـن المسـيحيّين، وعـلى المـبادئ الأخلاقية الصارمة. (موسوعة الأديان: ١٣٤).

(٢) الأرمن: أمّة من أقدم الأمم التي وجدت بعد الطوفان، ويـدّعون أنّـهم أوّل أمّـة اعـتنقت الديانة المسيحية، ولكن تبع ذلك اضطهاد طويل دموي بينهم وبين الوثنيّين. وهم يعتقدون بالاستحالة، والأسرار السبعة، والسجود للقربان في القـداس، لكـنّهم يـنكرون المـطهر، ويصلّون لأجل الموتى، ويعبدون القدّيسين، وعندهم تسع رتب لخدمة الدين، ورهبانهم يتّبعون قانون القدّيس باسيليوس. وينتشر الأرمن في بـقاع كـثيرة، كأرمـنستان ومـصر وسوريا ولبنان وتركيا وجورجيا وبولونيا وإيران والنمسا والهند والحبشة. (دائرة المعارف للبستاني ٣: ١٩٩ ـ ٢٠٩).

(٣) السريان: هم اليوم المسيحيّون أبناء اللغة السريانية، انفصلت منهم جـماعة عـن كـنيسة أنطاكية على أثر المجادلات اللاهوتية حول طبيعة المسيح، وتنظّمت في سوريا والعـراق بفضل يعقوب البردعي كنيسة يعرف أبناؤها باليعاقبة، كما تفرّعت منهم في القرن الخامس الكنيسة المارونية، وقد تكوّنت في القرن السابع عشر كنيسة سريانية كاثوليكية، وفي الهند طائفة لا يستهان بها من السريان هم المالنكاريّون، وطقوس السريان الكنسية مأخوذة من الطقس الأنطاكي، يستعملون فيها اللغة السريانية. (المنجد في الأعلام: ٣٥٤).

(٤) الأرمن البروتستانت: طائفة ظهرت سنة ١٨٢٨ م، أسّسها القـسّيس ديباجي أوغـلو مـن سكّان القسطنطينية، وعقائدهم نفس عقائد البروتستانت. (دائرة المـعارف للـبستاني ٣: ٢١١).

ولهذا لا نجد غرابة في أنّ لبنان ظلّت ولسنوات متمادية مركزاً لصراعات طائفيّة، بل وحتّىٰ صراعات فكريّة وثقافيّة مرتبطة بجهات خارجيّة، حتّىٰ داخل الطائفة الواحدة، وكانت كلّ قدرة تسعىٰ لتثبيت وجودها علىٰ كافّة الأصعدة السياسيّة والثقافيّة وحتّىٰ العسكريّة.

وإلىٰ ما قبل حضور الإمام الصدر كانت لبنان مسرحاً لتنافس أكثر من سبعين حزباً وتنظيماً داخلياً، يأتي علىٰ رأسها:

١ ـ حزب الكتائب الماروني، بقيادة بيير الجميّل.

٢ ـ حزب الأحرار، بقيادة كميل شمعون.

٣ ـ حزب حُرّاس الأرز، بقيادة إيتان صفر المعروف بأبي الأرز.

٤ ـ الحزب الشيوعي (الجبهة الشعبيّة)، بقيادة جورج حاوي.

٥ ـ حزب الطليعة الاشتراكي، بقيادة كمال جنبلاط، ومن ثمر ابنه وليد جنبلاط.

٦ ـ منظّمة النضال الشيوعيّة، وهي منشقّة عن الحزب الشيوعي .

٧ ـ حزب البعث السوري، بقيادة عاصم قانصورة .

٨ ـ حزب البعث العراقي، بقيادة عبد المجيد الرافعي .

٩ ـ المرابطون، بقيادة إبراهيم قليلات.

١٠ ـ اتّحاد القوىٰ العمّاليّة الوطنيّة، بقيادة كمال شتيلا.

١١ ـ حزب القوىٰ السوري الاجتماعي، بقيادة أنعام رعد[1].

---

(١) للاطّلاع على ماهية هذه الأحزاب والمنظّمات وقياديها راجع موسوعة السياسة ٥: ٤٢١ ـ ٤٢٣.

نقطة البداية

كرست جهود الإمام موسىٰ الصدر في لبنان على أربعة محاور أساسيّة، كالتالي:

أ : مواجهة الحرمان الثقافي

منذ الوهلة الأُولىٰ لدخول الإمام الصدر إلىٰ لبنان وطبق تخطيط مسبق، أكّد علىٰ ضرورة الاستفادة من المساجد والمراكز الثقافيّة، كالمدارس والجامعات وسائر المراكز الفنّية والتثقيفيّة، كوسيلة من وسائل الارتباط بالشباب اللبناني المتعلّم، وهذا فعلاً ما قام به أوّلاً، بحيث استطاع وخلال فترة قصيرة جدّاً استقطاب أعداد كبيرة من الشباب المسلم وحتّىٰ المسيحي إلى دائرة الدين والتديّن.

لقد حوّل الإمام موسىٰ الصدر المدارس والجامعات إلىٰ خنادق محصّنة ومنيعة أمام الهجمات الثقافيّة الأجنبيّة، وأعاد للطالب المثقّف ثقته بنفسه وثقته بثقافته الدينيّة والوطنيّة.

ب ـ مواجهة الحرمان الاقتصادي

اعتقد الإمام موسىٰ الصدر بوجود علاقة مباشرة بين الحرمان الثقافي والاقتصادي، وأنّه لا تفصيل بين هذين الجانبين، بل هما مكمّلان بعضهما البعض. كان يقول: «إنّ تكليفي يحتّم عليّ أن أُساهم في ارتقاء المستوىٰ الحياتي للبنان علىٰ وجه العموم، والمستوىٰ الثقافي للمسلمين... واعتقد أنّنا بهذا المستوىٰ

الحياتي المتدنّي لا يمكن أن نرقىٰ إلىٰ مستوىٰ فكري أعلىٰ»[١].

من هذا المنطلق قام بإنشاء المراكز التعليميّة والتربويّة التالية:

١ ـ مؤسّسة جبل عامل المهنيّة، لتعليم الحدادة واللحام.

٢ ـ تنشيط أعمال جمعيّة البرّ والإحسان التي أسّسها المرحوم شرف الدين بهدف تشخيص المحرومين في المجتمع للأخذ بأيديهم وتعليمهم.

٣ ـ بيت الفتاة؛ لتعليم بنات الفقراء الأشغال اليدويّة والخياطة.

٤ ـ معهد التمريض؛ لتعليم النساء مهنة التمريض، بحيث يؤهلهنّ المعهد لنيل شهادة رسميّة في المهنة الشريفة، ويساعدهنّ للعمل في المستوصفات والمستشفيات.

٥ ـ مؤسّسة تعليم حياكة السجّاد؛ لتوفير فرص العمل لكثير من المحرومين والمستضعفين.

٦ ـ مركز طبّي باسم (مدينة الطبّ)؛ لتسهيل الوضع العلاجي والصحّي للمحرومين.

٧ ـ بعض الحوزات العلميّة.

٨ ـ منظّمة النساء؛ لتفعيل دور المرأة في الحياة.

٩ ـ دار الأيتام.

١٠ ـ مؤسّسة مكافحة الأُمّية.

١١ ـ دار المعوّقين والعجزة.

١٢ ـ نادي الشباب الرياضي؛ لأجل تقوية الجانب الروحي والدفاعي لدىٰ الشباب.

---

(١) ياران إمام، ويژه إمام موسى صدر، گزارش‌هاى ساواك (أنصار الإمام، خاصّ بالإمام موسىٰ الصدر، تقارير السافاك) ١: ٣٣٣.

ولقد كان للنشاطات المتواصلة لهذه المراكز الاقتصاديّة الأثر المحسوس في تحسين الأوضاع المعيشيّة، وقد أضفت رونقاً اقتصاديّاً وأملاً أكثر في التطوّر والانتعاش، ممّا لفت أنظار رجالات الدولة وأولئك الذين عجزت أطروحاتهم الاقتصاديّة المتكرّرة لانقاذ البلاد من براثن الفقر، وأضحت مشاريع الإمام موسىٰ الصدر تلك نموذجاً يحتذىٰ به(*).

(*) في بدء ولايته عمل الإمام الصدر على تأمين مقرّ للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في بناء لائق من أربع طبقات على عقار مساحته ٦٤٧٥ متراً مربّعاً، ويحتوي على قاعات واسعة للاجتماعات العامّة، ويقع في محلّة «الحازمية» بضاحية بيروت الشرقية الجنوبية، وسُجّلت ملكية هذا العقار باسم «أوقاف الطائفة الشيعية».

كما عمل سماحته على تمليك أوقاف الطائفة عقاراً ثانياً بضاحية بيروت الغربية الجنوبية محلّة «خلدة» مساحته ٧٩٠٤ أمتار مربّعة، ويقوم عليه بناء مؤلّف من سبع طبقات، وأطلق عليه اسم «مدينة الزهراء الثقافية والمهنية»، وتقوم مؤسّسات الطائفة باستخدامه، كذلك أمّن الإمام لمشاريع المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الانتفاع من قطعة أرض مساحتها ١٥٠٣٤ متراً مربّعاً من مشاعات بلدة «الغبيري» في ضاحية بيروت الغربية الجنوبية «محلّة الجناح»، وأنشأ عليها «مستشفى الزهراء» التابع للمجلس.

وحقّق سماحته شراء ١٩٠ ألف متر مربّع من الأراضي في «الوردانية» (طريق صيدا ـ بيروت) لتشييد مؤسّسات اجتماعية وثقافية ومهنية عليها، وسجّل ملكية هذه الأراضي باسم «أوقاف الطائفة».

كما حقّق الإمام لـ«جمعية البرّ والإحسان» في صور (التي يتولّى نظارتها العامّة) شراء ٩٠٠ ألف متر مربّع في بلدة اللبوة (بعلبك) لإنشاء مدرسة فنيّة زراعيّة ومشاريع أُخرى عليها، وعمل على توسيع منشآت وتجهيزات لـ«جمعية البرّ والإحسان» في صور (وهي من مؤسّسات الطائفة ذات المنفعة العامّة)، وذلك تحقيقاً لتوسيع المؤسّسات.

هيئة نصرة الجنوب:

على أثر العدوان الإسرائيلي على القرى الحدودية الجنوبية والذي ألحق خسائر جسيمة بأرواح المواطنين الأبرياء وممتلكاتهم، وتسبّب بنزوح أكثر من خمسين ألف مواطن من ثلاثين قرية حدودية، على أثر ذلك بادر الإمام بتاريخ ١٣/٥/١٩٧٠ إلى دعوة الرؤساء ←

← الدينيّين في الجنوب من مختلف الطوائف، وأسّس معهم «هيئة نصرة الجنوب» التي أولت رئاستها للإمام الصدر، ونيابة رئاستها للمطران خريش (أصبح فيما بعد بطريركاً للموارنة)، وتبنّت هذه الهيئة مطالب الإمام الصدر لحماية الجنوب وتنميته.

مجلس الجنوب:

طالب الإمام الصدر السلطة اللبنانية مراراً لتقوم بواجباتها في دعم الجنوبيّين، لكنّها لم تتجاوب بالشكل المطلوب، فأعلن هجومه ضدّها، ودعا إلى إضراب وطني عامّ بتاريخ ١٩٧٠/٥/٢٦، فلبّى الإضراب مختلف فئات الشعب، واجتمع مجلس النوّاب مساء ذلك اليوم، وأقرّ ـ تحت ضغط التعبئة العامّة ـ مشروع قانون يقضي بإنشاء مجلس الجنوب، مهمّته المساهمة في تعزيز صمود الجنوبيّين، والتعويض عن أضرار الاعتداءات الإسرائيلية، والإنفاق على مشاريع وخدمات عامّة.

مطالب الطائفة:

بعد التأجيل والتعثّر (لأسباب معروفة) لم يبق أمام الطائفة سوى أسلوب المطالبة الضاغط، وقد حصل اجتماع برئاسة الإمام في ١٩٧٤/٢/٨ (عاشوراء ١٣٩٣ هـ)، وأقرّ المطالب التالية:

ـ في حقل الوظائف العامّة: على أساس العدالة التي يؤكّدها الدستور نجد أنّ الطائفة الشيعية تشغل في الوقت الحاضر وفي الفئة الأولى على سبيل المثال ١٩ مركزاً من أصل استحقاقها البالغ ٣٠. هذا مع العلم أنّ الطائفة محرومة من أيّ مركز في الوظائف العليا الإدارية والقضائية، إضافة للحيف اللاحق بها في مراكز الجيش وقوى الأمن الداخلي، فضلاً عن رؤساء كلّ مجالس إدارات الدولة. إنّ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى يطالب بإنصاف الطائفة الشيعية بشكل سريع عن طريق تعيين أصحاب الكفاءات من أبناء هذه الطائفة في أحد عشر مركزاً من مراكز الفئة الأولى.

ـ بالنسبة لنوعية المراكز: يرفض المجلس تصنيف المواطنين طائفياً، ويؤكّد بقوّة مطالب القائلين برفض طائفية الوظيفة وضرورة تبادلها بين مختلف الطوائف حسب كفاءاتهم.

ـ إنّ مسألة الدفاع عن حدود الوطن وعن سلامة المواطنين في أرجاء البلاد هي المسؤولية الأولى للسلطات، وفي هذا الحقل يحتجّ المجلس على إهمال قضية الدفاع عن الجنوب، ولا يمكنه القبول بأعذار ومبرّرات غير صحيحة أو غير كافية.

←

← - إنّ الألوف من المواطنين في مناطق بعلبك والهرمل والشمال ومناطق أخرى لا يملكون بطاقة هوية لبنانية، وبالتالي يحرمون من كافّة حقوق المواطنية، إنّ هؤلاء لا يمكن التشكيك في لبنانيتهم أو ولائهم الوطني، ولكن ظروفهم الحياتية وسكنهم في مناطق نائية جعلتهم من المكتومين.

- لحظ الاعتمادات اللازمة لإنشاء الخزّان الواجب تنفيذه في بحيرة اليمّونة القديمة لتأمين ري أربعة آلاف هكتار إضافية، مع ما يلزم من اعتمادات لإتمام شبكة الري في الأراضي الواقعة بين دير الأحمر والكنيسة حتّى شمسطار.

- تنفيذ مشروع السدود في نحلة - وادي سباط - جنتا - يحفوفا - شمسطار، ومشروع ري سهل بعلبك من مياه رأس العين، وري الأراضي من حوش تل صفية، وإيعات من نبع عدوس، ومشروع منخفض عيحا، ومشروع ري مرجحين - جباب الحمر من عيون أرغش، ومشروع مياه اللبوة، وتقويم مجرى الليطاني في أراضي حوش الرافقة - بدنايل - تمنين التحتا، وتزويد بعلبك بمياه نبع البغل ونبع اللجوج.

- إعطاء الأولوية في إنشاء المدارس الرسمية والمهنية ودور المعلّمين والمعلّمات في الجنوب والبقاع وعكّار، وعدم اللجوء إلى تمرير المشاريع المدرسية في المناطق المتقدّمة تدريجياً، كما هو الحال الآن.

- إنشاء المستشفيات والمراكز الصحيّة في المناطق المحرومة، وتحسين وضع مستشفى الهرمل، وتخصيص الأموال الموجودة في مصلحة التعمير لإنشاء شبكات المجارير في تلك المناطق، وذلك بموجب قوانين نافذة تمنع التصرّف الكيفي بأموال مصلحة التعمير.

- تنفيذ مشروع أوتوستراد بيروت - صيدا - صور، وأوتوستراد بيروت - شتورا - بعلبك - الحدود السورية، وتنفيذ مشروع طرق القرى المحرومة.

لم توافق السلطات اللبنانية على مطالب الإمام التي تفاعلت وبلغت ذروتها في سنة ١٩٧٣م، وأخذت وسائل الإعلام ومحافل السياسة تتناقل هذه المطالب. فأعلن سماحته عن تصميمه على المواجهة السلبية بحال لم تتجاوب السلطة مع المطالب، ولكن في تشرين الأوّل ١٩٧٣م حصلت الحرب بين العرب وإسرائيل، وكان لابدّ آنذاك من توحيد كافّة الجهود في الداخل لمواجهة العدوان الخارجي.

وبعد نهاية هذه الحرب أعلن الإمام معارضته للحكّام؛ لأنّهم يتجاهلون حقوق المحرومين، ←

ج ـ الاهتمام بالجانب السياسي ـ الإداري

لم يكتف الإمام موسىٰ الصدر بما حقّقه من إنجازات ثقافيّة واقتصاديّة، فقام وكخطوة أساسيّة ثالثة بتأسيس مجلس شيعي تحت عنوان: (المجلس الشيعي الإسلامي الأعلىٰ) في لبنان، ولم يقم بذلك باعتبار كونه أحد أبناء هذه الطائفة، ففكره وانتماؤه كان أوسع من أن يُحدّ أو يضيّق، وإنّما قام بذلك لإحساسه بأنّ الشيعة كانوا قياساً بإخوانهم السنّة أو قياساً بالمسيحيّين يعيشون أوضاعاً صعبة يؤسف لها.

ففي الوقت الذي كانت فيه جلّ الطوائف تتمتّع بمراكز قوىٰ رسميّة في أغلب مؤسّسات الدولة، وتحظىٰ بقيادات مهمّة تدافع عن حقوقها وتلبّي مطالبها، لم يكن الأمر نفسه مع الشيعة؛ إذ كانوا يفتقدون أبسط تشكيلة سياسيّة تدافع عن حقوقهم ومطالبهم المشروعة.

وعلىٰ الرغم من المخالفة الشديدة التي واجهها هذا المشروع من داخل

← وصعّد حملته بمهرجانات شعبية عارمة، كان أضخمها مهرجان بعلبك، بتاريخ ١٧/٤/١٩٧٤ م، ثمّ مهرجان صور، بتاريخ ٥/٥/١٩٧٤ م، وضمّ كلّ منهما أكثر من مائة ألف مواطن، أقسموا مع الإمام على متابعة جهادهم، وأن لا يهدأوا حتّى لا يبقى في لبنان محروم واحد أو منطقة محرومة، وهكذا ولدت «حركة المحرومين» التي رسم الإمام الصدر مبادئها بقوله: «إنّ حركة المحرومين تنطلق من الإيمان الحقيقي بالله وبالإنسان وحرّيته الكاملة وكرامته، وهي ترفض الظلم الاجتماعي ونظام الطائفية السياسية، وتحارب بلا هوادة الاستبداد والإقطاع والتسلّط وتصنيف المواطنين، وهي حركة وطنية تتمسّك بالسيادة الوطنية وبسلامة أرض الوطن، وتحارب الاستعمار والاعتداءات والمطامع التي يتعرّض لها لبنان».

تابع الإمام الصدر تحرّكه، وعقد لقاءات مع شخصيات البلاد ورؤساء الطوائف، وبعد حوار مع نخبة من المفكّرين اللبنانيّين من مختلف الطوائف وقّع ١٩٠ مفكّراً على لائحة تضمّ المطالب العشرين التي أعلنها.

(السايت الخاصّ بالإمام موسى الصدر).

الطائفة وخارجها، ولكن ذلك لم يمنعه من متابعة دعوته، فعقد مؤتمراً صحفيّاً بتاريخ ١٥/٨/١٩٦٦م، عرض فيه آلام الطائفة ومظاهر حرمانها بشكل علمي مدروس معتمداً علىٰ الإحصاءات، وبيّن الأسباب الموجبة لإنشاء المجلس، وأعلن أنّ المطلب أصبح مطلباً جماهيريّاً تتعلّق به آمال الطائفة.

وهكذا أتت الدعوة ثمارها، وأقرّ مجلس النوّاب اللبناني هذا الاقتراح بتاريخ ١٦/٥/١٩٦٧م.

ولأجل إتمام المراحل القانونيّة باشر المجلس أوّل جلساته في صيف عام ١٩٦٩م لانتخاب الهيئة التشريعيّة المتكوّنة من تسعة أشخاص من كبار علماء الشيعة، وهيئة إجرائيّة تضمّ ١٢ عضواً.

وبتاريخ ٢٣/٥/١٩٦٩م عقد المجلس اجتماعه الثاني لانتخاب أوّل رئيس له، فتمّ التصويت وبرأي الأغلبيّة الساحقة علىٰ الإمام موسىٰ الصدر، ليكون أوّل رئيس منتخب للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلىٰ.

في البدء تمّ تعيين المدّة الرئاسيّة بستّ سنوات، ولكن فيما بعد وبتاريخ ٢٩/٣/١٩٧٥م جرىٰ تعديل مدّة ولاية رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلىٰ، بحيث أصبحت لغاية إتمامه الخامسة والستّين من العمر، وتمّ هذا التعديل وفقاً للأُصول بعد موافقة الهيئة العامّة للمجلس بالإجماع، وذلك بعد أن أثبت الإمام الصدر خلال السنوات الأربع من رئاسته جدارة فائقة النظير، وأثبت أنّ المجلس الأعلىٰ تحت إدارته لا يقلّ فعّاليّة عن مراكز الدولة، أعمّ من رئاسة الجمهوريّة والوزارات والبرلمان، فهو وإن كان في الظاهر مجلساً شيعيّاً، إلّا أنّه في الواقع كان لسان حال جميع المحرومين في لبنان[1].

---

(١) لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب: إمام موسى صدر أُميد محرومان (الإمام موسىٰ الصدر أمل المحرومين) لعبد الرحيم أباذري.

د ـ تفعيل الدور العقائدي ـ العسكري للشيعة(*)

(*) الإمام الصدر وتأسيس المقاومة، النائب والوزير الحاجّ محمّد فنيش، ٢٠٠١/٨/٣١ م.

الكتابة عن الإمام موسى الصدر في أيّ مجال من مجالات حركته وفكره ليست كتابة عن مرحلة تاريخية مضت، ليتوقّف الباحث عندها معيداً تركيب الأحداث وتحليلها واستنتاج خلاصات منهجية أو معرفية، بل هي كتابة عن واقع معاش متّصل وملتصق بدور الإمام الصدر. بصماته وتأثيره حاضران في كلّ مسارات التحوّلات الجارية على مستوى الوطن، أو على مستوى امتداد الساحة التي شغلها بحركته وجهاده وفكره.

وصعوبة الحديث على من عاصر هذا القائد الفذّ تصل إلى حدّ استحالة وضع حاجز بين عاطفة متدفّقة وتقدير كبير، وبين الحرص على كتابة مستندة إلى مصادر البحث وعلمية المنهج.

وكيف يقدر من يشعر بأنّه مدين لفكر الإمام ونهضته وإسهامه في تفتح آفاق وعيه وبلورة معارفه وشخصيته، كيف يقدر أن يفصل بين حبّه واحترامه لهذا الإنسان وبين الحديث المجرّد العلمي ؟!

عسى الله أن يوفّقني للإسهام ـ ولو ببعض من وفاء ـ لإبراز دور هذا الإمام الجليل سليل آل بيت النبي المرتبط بعمق منهجهم وفكرهم ودورهم الرسالي والإنساني في الحياة، من نشأة وتأسيس أهمّ ظاهرة عرفها تاريخ لبنان الحديث، بل تاريخ المنطقة العربية بأسرها، ظاهرة المقاومة اللبنانية التي تغذّت من فكره نهجاً وثقافة ورعاية حتّى صلب عودها وأينعت ثمارها وحقّقت ما بشّر به دائماً: «إنّ إسرائيل قوية، ولكنّها ليست إلهاً أو أسطورة». فكان الاندحار والهزيمة المذلّة للعدوّ، وكان التحرير والانتصار للبنان وشعبه ومقاومته.

١ ـ الشخصية القيادية:

ما يميّز الشخصية القيادية هو تمتّعها بصفات ذاتية تجسّد التزامها وذوبانها في قناعاتها الفكرية والاعتقادية إلى حدّ التطابق التامّ بين قولها وفعلها، وموقفها وعملها، وكذلك سعيها الدؤوب وإيمانها الراسخ بقدرة شعبها وأمّتها على مواجهة الأخطار والتحدّيات وتحقيق تطلّعاتهم وطموحاتهم في التطوّر والتقدّم والتحرّر.

ويتجلّى دور القيادة في استنهاض الطاقات والقدرات ومعرفتها وتحريكها نحو مشروع تغييري إصلاحي رغم صعوبة الواقع وتعقيداته وتأثيره في إحباط الهمم وإضعاف النفوس.

يبرز دور القائد في تفاعله المبدع مع حركة الواقع، وقدرته الهائلة على استشراف آفاق ←

← المستقبل ورسم مساراته، وبناء ركائزه وفق رؤية صائبة واضحة الأهداف ووسائل لا تحيد عنها. الشخصية القيادية يميّزها تجرّدها عن الذات ومصالحها، الأمر الذي يمكنها من إدراك الحقائق وإزالة الحجب عنها، فتتجاوز أقوالها وأفعالها حدود الحاضر المعاش لتستمرّ مع حركة الزمن مشعل هداية، وترسم للأجيال صورة المستقبل، وتنير لهم دروبه.

والإمام الصدر واحد من أبرز هذه النماذج القيادية في تاريخنا المعاصر، تقرأ في كتابه فتبهرك سعة أفقه وقدرته على فهم حركة الواقع وأسبابها ودقّة تنبّؤه وتوقّعاته. مثله ليس كمثل أولئك المتأمّلين المتنبّئين والحالمين، بل كمثل أصحاب الرسالات الساعين إلى التغيير والإصلاح ونشر رسالاتهم وأفكارهم مدركين الظروف والأوضاع المحيطة بهم بالتصدّي والتفاعل والانفتاح بكلّ الوسائل والسبل المتلائمة مع الغاية والمبدأ؛ بالكلمة الناصحة الهادية والموجّهة، بالحركة الدؤوبة المتصّلة والملتصقة بهموم الناس وقضاياهم، بالانفتاح على مجريات الزمن وتحوّلاته والأحداث والقوى والتيّارات والمذاهب المؤثّرة، بالتفاعل المنتج الذي يحرّك قوى الخير ويحدّد وجهة المسير. ويقترن كلّ ذلك مع حضور دائم، ووعي متحرّك، وثبات على المبدأ، واستعداد لا حدود له لتحمّل تبعات الموقف والحركة.

مثل هذا النموذج من القيادات ليس سياسياً بالمعنى المألوف لكلمة (سياسة) المرادف للمصالح الآنية أو الفئوية أو الذاتية والمتمثّلة بطموح أو صراع غايته التسلّط طلباً لنفوذ أو وجاهة أو منفعة أو لهم معاً. هو نموذج من المصلحين الذين يطلقون حركة التغيير ويؤسّسونها ويهبونها كلّ ما لديهم وفيهم من طاقات وقدرة، فيتركون للأجيال عصارة فكر متجدّد، ولقوى التغيير خلاصة منهج قدوة. «نحن لسنا قادة سياسيّين، وإنّما خبراء بشؤون الدين، نهتمّ بالقضايا الاجتماعية إلى جانب واجباتنا الدينية». «لا أقبل أن يحدّد الزعماء العرب مسؤولياتنا الدينية من خلال ما يرتأون من حلول سياسية، وليست هذه أوّل مرّة تصطدم فيها الآيديولوجية أو العقيدة مع الأساليب السياسية ومع تصرّفات المسؤولين».

٢ ـ ظروف نهضة الإمام الصدر:

إنّ الحكم على أيّ تجربة إنسانية فردية كانت أم جماعية، وكذلك تقييم دور مسيرة أو حركة أو قيادة، لابدّ أن يأتي بعد معرفة وافية للظروف والأوضاع التي أحاطت بهذه التجربة أو المسيرة أو القيادة. بدون ذلك تتوه الأحكام في منزلقات الهوى والرغبة ونوازع الذات ←

← والتأثّر بالعصبيات أو المصالح أو الإعلام الموجّه والمؤثّر على الأفكار والأفهام والذي يحرّكه أصحاب السلطة أو النفوذ ممّن تعارضت مصالحهم وموقفهم مع حركة التغيير وأهدافها وقيادة مسيرتها وتجربتها.

كما أنّ معرفة أهداف التحرّك شرط لازم لتقويم الدور والأداء، وقياس مستوى نجاحه في الاقتراب من الأهداف المرسومة، ومدى إسهامه في تطوّر الأحداث ونتائجها. معرفة الظروف تتيح تحديد الوسائل الممكنة والمتاحة، وتسمح بالحكم على ما تمّ استخدامه منها وما ابتكر، وتساعد على تقويم التجربة ونهج قيادتها سلباً أو إيجاباً، تأييداً أو معارضة. وكذلك فإنّ معرفة الأهداف تمكّن من إصدار الحكم بالنجاح أو الفشل وفق معادلة بين طبيعة الحكم ودرجته تتناسب طرداً مع الاقتراب من الأهداف أو الابتعاد عنها.

تعرّف الإمام الصدر على مشكلات الوطن والتفاوت الاجتماعي والفجوات الإنمائية بين المواطنين والمناطق اللبنانية، بعد فترة من نشاط دائم وطويل منذ قدومه إلى لبنان في أواخر سنة ١٩٥٩، وإقامته في مدينة صور في منزل الإمام السيّد عبد الحسين شرف الدين، وبطلب منه وتأييد من المراجع الفقهية في النجف وقم.

استطاع الإمام الصدر ـ وهو العالم الديني الواسع الثقافة والمنفتح على الحضارة الحديثة وتغيّرات الأزمنة ـ أن يحدّد بوضوح مكامن الخطر، وأن يستشعر ما يهدّد سلامة الوطن ومصيره ومستقبل أجياله: الحرمان الذي يدفع الناس للهجرة خارج أرض الوطن أو الانتقال إلى أحزمة البؤس حول عاصمته طلباً للرزق وسعياً لنيل فرصة عمل تمكّن من تلبية حاجات الأسر في العيش والتعلّم في ظروف معيشية وسكنية بائسة بعدما فقدت إمكانية العمل في قراها والأرياف ولم تجد لأبنائها مكاناً للتعلّم والدراسة، والظلم الاجتماعي والغبن اللاحق بحقّ شرائح واسعة من المواطنين في الوظائف والإدارات الرسمية وخدمات الدولة، يضاف إليه تهجير قسري ناجم عن افتقاد الأمن في منطقة الجنوب جرّاء العدوان الإسرائيلي وتهديداته الدائمة. يقابل ذلك بالإهمال واللامبالاة من أهل السلطة، وبالتقاعس عن الدفاع عن سيادة الوطن وأمن المواطن، ويكتفي بالتفرّج على جرائم الصهاينة وقصفهم وتنكيلهم واستباحتهم لسيادته الوطنية وحرمات القرى والمنازل وأمن أهلها.

وسط ذلك كلّه تنتشر أفكار ويروّج لآيديولوجيات تستغلّ معاناة الناس وبؤسهم، لتمسّ ←

← قيمهم وثقافتهم وتهزّ عقائدهم، وتوظّف في مشاريع سياسية ومصالح وطموحات يتباين أصحابها في وعيهم وإخلاصهم وصدقهم وقدرتهم على تغيير أو تحسين الأوضاع القائمة.

ويحصل تداخل بين المسألة الاجتماعية ـ السياسية داخلياً، ونموّ ظاهرة المقاومة الفلسطينية التي وجد فيها الناس تعويضاً عن مرارات الهزائم العربية، وخصوصاً بعد هزيمة حزيران عام ١٩٦٧ وإخراج المقاومة من الأردن. فيمتزج تعاطف الناس وحبّهم للمقاومة وعداؤهم للصهاينة مع رفض الفئات المحرومة لسياسة الإهمال والتمييز بين المواطنين والتخاذل أمام العدوان الصهيوني.

ويكتفي معظم علماء الدين بدورٍ تقليدي بعيداً عن قضايا المجتمع وهموم الناس وبعيداً عن وعي التطوّرات الجارية وأبعادها ونتائجها واستهدافاتها، لا عن تقصير في التحرّك والمطالبة في الحقوق فحسب، بل عن جمود في الفكر وتخلّف في الوعي والمفاهيم. الأمر الذي أوجد فجوة عميقة بين جيل الشباب وعلماء الدين والثقافة الدينية، انعكست ابتعاداً وغربة، وأحياناً عداء لأحكام الدين وقيمه وتصوّراته عند الشباب.

أمّا أهل السياسة ممّن يحسبون ممثّلين للطوائف والمناطق المحرومة فقد كانوا بعيدين في أبراج معزولة، لا يشعرون فيها مدى المعاناة، ولا يبدون تحرّكاً فاعلاً وجهداً مفيداً يخفّف من المأساة ويدفع مؤسّسات الدولة إلى تغيير السياسات.

أدرك الإمام الصدر بحركته الدؤوبة ونشاطه الشامل على امتداد مساحة الوطن وتواصله الدائم مع الناس والقرى والبلدات، أدرك عمق الأزمة الاجتماعية وخطورة مضاعفاتها وانعكاساتها الأمنية والسياسية والثقافية على استقرار الوطن وأمنه وتطوّره، كما على مستقبل المقاومة وعلاقاتها مع المجتمع ودورها في مواجهة المشروع الصهيوني واسترداد الحقّ المغتصب.

٣ـ المشروع والنهج والوسيلة:

لا ينفصل مشروع الإمام الصدر ونهجه ووسائل حركته وعمله عن ثقافته والتزامه ومسؤولياته الدينية وإيمانه الحقيقي بالله، لا الإيمان التجريدي. «والحقيقة أنّ الإيمان بالإنسان هو البعد الأرضي للإيمان بالله، بعدٌ لا يمكن فصله عن البعد السماوي».

والإيمان بحسب مفهوم الإمام الصدر هو الذي يحدّد شخصية الإنسان، ويرسم قواعد ←

← التعامل والسلوك الإنساني، وعلى أساسه يحدّد مواقفه من قوى المجتمع. «إنّ اليسار إذا وصفنا بقوى التغيير فإنّني أعتبر نفسي أحد أركانه، ولكنّني لا أثق بمن لا يؤمن بالله، فالإيمان في رأيي ليس تجريدياً، بل يحدّد معالم شخصية الإنسان وسلوكه مرحلياً واستراتيجياً».
والمستقرئ لنهج الإمام الصدر ووسائله يجد منهجاً حركياً جديداً في العمل الديني وتجدّداً وانفتاحاً في مفاهيمه، هو نهج مماثل لنهج الإمام الخميني ﷺ في نظرته إلى العالم الديني وواجباته، ودور الناس في مشروع الإصلاح والتغيير ومواجهة الفساد والظلم والانحراف، مع اختلاف في الظروف وطبيعة ساحة العمل وجهل الكثيرين في تلك الفترة لحركة الإمام الخميني.
الحركات الإسلامية ـ الشيعية منها خاصّة ـ قبل حركة الإمام الصدر وأثناءها حتّى مرحلة ما قبل انتصار الثورة الإسلامية في إيران، كان منهجها في العمل يرتكز على الوسائل والأنشطة التربوية والثقافية، وترى ذلك ضرورة لإعداد المجتمع وفق مراحل (تحاول فيها تقليد مراحل الدعوة في عصر رسول الله ﷺ)، لا حدود زمنية لها قبل التصدّي للشأن العامّ السياسي الاجتماعي. لم تؤمن بالحركة الجماهيرية، ولم تحمل مشروعاً إصلاحياً شاملاً، بل كان جهدها منصبّاً على انتقاء أفراد وتربيتهم سلوكياً وتأهيلهم ثقافياً بعيداً عن هموم وقضايا المجتمع والتصدّي السياسي لمعالجة مشكلاته. فانزوت بنفسها وأتباعها دون تأثير في الأوضاع والتطوّرات السياسية، واكتفت بترداد شعارات جاهزة عاجزة عن تقديم الحلول ورسم أهداف ووسائل لتحرّك شعبي قادر على التأثير في الشأن السياسي العامّ ووجدان الناس وعقولهم. واستندت في ذلك إلى تبريرات وتفسيرات تعبّر عن قناعات وأفهام خاصّة بها حول نظرة الدين ونهجه في التحرّك ومفهومه للإنسان والأوطان والمجتمعات.
على ضوء هذا النهج التجديدي والفهم الديني للإسلام «إسلام موسى الصدر» حدّد الإمام مواقفه وأسباب تحرّكه ومنطلقات حركته وأهدافها وعلاقاتها مع الآخرين.
٤ ـ الوطن في فكر الإمام الصدر:
لم يكن مفهوم الوطن ملتبساً في فكر الإمام الصدر، والحاجة إليه ليست ترفاً فكرياً، كما أنّ الانتماء إليه ليس قيداً يحدّ حريّة الفكر ويمنع التطلّع إلى علاقات منفتحة مع سائر أجزاء ←

← وأوطان الأُمّة الواحدة. والأُمم المختلفة تعبّر عن إرادة المواطنين وتاريخهم وانتمائهم الحضاري والثقافي ومصالحهم الآنية والبعيدة. «إنّ الحاجة إلى الأوطان ليست ترفاً فكرياً، أو رغبة في اتّساع رقعة المسكن، أو اتّفاقية مكتوبة تربط بين المناطق المتعدّدة، بل هي حقيقة التطوّر والنموّ التدريجي في المنافع والأخطار والمصالح والأضرار. وهي أيضاً المشاركة الحقّة في الآلام والآمال وبقاء الأوطان وخلودها أيضاً ليس أُنشودة ولا حلماً، ولا التزامات وطنية أو دولية، بل هو الوحدة الحقيقية في الاتّجاه من المبدأ المتكوّن مع الآلام والمنافع، وفي المنتهى المتجسّد بالآمال والطموح».

ما يضمن تماسك الأوطان هو وحدة المواطنين، وارتباطهم بثوابت تعبّر عن طموحاتهم وأفكارهم وثقافتهم وانتمائهم الحضاري، وتنظّم علاقاتهم ومؤسّساتهم. والأوطان لا تبنى على الظلم والسيطرة والغلبة، ولا تستقرّ إلّا بالعدل والمساواة وحريّة الإنسان وكرامته.

لبنان في رؤية الإمام الصدر «ضرورة حضارية ودينية»، وتعدّد طوائفه هو بمثابة نوافذ مفتوحة على التطوّر الحضاري الفاعل فيما بينها؛ لتقدّم نموذجاً في العلاقات الإنسانيّة قائماً على التسامح والتنوّع والتقاء القيم الإلهية ووحدتها؛ لتشكّل مساحة ضوء تجمع أفضل ما لدى الحضارات الإنسانية من نتاج معرفي وثقافي، تسخّره لخدمة الإنسان ومصالحه وخيره، وتوجّهه لدفع الشرّ ومساوئه وأضراره. «لبنان هذا لا يمكن إلّا أن يكون كبيراً، أو لا يكون»، ولا يتحقّق هذا الدور «برجال صغار يحكمونه، يحدّدون مواطنه العملاق ليكون بمستوى تقزّمهم!»، بل لابدّ أن يحكم هذا البلد الكبير رجال بمستوى دوره وإمكانات مواطنيه.

ومن أسباب ما مرّ به لبنان من أزمات برأي الإمام الصدر:

- غياب العدالة وانتشار الحرمان «الذي يخلق في النفس شعوراً غاضباً، ويجرح كرامة الإنسان، ويؤثّر في الولاء للوطن وفي احترام القوانين المتّبعة».
- عدم الاتّفاق على المبادئ الوطنية الأساسية، وتجنّب البحث فيها خوفاً من الانقسام.
- الممارسة السياسية القاسية، واستغلال بعض السياسيّين للجوّ الديمقراطي، فيجنّدون لنجاحهم ما يجوّز وما لا يجوّز.
- ابتلاء لبنان بعدوّ خبير في الحرب وأنواعها، ولا سيّما في الحرب النفسية والإعلامية والدبلوماسية.

←

← ـ نكبة فلسطين، وسكنهم في المخيّمات، وعيشهم في ظروف حياتية قاسية، وإدراكهم للعجز العربي عن تحرير أرضهم بعد هزيمة حزيران العام سبعة وستّين، وحملهم السلاح، وانطلاقهم من لبنان، واعتراض بعض اللبنانيّين، وتصادمهم معهم.

نظرة الإمام الصدر إلى إسرائيل:

إسرائيل كيان عنصري توسّعي، يستند إلى عقيدة مزيّفة وادّعاءات باطلة، تبيح السيطرة والتوسّع، وتعطي لمعتنقيها الحقّ بالاستعلاء على بني البشر من غير اليهود. وهي بسبب هذا الاعتقاد جرثومة فساد، وهي وجود غير شرعي في تكوينها، وممارساتها لا تحترم الاتّفاقيات المعمول بها في العالم، ولا قرارات مجلس الأمن، ولا قرارات لجنة حقوق الإنسان.

هذا الوجود تجسيد للشرّ المطلق، ويشكّل تهديداً دائماً للعرب والفلسطينيّين واللبنانيّين، وهو نقيض القيم الإنسانية المتمثّلة بالعدل والخير وكرامة الإنسان، ولا يمكن من الموقع الديني قبول بقاء الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين. «إنّني كمسلم لا يمكن أن أقبل ببقاء الاحتلال الصهيوني لأرض فلسطين، فكيف بالقدس؟! وكعالم دين يجب عليّ أن أعلن ذلك».

ومحاربة هذا الكيان ليست محاربة للإنسان بسبب دينه، إنّما محاربة للظلم والفساد والانحراف ولفكرة التفريق العنصري التي يصفها القرآن الكريم في تحدّيه لهذا الاستعلاء اليهودي: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [سورة الجمعة ٦٢: ٥].

وتفسير الإمام الصدر للآية القرآنية الكريمة التي تؤكّد ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [سورة البقرة ٢: ٦١]. إنّما هي إنشاء وأمر وطلب، وليست إخباراً وحكاية، ومؤدّاها إلقاء واجب علينا وتحمّلنا المسؤولية، وإلّا فسوف نضرب نحن بالذلّة والمسكنة.

هذه الرؤية المبدئية العقائدية المرتكزة إلى فهم طبيعة المشروع الصهيوني وأسسه العقائدية وممارساته وأساليبه هي التي أملت مواقف الإمام الصدر من الكيان الصهيوني، وحدّدت وسائل التعامل مع وجوده غير الشرعي، ودفعته إلى تأييد ودعم المقاومة الفلسطينية واعتبارها «الخير المطلق» طالما تقاوم «الشرّ المطلق».

والمقاومة في منظور الإمام الصدر جزء أساسي في استراتيجية الصراع مع الاحتلال الصهيوني، وهي تمثّل سبب إضعافه وإنهاكه، ولذا ينبغي المحافظة عليها والحرص على ←

← سلامتها، « من صميم الاستعداد لهذه المعركة المحتومة إضعاف الخصم بأيّ صورة وفي أيّ حقل، وكلّنا نعرف أنّ من أفضل وسائل تحقيق هذه الغاية وجود المقاومة الفلسطينية ونموّها. ولا يتعارض دعم المقاومة الفلسطينية مع المصلحة الوطنية، بل ينبغي فهم الصراع مع المشروع الصهيوني أنّه متعدّد الوجوه والجهات، والمعركة معه معركة مصير لا تحسم في أيّام وأسابيع وسنين، بل يقتضي الصراع استعداداً لعشرات السنين وعلى جميع الجبهات وبكلّ المستويات ومع جميع الطاقات. وهذا يعني أنّ دعمنا للمقاومة، ومشاركتنا في تصعيدها، وحرصنا على سلامتها، هذه المساعي هي جزء من استعدادنا لمجابهة العدوّ، ولذلك فهي تنطلق من نفس المبدأ الذي ينطلق منه السعي للمحافظة على الوطن والدفاع عنه، ولا تتناقض معه إطلاقاً. إنّ معركتنا هذه ذات وجوه كثيرة، فهي معركة حضارية طويلة الأمد، متعدّدة الجهات: وطنية، قومية، دينية. إنّها معركة الماضي والمستقبل، معركة المصير ».

والمعركة مع إسرائيل متعدّدة الأبعاد والوجوه، والبعد الوطني لهذه المعركة يفرضه الخطر الصهيوني على لبنان الذي يبدو جلياً في سعي قادة الحركة الصهيونية المبكّر لضمّ أجزاء من لبنان إلى خارطة كيانه الموعود، ليتسنّ لها ـ عندما يحين ظروف الالتزام الاستعماري لتنفيذ وعد بلفور ـ أن تضع يدها على المياه اللبنانية وأجزاء من الجنوب. « إنّنا نملك مواثيق تؤكّد أنّ إسرائيل تطمع في جنوب لبنان، وذلك حسب الخرائط المطبوعة من قبل السلطات الإسرائيلية، وحسب تصريحات المسؤولين، وبموجب تصرّفات الإسرائيليّين ».

ولا يقتصر الخطر الصهيوني على المياه والأرض، بل يشمل أيضاً تهديداً للصيغة اللبنانية الحضارية المتنوّعة القائمة على التسامح والعيش المشترك بين مختلف الطوائف والمذاهب؛ لأنّ هذه الصيغة نقيض حضاري للكيان الصهيوني العنصري المنشأ بالقهر والقوّة والدعم الاستعماري، بعد ارتكاب المجازر بحقّ أبناء فلسطين وطردهم من أرضهم. « إنّ وجود لبنان كدولة تشمل مذاهب مختلفة وعناصر متنوّعة تعيش بنظام ديمقراطي مسالم، لا يروق لدولة تقوم على أساس عنصري مذهبي ».

المقاومة اللبنانية ومراحل التأسيس:

على ضوء فهمه لدور لبنان وموقعه في ساحة الصراع والمواجهة ومقارنته بالممارسات السياسية والإنمائية التي رأى في احتقاراً للمواطن وتقزيماً لدور الوطن، رسم الإمام الصدر ←

← نهجه في التحرّك وحدّد واجباته المنبثقة عن مسؤوليته الدينية وفق مشروع يتكامل فيه البعد السياسي والاجتماعي المتعلّق بحقوق المحرومين والمناطق المتخلّفة إنمائياً والبعد الوطني والقومي المتمثّل في مؤازرة المقاومة الفلسطينية ودعمها ومواجهة الخطر الصهيوني.
وتدرّجت وسائل التحرّك من المطالبة الشعبية والاحتجاج، إلى المسيرات والمهرجانات، إلى التهديد بالعصيان المدني؛ من أجل دفع المسؤولين إلى تغيير السياسات وإنصاف المناطق المحرومة؛ حرصاً على العدالة الاجتماعية التي هي ركيزة الاستقرار، وعامل أساسي في قوّة ولاء المواطن لدولته، وضرورة لصمود الجنوبيّين وتحمّلهم لأعباء المواجهة، وحرص الإمام على ممارسة حقّ التعبير السلمي البعيد عن استخدام السلاح واللجوء إلى القوّة لفرض التغيير الداخلي وتحقيق المطالب السياسية والاجتماعية.
والتحرّك في هذا المجال لم يكن طائفياً، وإن كانت الشريحة الكبرى المحرومة هي من الطائفة الشيعية، بل كان الدافع إليه الحرص على التوازن، واستقرار النظام، وتمكين أبناء هذه الطائفة من القيام بواجبهم في معركة المصير مع العدوّ الإسرائيلي. «لكنّني أعتقد أنّ محنة فلسطين وانعكاساتها على العالم الإسلامي بصورة عامّة وعلى الشيعة بصورة خاصّة، بالإضافة إلى بعض ملابسات أخرى، إقليمية أو محليّة، قد تكون منعطفاً في مواقف هذه الطائفة إلى سلوك سنجدهم من خلاله في طليعة المناضلين لأجل الحقّ والعدل والكرامة بإذن الله».
ما يهمّنا في الإشارات إلى تحرّكه المطلبي أن نبيّن أمرين:
أوّلاً: رفضه استخدام السلاح في الدعوة للتغيير والمطالبة بإنصاف المناطق المحرومة، رغم جهده الدؤوب ومطالبته بالتدرّب وحمل السلاح، وتأكيده المتكرّر أنّ دعوته لحمل السلاح هي فقط من أجل الدفاع عن الجنوب وصدّ الانتهاكات الإسرائيلية وحفظ المقاومة الفلسطينية، ثمّ تطوّرت مواقفه بعد تطوّر الأحداث إثر اندلاع الحرب الداخلية، ليجعل للسلاح دوراً داخلياً محدداً في محاربة مشروع التقسيم من أجل «وحدة لبنان، ومنع قيام إسرائيل أخرى أو إسرائيليات تدعم إسرائيل الأمّ». «أمّا الإصلاحات الاجتماعية والسياسية فإنّنا نرى ضرورة النضال الديمقراطي المستمرّ لأجلها، حيث إنّ النضال المسلّح في مثل هذه الظروف يعرّض الأهداف الكبرى للخطر».
←

→ والدعوة إلى التدرّب وحمل السلاح إنّما بدأها بعدما فشلت نداءاته ومطالبته المتكرّرة في حمل الدولة على تغيير نظرتها لدور الجيش، وعدم استجابتها لمطلب تقويته وتعزيز دوره في حماية أمن الوطن والمواطن، وتمسّكها بمقولة «قوّة لبنان في ضعفه». «طلبنا في العام ١٩٧٠ تسليح الجيش وإقرار التجنيد الاجباري، أولئك الذين يريدون إضعاف الجيش لا يريدون له السلاح، يقولون: إنّ قوّتنا في ضعف الجيش، ذلك أنّهم لا يريدون جيشاً قوياً، إنّهم يريدونه للمعارك الداخلية!».

والخطر الداخلي المتمثّل في الميوعة والفساد والانحلال الخلقي يضعف الصمود الوطني ويستنزف طاقات شبابه، بينما الواجب يقتضي قيام مجتمع الجدّ والحرب والصمود.

وكانت محنة الفلسطينيّين حاضرة دائماً في عقله ووجدانه، يذكّر بها اللبنانيّين حكومةً وشعباً، وكذلك الأنظمة والشعوب العربية؛ ليعوا جميعاً خطورة المصير، وليحثّهم على وجوب الدفاع عن الجنوب، وتحمّل مسؤولية دعم صموده، واعتبار أزمته قضية وطنية وعربية.

ولطالما نبّه إلى خطورة إهمال ما يجري في الجنوب وانعكاسه على كلّ الوطن: «لبنان دون الجنوب أسطورة، وإنّ لبنان مع جنوب ضعيف جسم مشلول، وإنّ لبنان دون قوّة الجنوب مغامرة تاريخية، إنّ الجنوب القوي سياجٌ للبنان واللبنانيّين». «لقد احتلّت إسرائيل قسماً من الأراضي اللبنانية في العديسة وفي مزارع شبعا، وشرّدت منها خمس مائة عائلة لبنانية، واحتلّت مواضع للطرق التي شقّتها داخل الأراضي اللبنانية. وليس هناك من دليل على معالجة هذه الأوضاع».

ثانياً: المطالبة بالعدالة الاجتماعية وتنمية المناطق المحرومة ليست منفصلة عن مشروع دعم صمود الجنوبيّين ليتمكّنوا من مؤازرة المقاومة الفلسطينية وتحمّل عبء القضية القومية، وهي جزء من تفكير الإمام الصدر في بناء مجتمع الجدّ والصمود: «نحن نريد الجنوب صخرة تتحطّم عليها أحلام إسرائيل، وتكون نواة تحرير فلسطين وطليعة المحاربين ضدّ إسرائيل».

ويؤكّد حقيقة هذين الأمرين مسارعة الصدر إلى إطفاء حريق الحرب الداخلية ومواجهة الفتن الطائفية، من اعتصامه في «مسجد الصفا» في «رأس النبع»، إلى اندفاعه ليوقف الاقتتال في منطقة البقاع (شليفا ـ دير الأحمر ـ القاع) بعباءته وعمامته، وجهده المتواصل ←

المحور الرابع من محاور نشاطات الإمام موسىٰ الصدر في لبنان هو إيجاد وتشكيل مركزين: الأوّل عقائدي، والثاني عسكري.

أمّا العقائدي فيتمثّل بتأسيس حركة المحرومين، والثاني تأسيس منظمة أمل الجناح العسكري.

ويأتي تأسيس هذين التشكيلين بالتأكيد على القدرات الذاتية دون الاعتماد المآدي والأيدلوجي، الكامل على الاخرين فكان شعارها: لا شرقيّة ولا غربيّة، حينما بدأت نشاطها في عام ١٣٩١ هـ.

أخذت هذه المنظمة علىٰ عاتقها سدّ النقص الفكري والثقافي والأخلاقي في صفوف الشباب اللبناني المسلم، والسعي قدر الإمكان إلىٰ تحصينه بالمعارف والعلوم الإسلاميّة.

← لوضع حدّ للحرب الداخلية.

لقد اعتبر البعض في ذلك الوقت أنّ موقف الإمام الصدر مردّه إلى عدم استعداد الطائفة الشيعية وانتظام أفرادها عسكرياً، وخوفه من استغلال أبنائها في قتال يخدم مشاريع سياسية لقوى داخلية لا تخدم مصلحة الطائفة ولا موقع زعامته لها.

وهذا القول وإن كان يعكس جزءاً من حقيقة الواقع السياسي ـ العسكري للأزمة اللبنانية في ذلك الوقت، إلّا أنّه يحمل تجنّياً على فكر الإمام الصدر وممارسته السياسية البعيدة عن حسابات الزعامة ومراكز النفوذ.

ويرد على هذا القول أنّه لو أراد الإمام الصدر مجاراة الحرب من اليمين واليسار لتمكّن من تحصيل تلك الزعامة المزعومة، أو على الأقلّ لجنّب نفسه الكثير من الضرر والأذى، وأبعد عن تيّاره الاضطهاد، ولكان بمقدوره استغلال التحريض والاتّهام والتشكيك الطائفي؛ ليكون شريكاً في لعبة الحرب وحسابات المتحاربين. ولما كان بمقدور أحد مجاراته في ذلك؛ نظراً لقوّة تأثيره وحضوره وسط طائفته. ولكنّه بقي مصرّاً على مبادئه وتوجّهاته لإخماد الحرب الداخلية متحمّلاً الأذى ورافضاً استخدام السلاح، إلّا في ثلاثة عناوين: ١ ـ محاربة التقسيم. ٢ ـ صدّ الاعتداءات الصهيونية. ٣ ـ حفظ المقاومة الفلسطينية.

(سايت: www.amal-mouvement.com).

هذا من جانب، ومن جانب آخر تتمّ الاستفادة من وجود علماء متنوّرين وشخصيات مفكّرة، أمثال: السيّد محمّـد حسين فضل الله، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، والإمام موسىٰ الصدر، والشهيد الدكتور مصطفىٰ جـمران؛ لتـربية الشباب وإعدادهم.

وهكذا استطاعت حركة المحرومين أن تفرض وجـودها عـلىٰ السـاحة اللبنانية، وكان لها انتشار واسع في محافظات الجنوب وقراه وأريافه، حتّى وصل الحال في بعض الأماكن إلى وقوف الناس في صفوف طويلة لتسجيل أسمائهم.

وتوسّعت محبوبيّة الحركة لتـتخطّىٰ مـدن الجـنوب إلىٰ المـدن الأُخـرىٰ الكبيرة، وعلىٰ رأسها بيروت.

وبعد أربعة أعوام من تأسيس الحركة ونجاحها في تربية وإعداد كوادر شابّة ومحصّنة بالفكر والعقيدة، كانت الأجواء مشجّعة للانتقال إلىٰ الخطوة التالية.

في حركة مبتكرة من قبل الإمام موسىٰ الصدر، وبتاريخ ١٩٧٥/١/٢٠م، الموافق لـ ٧/محرّم/١٣٩٥هـ أثناء قيامه بإلقاء خطابه الحماسي بمناسبة نهضة الإمام الحسين عليه السلام، أعلن عن تأسيس منظّمة أمل العسكريّة[١].

كانت كثيراً من الأحزاب والتنظيمات اليـمينيّة واليسـاريّة تـملك لنـفسها جناحاً عسكريّاً مسلّحاً بأحدث الأسـلحة؛ وذلك لحـماية مـصالحها ومـصالح الجهات التي ترتبط بها، علىٰ حساب مصلحة لبنان وشعبه.

منظمة امل العسكرية جاءت لتؤكد مـصلحة لبـنان وشـعب لبـنان عـلىٰ المصلحة الحزبيّة، فحملت علىٰ عاتقها مسؤوليّة حفظ الأمن العامّ أمام الأخطار الداخليّة والخارجيّة، وأثبتت فعلاً ذلك بشكل حقيقي وملموس.

---

(١) لاحظ ملحق موسـوعة السياسة: ٥٤ ـ ٥٥.

في البدء تشكّل الجناح العسكري لأمل من سبعين نفراً، من شباب معهد جبل عامل الصناعي، وشباب حركة المحرومين، وذلك علىٰ شكل مركز تدريبي في قرية (يمونة) التي تقع في أطراف مدينة بعلبك.

ثمّ انتقل المركز ـ بعد توسّع نشاطاته ـ إلىٰ مكان أكبر في منطقة (عين التينه)، وذلك بعد التعاون مع حركة فتح الفلسطينيّة.

وواصل المركز نشاطاته التدريبيّة بصورة سرّية لمدّة سبعة أشهر، حتّىٰ تاريخ ١٩٧٥/٧/٦م بعد أن سبّب انفجار لغم تدريبي ـ نتج عنه استشهاد سبعة وعشرين شخصاً وجرح أكثر من سبعين آخرين من خيرة شباب المركز ـ إلىٰ انكشاف أمر المركز، فتمّ إغلاقه والانتقال إلىٰ مكان آخر في (جنتا)، فلم تثن تلك الحادثة من عزيمة القائمين علىٰ هذا المشروع، وواصلوا أعمالهم ونشاطاتهم بجدّ أكثر في إعداد كوادر مسلّحة مثقّفة.

ولم تكن هذه المهمّة الخطيرة لتمرّ دون مشاكل ومصاعب، خصوصاً وأنّ بعض الأحزاب والتنظيمات اليمينيّة واليساريّة أخذت تنظر إلىٰ اقتدار الحركة المتصاعد علىٰ أنّه يشكّل تهديداً لمصالحهم الحزبيّة ومصالح الدول المموّلة لهم، فوضعوا أيديهم بأيدي رجالات الحكم، وبدأت المؤامرات تحاك للنيل من حركة أمل ومن رجالها المخلصين.

التمهيد للفتنة

بعد أحداث أيلول الأسود سنة ١٩٧٠ م، والتي قتل فيها أكثر من خمسة عشر ألف فلسطيني في مخيّمات اللجوء في الأراضي الأُردنيّة، ونزوح آلاف آخرين إلىٰ لبنان، بعد تلك الأحداث قام الشيعة في جنوب لبنان وبتوصية من

الإمام موسىٰ الصدر باستقبال النازحين الفلسطينيّين وإسكانهم، ووضع المعسكرات تحت اختيارهم؛ من أجل مواصلة مسيرة الجهاد ضدّ العدوّ المشترك.

ولم تمض فترة قصيرة حتّىٰ شعر الفلسطينيّون كأنّهم في أرضهم وبين أهليهم.

فكان التقارب اللبناني ـ الفلسطيني في الجنوب بقيادة الإمام موسىٰ الصدر قد زاد من مخاوف إسرائيل وبعض التنظيمات والأحزاب اليمينيّة واليساريّة، التي قامت بتوحيد جبهتها وبتوجيه من إسرائيل، فتشكّلت فرق الإغارة علىٰ المناطق المختلفة؛ للسلب والنهب، فكانت هذه بداية الفتنة التي عصفت بلبنان من جديد، وأشعلت نار الحرب الداخليّة التي أحرقت الأخضر واليابس، تحت مسمّيات دينيّة ومذهبيّة ووطنيّة!

كانت هناك عدّة أهداف تُبتغىٰ من وراء هذه الحرب الداخليّة، ولكن كان علىٰ رأسها هدفان:

الأوّل: تجزئة لبنان وتقسيمه إلىٰ دويلات صغيرة ضعيفة ومتناحرة.

الثاني: القضاء علىٰ قدرة المقاومة الصاعدة التي بدأت تهدّد مصالحهم الحزبيّة المرتبطة.

ولتحقيق هذين الهدفين كانت إسرائيل وبعض الأحزاب العميلة التابعة لها لا تدع فرصة إلّا واستفادت منها في إثارة الفتنة وتأجيج سعير الحرب.

وسوف نحاول باختصار المرور علىٰ بعض أهمّ هذه الفتن التي عصفت بلبنان بتوجيه خارجي وأيادي داخلية؛ وذلك ـ كما قال الشهيد الدكتور مصطفىٰ

شمران: «طالما لم نطّلع علىٰ مستنقع أحداث لبنان في ذلك الوقت، لا نستطيع أن ندرك عمق حركة الإمام موسىٰ الصدر، وعظمة ما قام به في هذا البلد»[١].

١ ـ مجزرة صبرا

في عام ١٩٧٣ م قامت مجموعة من أفراد الجبهة الشعبيّة بقيادة جورج حبش[٢] بزرع عبوة ناسفة في مطار بيروت، ولكن تمّ كشفها وإبطال مفعولها قبل أن تنفجر، من قبل قوّات أمن المطار، وتمّ اعتقال منفذي العمليّة وسجنهم.

فطالبت الجبهة الشعبيّة الحكومة اللبنانيّة بالإفراج عنهم، ولمّا لم تستجب الحكومة لطلبهم هذا، قاموا بعمليّة خطف ضابطين في الجيش اللبناني، ونقلهم إلىٰ مخيّم صبرا للّاجئين الفلسطينيّين في جنوب لبنان، عندها قام الجيش اللبناني بمحاصرة المخيّم بالمدفعيّة والدبّابات، وظلّوا يقصفونه جوّاً وبرّاً لفترة استمرت أكثر من أربعة عشر يوماً، راح ضحيّة هذا القصف الكثير من المدنيّين الأبرياء.

وبهدف فكّ الحصار عن الفلسطينيّين، قامت القوّات السوريّة التي كانت مرابطة علىٰ الحدود اللبنانيّة بالزحف إلىٰ داخل الأراضي اللبنانيّة واحتلال بعض المدن المهمّة، عندها استغلّت إسرائيل هذه الفرصة لإدخال قوّاتها إلىٰ الجنوب

---

(١) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور شمران): ٩٥.

(٢) جورج حبش: قائد عربي وزعيم حركة القوميّين العرب والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. ولد عام ١٩٢٦م في مدينة اللد من عائلة برجوازية، وتخرّج من كلّية الطبّ بالجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٥١م. شارك في تأسيس كتائب الفداء العربي وجمعية العروة الوثقى، كما أصدر جريدة الرأي في الأردن، وكان له صراع مشهود مع نظام الملك حسين ملك الأردن، ولعب دوراً رئيسياً في تشكيل جبهة الرفض. (موسوعة السياسة ٢: ١١٦ ـ ١١٧).

واحتلال بعض القرىٰ والمدن.

ومرّة أُخرىٰ تحمّل الإمام موسىٰ الصدر مسؤوليّته في التدخّل والدفاع عن الفلسطينيّين، والسعي لأجل إيقاف القصف المدفعي، فقام أوّلاً بإصدار منشور، طالب فيه الجيش اللبناني بإيقاف القصف العشوائي، وفي حال عدم الاستجابة فإنّهم سيردّون بالمثل. ثمّ طالب رؤوساء المذاهب والطوائف اللبنانيّة بتشكيل لجنة الدفاع عن الفلسطينيّين. وكخطوة ثالثة أجرىٰ اتّصالات مكثّفة مع الرئيس السوري حافظ الأسد، وأقنعه بضرورة سحب قوّاته من الأراضي اللبنانيّة.

٢ ـ تشويه سمعة الفلسطينيّين

في عام ١٩٧٤ م كان العالم العربي والإسلامي يستعدّ لطرح موضوع القضيّة الفلسطينيّة علىٰ الجمعيّة العموميّة للتصويت عليها، وذلك من أجل الاعتراف بحقّ الفلسطينيّين في إقامة دولتهم المشروعة علىٰ أرضهم المغتصبة. فكانت المخابرات الإسرائيليّة تسعىٰ جاهدة لمنع اشتراك القادة الفلسطينيّين في الاجتماع، وذلك من خلال افتعال أزمة جديدة تضمن انشغالهم بها، وبنفس الوقت تسعىٰ لتصوير الفلسطينيّين بأنّهم إرهابيّون لا يستحقّون التعاطف، فقامت مجموعة من قوّات الكتائب بقتل أحد عشر فلسطينياً في أطراف بيروت في منطقة (دكوانة)، ممّا سبّب إثارة غضب الفلسطينيّين، فهدّدوا بالمثل، فأفزع الأمر ياسر عرفات[1] الذي أحسّ بالأيادي الإسرائيليّة من وراء هذه اللعبة، فاستنجد

---

(١) ياسر عرفات: رئيس دولة فلسطين في وقته والقائد العامّ لقوّات الثورة الفلسطينية، اسمه الحقيقي محمّد عبد الرؤوف عرفات القدوة. ولد عام ١٩٢٩ م في مدينة القدس، وتخرّج ←

بالإمام موسىٰ الصدر، الذي قام بدوره بالاتّصال بقائد الكتائب بيير جـميّل[1]، وجرت معه حوارات، أثمرت في النهاية باحتواء الأزمة، وعودة الهدوء النسـبي من جديد بين الطرفين.

لقد فوّت الإمام موسىٰ الصدر مرّة أُخرىٰ الفرصة أمام العدو الإسرائيلي، وفسح المجال للقادة الفلسطينيّين لمواصلة السعي في طرح قضيّتهم المشـروعة أمام العالم للاعتراف بها، فتمّ لهم ما أرادوا، حيث إنّه بعد شهر من انتهاء تلك الفتنة واحتوائها، تمّ التصويت علىٰ الاعتراف بحقّ الفلسطينيّين المشروع من قبل ١٠٥ دولة عضوة في الجمعية العمومية للأُمم المتّحدة.

٣ ـ مجزرة صيدا

في مارس من عام ١٩٧٥ م تظاهر آلاف من أهالي مدينة صيدا بزعامة أحد أبنائها، ويدعىٰ (معروف سعد)؛ وذلك تضامناً مع إخوانهم الصيّادين المـضربين احتجاجاً علىٰ ضياع حقوقهم من قبل إحدىٰ الشركات الأمريكيّة العـاملة فـي لبنان.

وعلىٰ الرغم من أنّ التظاهرة كانت سـلميّة، إلّا أنّ الجـيش تـصدّىٰ لهـا بإطلاق النيران المكثّف، ممّا أدّىٰ إلىٰ مقتل زعيم التظاهرة (مـعروف)، وجـرح

← برتبة ضابط مهندس في الكلّية الحربية بمصر، وعملاً مهندساً في الكويت، ونال وساماً من مجلس السلام العالمي عام ١٩٧٥ م، وانتخب رئيساً لدولة فلسطين عام ١٩٨٨م. توفّي عام ٢٠٠٤ م. (موسوعة السياسة ٧: ٣٨١ ـ ٣٨٣).

(١) بيّار أمين الجميّل: سياسي لبناني. ولد سنة ١٩٠٥ م بجبل لبنان، وهو صيدلي ورياضي. أنشأ حزب الكتائب اللبناني عام ١٩٣٦م، وانتخب نائباً ووزيراً عدّة مرّات، تـوفّي سـنة ١٩٨٤م. (ملحق موسوعة السياسة: ٢٩٩).

آخرين، فسبّب ذلك غضب المتظاهرين، فاصطدموا مع قوّات الجيش بالعصي والحجارة.

وكان يمكن احتواء الأزمة وانتهاء المصادمات بهذه النتيجة، لولا أن تدخّلت وفي اللحظات الأخيرة ميليشيا الكتائب لمساندة الجيش، فأخذوا يطلقون النار علىٰ المتظاهرين العزّل بكثافة وقساوة، ممّا أدّىٰ إلىٰ مقتل وجرح العشرات من المتظاهرين.

فكانت تلك المجزرة واحدة من أكبر المجازر التي ارتكبت بحقّ الشعب، وهي من الوحشيّة والقساوة بحيث إنّها سلبت الجرأة من كبار الشخصيات والزعامات الدينيّة والسياسيّة التي آثرت السكوت علىٰ الاعتراض، وتبعهم عوام الناس في ذلك.

الشخصيّة السياسيّة الدينيّة الوحيدة التي تجرّأت واعترضت علىٰ هذه المجزرة كانت متمثّلة في شخص الإمام موسىٰ الصدر، والذي عبّر عن استنكاره بحضوره تشييع جثث القتلىٰ، وتبعه الكثير من الناس، حتّىٰ كان تشييعاً كبيراً، وخطب بالمشيّعين خطاباً جريئاً، حمّل فيه الجيش مسؤوليّة المجزرة، وطالبه بالوقوف إلىٰ صفّ الشعب قائلاً: «مهمّة الجيش هي حماية الوطن وحراسة حدوده أمام العدوّ الخارجي.. ولكن إذا كان من المقرّر أنّ طلقة الجندي اللبناني بدل أن تصوّب إلىٰ العدو وتمزّق صدره، تصوّب إلىٰ أبناء الشعب وتمزّق قلب مثل (معروف سعد)، وإذا كان من المقرّر أنّ الجيش يتحوّل إلىٰ آلة مسيّرة من قبل طائفة معيّنة وعدّة لا ترىٰ إلّا مصالحها الضيّقة علىٰ حساب مصلحة الوطن والشعب، إذا كان مقرّراً هذا الشيء فمن الأفضل أن لا يكون لنا جيش أبداً»(١).

---

(١) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور شمران): ١٥٠.

وكان لحضوره الجريء ذاك وخطابه الحماسي وجرأته في تحميل الجيش مسؤوليّة المجزرة من أمام مكبّرات الصوت بلا خوف أو وجل، الأثر القوي في عودة ثقة الناس بأنفسهم، وأعادهم من جديد إلىٰ ساحة المشاركة والمطالبة بحقوقهم بلا خوف أو تردّد، وأفشل خطّة العدوّ الذي أراد إرعاب الجماهير وإبعادها عن ساحة تقرير المصير.

٤ ـ مجزرة عين الرمّانة

لم تمض فترة علىٰ عودة الهدوء النسبي إلىٰ لبنان حتّىٰ بدأت رياح الفتنة تهبّ من جديد.

فكانت أجواء الحرب الباردة التي وصلت إلىٰ أعلىٰ مستوياتها، تنذر بالانفجار، وكان الهدف واضحاً، فبعض الاحزاب كانت تنوي إيقاع الفلسطينيّين في شراك اللعبة: لتعطي إسرائيل الذريعة لضربهم وقتلهم، فلا تكون هناك قضيّة اسمها وطن محتلّ، بل شعب مطارد خائف يترقّب!

اندلعت الشرارة التي فجّرت الوضع مرّة أُخرىٰ ظهيرة يوم الأحد ١٣/٤/١٩٧٥م، حينما قامت مجموعة ارهابيّة في عين الرمّانة بمهاجمة حافلة تقلّ عدداً من المسلمين والفلسطينيّين، فأدّىٰ الهجوم إلىٰ مقتل جميع الركّاب بصورة وحشيّة، وظلّت جنائزهم في المكان لساعات طويلة.

فكانت تلك الحادثة سبباً في إثارة مشاعر المسلمين وإعطاء الذريعة للأحزاب اليساريّة الراغبة دوماً بالحرب إلىٰ التدخّل للانتقام، فاندلعت مواجهات طائفيّة أُخرىٰ أشدّ ضراوة.

استخدم الإمام موسىٰ الصدر كلّ نفوذه وقدرته السياسيّة والدينيّة لإقناع

الطرفين لإيقاف الحرب، ثمّ وبعد ضغوطات سياسيّة وأخلاقيّة استطاع جـرّهما إلىٰ طاولة التفاوض والصلح.

قوّة شخصيّته وقدرته علىٰ التأثير علىٰ الأطراف المتنازعة، كان سبباً مهمّاً لإجبار الكتائب علىٰ التنازل والقبول بالتحاور مع من كانت تسمّيهم بأعـدائـهم التاريخيّين، لا بل وأعلنوا عن اعتذارهم بصورة رسميّة، وقاموا بتسليم القتلة إلىٰ المحاكم اللبنانيّة.

أمّا قادة الأحزاب اليساريّة فإنّهم في البدء لم يستجيبوا لضغوطات الإمام الصدر، وكانوا يتنادون بإدامة الحرب والانتقام الكامل من المسيحيّين، ولكن في النهاية، ولأنّهم وجدوا أنّه لا أحد يتجرّأ علىٰ تحدّي إرادة الإمام موسىٰ الصدر، رضخوا للأمر الواقع وقبلوا بالصلح.

وهذا إن دلّ علىٰ شيء فإنّما يدلّ علىٰ قوّة شخصيّة الإمام علىٰ السـاحة اللبنانيّة إلىٰ درجة كان يحسده عليها قادة الشخصيات السياسيّة البارزة في البلاد.

وليد جنبلاط أحد أبرز قادة الأحزاب اليساريّة أثناء خروجه من إحدىٰ جلسات الصلح قال للإمام موسىٰ الصدر: «لك شهرة ومحبوبيّة واسعتان في لبنان، إذا أردت أن تحافظ عليهما فيجب أن تنادي بالحرب لا الصلح!».

فقال الإمام موسىٰ الصدر مجيباً له: «لست ممّن يبحث عن الشهرة، همّي الكبير هو خدمة الناس وتحقيق مصالحهم»(١).

نقضت بنود الصلح من قبل طرفي النزاع أكثر من ١٨ مرّة، ولكن وفي كلّ مرّة كان الإمام يتدخّل ويعيد الأُمور إلىٰ نصابها، فيعمّ الصلح والسلم البلاد(٢).

---

(١) نفس المصدر السابق: ١٥٠.

(٢) لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب: إمام موسى صدر أُميد محرومان (الإمام مـوسىٰ الصـدر أمل المحرومين) لعبد الرحيم أباذري.

٥ ـ اغتيال الهويّة

رغم كلّ ذلك، فقد انهار الصلح أخيراً، وفزع الجميع إلىٰ لغة البنادق لا المنطق والعقل، وبدأت فتنة اغتيال الهويّة في ذلك البلد.

وأخذت الأحزاب اليساريّة واليمينيّة ـ لأجل إشراك أكثر عدد من عوام الناس في هذه الفتنة الجديدة ـ تقوم بالاغتيالات الطائفيّة، فتقتل عدّة من المسلمين في أماكن تقطنها غالبيّة مسيحيّة، وتقتل عدّة من المسيحيّين في أماكن تقطنها غالبيّة مسلمة.

فكان عوام الناس لأجل حماية أنفسهم وأهلهم يفزعون إلىٰ تلك الأحزاب لاستمداد السلاح والمساعدة. عوام المسيحيّين يفزعون إلىٰ الأحزاب اليمينيّة، وعوام المسلمين يفزعون إلىٰ الأحزاب اليساريّة.

ثمّ امتدّت شعلة الحرب لتغطّي مساحة واسعة من لبنان.

فشمّر الإمام موسىٰ الصدر عن ساعديه من جديد متحمّلاً مسؤوليّته أمام الله وأمام الشعب.

أخذ يتنقّل بين المدن اللبنانيّة التي تكتوي بنيران تلك الحرب؛ يلتقي بأهلها، يلقي الخطابات، ويعقد الجلسات والاجتماعات، لا يفرّق بين مسلم أو مسيحي، داعياً الجميع إلىٰ إلقاء سلاح الفتنة، وتشخيص العدوّ الحقيقي الذي يسعىٰ من خلال أياديه إلىٰ تمزيق وحدة الصفّ اللبناني.

وفي مدينة بعلبك التي كانت مركز الحرب، خاطب الجميع بقوله: «لو قتلوا ولدي في بيروت فإنّي لن أسمح أبداً أن يُقتل بسببه مسيحي بريء في بعلبك، لا

يمكن الربط بأيّ منطق بين هذين القتيلين، فهما ضحايا العدوّ الأجنبي الذي لا يميّز بين مسلم أو مسيحي»[١].

قوبل خطابه بالترحاب الكبير من قبل أهالي بعلبك، إلّا أنّ أحزاب اليسار أخذت تتّهمه عن طريق وسائل الأعلام المرتبطة بها بالتحيّز للمسيحيّين و...

وواصل جهوده بكلّ صبر آملاً أن يأتي يوم تتوقّف فيه عمليات التـقتيل وعودة السلم والأمان إلىٰ ربوع لبنان.

وتوّج جهوده أخيراً بالاعتصام والإضراب عن الطعام في مسجد العامليّة في بيروت، الذي بدأه بتاريخ ١٩٧٥/٦/٢٧م، وقام بإصدار بيانه التاريخي الذي ضمّنه شروطه لإيقاف الإضراب عن الطعام هو ومن اعتصم معه، والشروط هي:

١ ـ إنهاء نزيف الدم والقبول بإيقاف الحرب من قبل جميع الأطراف.

٢ ـ القبول بحكومة الصغير دون اشتراك أحزاب اليمين واليسار فيها.

٣ ـ تشكيل لجنة للتحقيق بجرائم الحرب ومعاقبة الضالعين فيها.

٤ ـ تأسيس لجنة للتحقيق في الخسائر لتعويض المتضرّرين.

٥ ـ تشكيل لجنة للنظر في حوائج المحرومين من أبناء هذا البلد.

حتّىٰ إذا ما شاع خبر اعتصام الإمام وإضرابه، أخذت المجاميع الكثيرة من الناس تلتحق به، فكان الآلاف منهم يقدمون من المدن الكبيرة، وبالأخص من بعلبك نحو بيروت؛ لمشاركة الإمام الصدر إضرابه.

---

(١) لبنان به روايت إمام موسى صِدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور شمران): ١٨٢.

ولم يكن الإضراب بلا نفع؛ ففي اليوم الثاني منه أصدر المسيحيّون بياناً أعلنوا فيه حمايتهم وتأييدهم لاقتراح الإمام موسىٰ الصدر بتشكيل حكومة الصغير.

وقام أبناء الطائفة المسيحيّة باعتصامات مماثلة في كنائسهم، شاركهم فيها بعض المسلمين.

وفي اليوم الثالث من الإضراب قامت شخصيّات دينيّة مسيحيّة بلقاء الإمام موسىٰ الصدر في محلّ إضرابه في مسجد العامليّة معبّرين عن تأييدهم ووقوفهم إلىٰ جانبه.

كما والتقىٰ به كبار الشخصيّات السياسيّة اللبنانيّة وغير اللبنانية، أمثال: مفتي السنّة الشيخ حسن خالد[1]، ورئيس منظّمة التحرير الفلسطينيّة ياسر عرفات، ووزير الخارجيّة السوري عبد الحليم خدّام[2]، وغيرهم، معبّرين عن تأييدهم وحمايتهم له.

---

(١) حسن خالد: رجل دين وسياسة. ولد في بيروت عام ١٩٢١م، ودرس في الكلّية الشرعية ببيروت وكلّية أصول الدين بالأزهر الشريف، وتقلّب في عدّة مناصب، حيث عيّن قاضياً شرعياً، وأصبح مفتياً للجمهورية اللبنانية، ورئيساً لمجلس القضاء الشرعي الأعلى، ورئيساً للمجلس الشرعي الأعلى، ورئيساً أعلى لعلماء الدين السنّة في لبنان. وفي عام ١٩٦٧ م منحته جامعة الأزهر شهادة الدكتوراه الفخرية. له عدّة مؤلّفات، منها: الإسلام والتكامل المادّي في المجتمع، أحكام الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية، آراء ومواقف. (موسوعة السياسة ٢: ٥٣٥ ـ ٥٣٦).

(٢) عبد الحليم سعيد خدّام: سياسي سوري. ولد في طرطوس سنة ١٩٣٢م، ونال إجازة الحقوق من جامعة دمشق، وعمل محامياً، وانتسب إلى حزب البعث العربي الاشتراكي في الخمسينات، وعيّن محافظاً للعاصمة، ثمّ وزيراً للاقتصاد عام ١٩٦٩م، واختير وزيراً للخارجية السورية منذ عام ١٩٧٠م، ثم مساعد الرئيس حافظ الاسد وبعد وفاة الرئيس الاسد حصلت بعض التغييرات في الحكومة في زمن الرئيس بشار الاسد وكان خدام فقد منصبه وذهب الى فرانسة. (موسوعة السياسة ٣: ٨٠٩ ـ ٨١٠).

ولم يترك الناس مسجد العامليّة، فكانوا يتوافدون عليه ليستمعوا إلىٰ خطابات الإمام الداعية إلىٰ السلم والمحبّة، علىٰ الرغم من إطلاق الرصاص العشوائي وهدير المدافع التي كانت تطلق وبكثافة كلّما كانت مكبّرات المسجد تنقل خطاب الإمام إلىٰ الجموع المحتشدة خارج المسجد.

وكانت أحزاب اليسار تبثّ الشائعات بين الناس، متّهمة الإمام موسىٰ الصدر بالجبن، وتخاطبه بوسائل إعلامها قائلة: «بالأمس كنت تقول: إنّ السلاح زينة الرجال، فماذا حصل اليوم حتّىٰ تزحف إلىٰ المسجد تختبئ به وتنادي بالصلح؟!».

ولكن كلّ ذلك لم يفت من عزيمة الإمام موسىٰ الصدر الذي كان هدفه أسمىٰ من المصالح والأهداف الدنيويّة، هدفه مرضاة الله تعالىٰ وخدمة الإنسانيّة، فآمنت به الجماهير أعمّ من كونها مسيحيّة أو مسلمة، شيعيّة أو سنيّة، معتبرة إيّاه رجل الصلح والمحبّة والسلام في لبنان.

فلمّا أن رأت الحكومة اللبنانية غضب الناس واستيائهم، اضطرّت إلىٰ الخضوع لمطالبات الإمام موسىٰ الصدر، وأخذت تحضّر لتشكيل الحكومة الصغيرة المقترحة.

وفي اليوم الرابع أنهىٰ الإمام موسىٰ الصدر الإضراب، وفي بيان شكر إلىٰ جميع اللبنانيّين الذين وقفوا معه قال: «نعتصم لنفرض علىٰ المواطنين الاعتصام عن السلاح الذي يستعمل ضدّ اللبنانيّين والإخوان.. حينما قرّرت الاعتصام في المسجد والإضراب عن الطعام، إنّما لكي أُثبت للشعب اللبناني وللدنيا قاطبة بأنّه

في هذا البلد يوجد سلاح أكبر من كلّ أسلحة الدنيا الفتّاكة، سلاح أكثر فاعليّة وأنجح، ألا وهو سلاح الإيمان، سلاح الوجدان، سلاح اليقظة، وهذا هو سلاح أكثر محبّي الوطن من أبناء هذا الشعب الشرفاء»[1].

٦ ـ حادثة زحلة

لم تنته مؤامرات العدوّ أو تقف عند حدّ معيّن، فهو لا يريد لهذا البلد وشعبه أن يعيش حياة آمنة هادئة.

فكانوا يتحيّنون الفرص لإثارة الفتن وإثارة الاختلاف والتقاتل من جديد.

وما حصل في زحلة أوضح مثال علىٰ ذلك.

ففي صباح يوم الاثنين المصادف ١٩٧٥/٦/٣٠ م حدثت مشاجرة في إحدىٰ مقاهي مدينة زحلة، بين مسلم وبعض المسيحيّين، انتهت بمقتل المسلم، فألقت السلطات المحليّة القبض علىٰ القتلة وسجنتهم، وعلىٰ أثر ذلك قام المسيحيّون بتظاهرة كبيرة؛ اعتراضاً علىٰ سجن جماعتهم، فهجموا علىٰ السجن وأطلقوا سراحهم بالقوّة، وفيما هم يرجعون اصطدموا بتظاهرة مماثلة للمسلمين الغاضبين، فحدث التصادم الدموي بينهم، وما هي إلّا فترة زمنيّة قصيرة حتّى تحوّلت المصادمات بالأيدي إلىٰ مناوشات مسلّحة، ثمّ اتّسعت لتشمل ليس فقط زحلة، بل مدن كبيرة أُخرىٰ، أمثال طرابلس وبيروت.

---

(١) الإمام موسىٰ الصدر (الرجل، الموقف، القضيّة): ١٨٤.

فاستغلّت الاحزاب الوضع لتوسع دائرة الحرب والقتل والسلب والتدمير.

واستمرّت هذه الفتنة الجديدة لأكثر من عشرة أيّام، حيث قتل من الجانبين أعداد كبيرة، قدّروا بسبعة آلاف، وجرح ما يزيد عن العشرين ألف، وأُحصي من قُطعت رؤوسهم بالمدي بمئتي نفر، وكان الشهيد الدكتور شمران ممّن نجىٰ بأُعجوبة من عمليات التذبيح تلك، ليكون شاهداً عليها فيما بعد، فكانت لبنان تترنّح علىٰ حافّة السقوط[١].

والحال هذه، كانت الشخصيّة الوحيدة من بين كلّ الشخصيّات السياسيّة والدينيّة اللبنانيّة التي تستطيع أن تنطق بكلمة الفصل الأُولىٰ والأخيرة، وتؤثّر علىٰ أطراف النزاع لِما كانت تملك من محبوبيّة ومقبوليّة، فهو الإمام موسىٰ الصدر.

بعد التشاور مع رئيس الوزراء اللبناني رشيد كرامي[٢]، ظهر الإمام موسىٰ الصدر فجأة من علىٰ شاشة التلفزة؛ ليوجّه نداءً أخويّاً إلىٰ جميع الطوائف اللبنانيّة،

---

(١) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور شمران): ١٩٤.

(٢) رشيد كرامي: سياسي لبناني. ولد في طرابلس عام ١٩٢١م من عائلة شغل العديد من أفرادها منصب مفتي طرابلس، حلّ عام ١٩٥١م محلّ والده المتوفّي في المجلس النيابي اللبناني، وتابع سياسة والده في معارضة بشارة الخوري، وكان أحد المشاركين في إسقاطه سنة ١٩٥٢م، وأصبح رئيساً للوزراء سنة ١٩٥٥م، وقد شكّل حكومة إنقاذ وطني وعدّة حكومات أُخرى، وعاد عام ١٩٧٥م إلى رئاسة الوزراء من جديدة، لكنّه لم يوفّق إلى وقف النزيف الدموي في لبنان آنذاك. يعدّ من أثرياء لبنان ومن العناصر السياسية الإسلامية المحافظة. (موسوعة السياسة ٢: ٨١٩ـ ٨٢٠).

يدعوها إلىٰ إلقاءالسلاح والجلوس إلىٰ طاولة التفاوض، فابتدأ بتلاوة آيات من القرآن والإنجيل، وذِكر حديثٍ عن الإمام عليّ عليه السلام في «نهج البلاغة»، يؤكّد علىٰ ضرورة الصلح والوحدة بين جميع الطوائف الإلهية، ومشيراً بأصابع الاتّهام إلىٰ الأيادي الخفيّة والمتاجرين بالوطن والخونة الذين تتحقّق مصالحهم المشؤومة بهذا التناحر الدموي.

فكان لخطابه التاريخي ذاك أكبر الأثر في تصميم أطراف النزاع علىٰ إسكات فوّهات البنادق وإفساح المجال لأفواه الرجال الخيّرين من أبناء هذا البلد الجريح أن تلفظ كلمة الفصل وتنهي نزيف الدم اللبناني الواحد.

٧ ـ الوقوف الأبدي مع القضيّة الفلسطينيّة

كان الهدف من إثارة هذه الفتن هو أن يقتل المسلمون والمسيحيّون وغيرهم بعضهم البعض، فيفسح المجال أمام إسرائيل لتحقيق أهدافها المشؤومة في التوسّع من النيل إلىٰ الفرات.

وكان الإمام موسىٰ الصدر علىٰ اطّلاع تامّ بهذه الأهداف الإسرائيليّة، فكان يسعىٰ دائماً لإبعاد الفلسطينيّين عن الوقوع في شرك تلك الفتن قدر الإمكان، ولهذا السبب كان يجعل من نفسه ومن المقاتلين معه درعاً واقية؛ يحيل دون استفزاز العدوّ لهم.

وهذا الإيثار لم يكن يمرّ دون أن يدفع أعوانه له الثمن الغالي في الأموال والأنفس، إلّا إنّه وبمرور الزمان أزاح غبار التحريف والتشكيك عن هذه

الطائفة، وأثبت أنّهم كانوا ينادون بحقوق الفلسطينيّين.

كان الإمام موسىٰ الصدر يؤكّد في كلّ محفل ومجلس علىٰ القضيّة الفلسطينيّة وشعب فلسطين بلا خوف أو وجل، كان يردّد: «إنّنا نتحمّل مسؤوليّتنا الكبيرة تجاه القضيّة الفلسطينيّة دون خوف أو خجل، ولن يرهبنا القتل وكثرة التضحيات لأجل ذلك»[1].

إنّه ينظر إلىٰ القضيّة الفلسطينيّة نظرة عميقة وبعيدة حينما يقول: «السعي لتحرير فلسطين هو السعي لتحرير كلّ المقدّسات الإسلاميّة والمسيحيّة، وسعي لتحرير الإنسان، وهو سعي للحيلولة دون الإساءة إلىٰ الإله والمقدّسات الإلهيّة علىٰ هذه الأرض، تلك التي دنّستها الصهيونيّة بأفعالها»[2].

(١) مجلّة سروش (مجلّة الإلهام) / العدد ١٦١ / صفحة: ٣٢.
(٢) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الفصل الثالث :

الخصوصيّات الأخلاقيّة
والمنهج الفكري



لكي نلمّ بأبعاد سرّ نجاح شخصيّة الإمام موسىٰ الصدر في لبنان، وهيمنتها علىٰ الساحة اللبنانيّة، علىٰ الرغم من قصر مدّتها، فإنّنا سنتطرّق في هذا الفصل إلىٰ أهمّ الخصوصيات الأخلاقيّة التي كان يمتاز بها الإمام سلوكاً وعملاً:

البساطة في العيش

بسبب ما كان يتمتّع به الإمام موسىٰ الصدر من مقام سياسي وديني كبير في لبنان، وهيمنته علىٰ قلوب الملايين من أبناء هذا البلد أعمّ من كونهم مسلمين أو مسيحيّين شيعة أم سنّة، لذا كان يعتبر في نظر الجميع الرجل الذي يتصدّر أعلىٰ قمّة يمكن أن يصل إليها في البلاد، وكان موضع احترام لجميع الشخصيات الداخلية والخارجيّة.

فهذا جمال عبدالناصر[1] الزعيم الكبير في العالم العربي، كان إذا ما التقىٰ به يبدي له احتراماً وتواضعاً كبيرين..

والرئيس اللبناني شارل الحلو[2] يقوم بنفسه بفتح باب سيّارته ليصعد إليها

---

(١) جمال عبد الناصر بن حسين بن خليل بن سلطان عبد الناصر: سياسي مصري معروف. ولد بأسيوط سنة ١٩١٨م، وتخرّج سنة ١٩٣٨م من الكلّية الحربية في القاهرة، وقام بالثورة على الملك فاروق سنة ١٩٥٢م، وتسلّم زمام الأمر من محمّد نجيب بالقوّة سنة ١٩٥٤م، وأمّم قناة السويس، وأعلن الوحدة المصرية ـ السورية، وبنى السدّ العالي، وقام في زمنه العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م. توفّي على أثر سكتة قلبية عام ١٩٧٠م. (الأعلام للزركلي ٢: ١٣٤ ـ ١٣٥).

(٢) شارل حلو: سياسي ومحام وصحفي لبناني. ولد عام ١٩١٣م، ودرس القانون بالفرنسية،

بهيبة ووقار.

ومع هذا فلم يثر فيه هذا المقام ذرّة من غرور أو تكبّر، لا بل كان يشعره بنفس الشعور الذي رسم شخصيّته أيّام كان طالباً للعلم متواضعاً في قم أو النجف، لا كما ينبغي أن يشعر به رجل السياسة والدين متزعّماً أكبر مجلس إسلامي شيعي في لبنان.

وهو نفسه في البيت كما في خارجه، حيث كان يعيش وعائلته حياةً بسيطة متواضعة، لا صبغة فيها لأيّ تشريفات أو تكلّف. وكان يساعد زوجته في كثير من مهامها المنزليّة من الغسيل والطبخ والكنس!

لسنوات طويلة من وجوده في لبنان كان يستخدم سيّارة الأُجرة للانتقال من مكان إلىٰ آخر، ولكن ونتيجة لكثرة أسفاره اشترىٰ سيّارة «فولكس واگن» من طراز قديم، وكان يتنقّل بها بواسطة سائقه (أبي علي الحسيني الحجازي) من قرية إلىٰ أُخرىٰ، ونتيجة ما كان يتمتّع به من ضخامة وطول فقد كان يجد صعوبة في حشر جسمه فيها، ومع ذلك فإنّه لم يستبدلها لسنوات طويلة، رغم إلحاح سائقه، فكان يقول له: «يجب أن نتواضع للناس، ولا نشعرهم بأنّهم أصغر وأقلّ شأناً منّا! نحن علماء الدين يجب أن نسعىٰ لأن نحظىٰ بمقام في قلوب الناس وأرواحهم لا عيونهم وألسنتهم»[1].

← وكان من مؤسّسي حزب الكتائب اللبنانية، ولكنّه انضمّ إلى كتلة بشّارة الخوري الدستورية، وشغل منصب سفير لبنان في الفاتيكان، وأصبح عام ١٩٤٩م وزيراً للعدل، وكذلك وزيراً للصحّة، وأضحى رئيساً لجمهورية لبنان من عام ١٩٦٤م إلى عام ١٩٧٠م، وقد اصطدم في أواخر عهده بالمقاومة الفلسطينية حيث عُقد اتّفاق القاهرة. ويعدّ من أكثر رؤوساء لبنان ثقافة وميلاً نحو الحوار وتأثّراً بالغرب. (موسوعة السياسة ٣: ٤٢٨).

(١) عزّت شيعة (هيبة الشيعة): ١٣٩ ـ ١٨٣.

الأصالة والتواضع

ليس خافياً علىٰ أحد ما كان يتمتّع به الإمام موسىٰ الصدر من قصص الخشوع والتواضع.

كما لم تكن خصاله المحمّدية هذه محدودة في زمان أو مكان معيّنين، بل كانت جزءاً من شخصيّته أينما حلّ وارتحل.

ينقل أحد رفاقه في الجهاد والعمل، وهو الشيخ حيدر الأديب واصفاً تواضعه: «يعتبر التواضع واحدة من أبرز صفات الإمام موسىٰ الصدر، وطوال السنوات التي عملت فيها معه في البقاع لم أحسّ حتّىٰ ولا مرّة واحدة أنّني أعمل تحت سيطرته وإرادته، بل كنت أشعر دائماً بأنّ الإمام كأحدنا. وكان تعامله مع الجميع قائم علىٰ أساس المحبّة والاحترام، ولا يشعر أحد بأيّ استصغار أو رهبة أمامه»(١).

وينقل عن سائقه أبي علي الحسيني الحجازي قوله بهذا الشأن: «كان يؤكّد لي دائماً: متىٰ ما رأيت الناس يأتون لاستقبالنا والترحيب بنا، اركن السيّارة جانباً؛ لكي نترجّل عنها ونخطوا نحن لاستقبالهم؛ إذ هم أولىٰ بهذا الاحترام، الناس أولياء نعمتنا، والله يحبّهم..

لم يتكبّر على الناس لحظة واحدة، ويوم كنّا نذهب إلىٰ دمشق كان يشارك الجميع في تقسيم العمل، وكان يكرّر: هذه المرّة ستكون نوبتي في إعداد الطعام أو صنع الشاي أو غسل الأواني.

هذا من جانب، ومن جانب آخر، كان يراقب أفعالنا وتصرّفاتنا، ويتأثّر بشدّة إذا ما وجد في أحدنا ولو ذرّة من غرور أو تكبّر، ويقول: لا أريد أن أقف

---

(١) المصدر السابق: ٢٢٥.

يوم القيامة بين يدي الله تعالىٰ أُساءل عن أفعالكم، اذهبوا واخلوا مع أنـفسكم، واطلبوا المغفرة حتّىٰ ينكسر غروركم هذا»[١].

الصفح عمّن خُدعوا

قام بعض المنغرّين من الشيعة ممّن خُدعوا بالانتماء إلىٰ الحزب الشيوعي (الجبهة الشعبيّة)، بمحاولة لاغتيال الإمام موسىٰ الصدر، حيث نـصبوا له كـميناً بالأسلحة الرشّاشة ومدافع الآر ـ بي ـ جي، وذلك في الطريق الذي يسلكه..

ولكن شاءت إرادة السماء فشل هذه المحاولة، بعد أن صحىٰ ضمير أحدهم الذي سلّم نفسه إلىٰ مقاتلي أمل وأطلعهم علىٰ الخطّة المشؤومة، فما أسرع أن قام شباب أمل بتطويق المنطقة ومحاصرتها، ومن ثمّ إلقاء القبض علىٰ المغرّرين وتسليمهم للإمام موسىٰ الصدر ليبتّ بأمرهم، وإذا به يفاجىء الجميع بقرار إطلاق سراحهم، والعفو عنهم[٢].

المرحوم الشيخ حسين الخـطيب ـ وهـو واحـد مـن العـلماء اللـبنانيّين المخالفين للإمام موسىٰ الصدر بشدّة آنذاك ـ يتحدّث عن صفة الحلم التي كـان يتحلّىٰ بها الإمام الصدر قائلاً: «لقد حاربت هذا الرجل وقاتلت ضدّه، وكنت كلّما أشتدّ بمحاربتي إيّاه، كان يشتدّ بإبراز حبّه لي، ويكثر من زيارتي وتفقّدي، إلىٰ درجة كنت أخجل فيها من موقفي»[٣].

---

(١) نفس المصدر السابق: ٥٥.

(٢) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور شمران): ٣١٥.

(٣) عزّت شيعة (هيبة الشيعة): ٢١٤.

ويعتبر المرحوم الشيخ محمّد جواد مغنيّة، هو الآخر من أشدّ المخالفين للإمام موسىٰ الصدر، حتّىٰ من علىٰ المنبر، ومن خلال وسائل الإعلام[١]، ولكن الإمام الصدر ليس فقط لم يكن يرد عليه بالمثل، بل كان لا يذكر اسمه إلّا مقروناً بالتعظيم والاحترام، وكان لا يفتر من دعوته إلىٰ مجالسه، أو يقوم بزيارته، وتفقّده بين الحين والآخر، خصوصاً في الأوقات العصيبة التي كان يمرّ بها مغنية، فكان يقف إلىٰ جانبه ويعرض خدماته له، (نقلاً عن تقارير السافاك في بيروت).

الشيخ محمود فرحات (عالم دين)، وكامل الأسعد[٢] (رئيس مجلس لبنان في وقته)، كانا أيضاً من أشدّ المخالفين للإمام موسىٰ الصدر، ومع ذلك فقد عيّن الأوّل معاوناً له، وكان يزور الثاني دائماً في بيته ويتفقّده[٣].

للشهيد مصطفىٰ شمران عبارات أدبيّة جميلة حول شخصيّة الإمام موسىٰ الصدر، يصيغها بشكل خطاب أدبي قائلاً له: «... أنت يا حبّي الكبير، يا رمز

(١) راجع المجلّدات الثلاثة من ياران إمام (أنصار الإمام) الخاصّة بالإمام موسىٰ الصدر، وهي من الملّفات التي كانت تحتفظ بها السافاك (منظّمة الأمن الوطنية الإيرانية في عهد الشاه) في أرشيفها الخاصّ.

(٢) كامل أحمد الأسعد: سياسي لبناني تقليدي. ولد عام ١٩٣١م في لبنان الجنوبي، ونال إجازة الحقوق والعلوم السياسية من جامعة السوربون عام ١٩٥٢م، ومارس المحاماة، وانتخب عضواً في مجلس النوّاب اللبناني عام ١٩٥٣م، وشغل منصب وزير التربية، والفنون الجميلة، والموارد المائية والكهربائية، والصحّة العامّة، وانتخب عام ١٩٦٤م رئيساً لمجلس النوّاب. وأسّس عام ١٩٦٩م الحزب الديمقراطي الاشتراكي الذي تولّى رئاسته، وقد وقف محايداً أثناء الحرب الأهلية اللبنانية، ولعب دوراً أسياسياً في تأمين انتخاب بشير الجميّل رئيساً للبنان عام ١٩٨٢م، كما لعب دوراً مماثلاً عند انتخاب أمين الجميّل. (موسوعة السياسة ٥: ٥٨).

(٣) ياران إمام، ويژه إمام موسى صدر، گزارشهاي سافاك (أنصار الإمام، خاصّ بالإمام موسىٰ الصدر، تقارير السافاك) ١: ٢٤٨ ـ ٤٩١.

المذهب، يا من تحمل علىٰ كتفيك عذابات كلّ تلك القرون، ولكنّك صامد كالطود الشامخ، حتّىٰ تصاغرت أمامك كلّ الرجال، تحدّيت عداوات المخالفين والحسّاد بإغضائك وصفحك.

فكنت رغم كثرة أعدائك تتقدّم إلىٰ الأمام، لا تحيد عن أهدافك قيد أنملة.. يا نائب الإمام عليّ ووارث الحسين..

كلّي فخر أنّي أُقاتل في ركابك وفي طريق العزّ الذي سلكته حتّىٰ النصر أو الشهادة»[1].

الخضوع والعبادة

يعتبر هذا الموضوع واحداً من أهمّ شرائط وأركان الإمامة والقيادة في المجتمع السياسي، ولقد تجلّت بأعلىٰ صورها في شخصيّة الإمام موسىٰ الصدر حتّىٰ صفت إلىٰ مراتب الكمال.

يصف ذلك أحد العلماء الكبار الذين رافقوا الإمام الصدر في مسيرته العلميّة في النجف وقم بقوله: «كان من زمرة أُولئك العلماء العظام الذين قلّما تجد لهم نظيراً أو شبيهاً. كان يمتاز بكلّ صفات العالم الربّاني الكامل، فكما كان مفكّراً متنوّراً كان عابداً يسمو بعبادته، ومواليأ يدهشك بموالاته، حتّىٰ إذا ما كان يقرأ زيارات الأئمّة الأطهار لكأنّه يغيب عن عالمه المحيط به، وتحمرّ عيناه بالبكاء، فينشدهم أبيات الرثاء باللغتين العربيّة والفارسيّة»[2].

---

(١) عزّت شيعة (هيبة الشيعة): ٢٩٧.

(٢) نقلاً عن آية الله السيّد محمّد علي موحّد الأبطحي، وهو واحد من أساتذة دروس الخارج (الفقه والأُصول) في الحوزة العلمية في قم. توفّي سنة ١٣٨١ هـ ش، ودفن في قم المقدّسة.

حبّ الناس

كان الإمام الصدر مولهاً بحبّ الناس، فعلىٰ الرغم من كثرة انشغاله ومشاكل العمل، كان يخصّص أغلب أوقاته لهم، سواء في بيوتهم أو أماكن عملهم، ويخصّ منهم عوائل الشهداء والأيتام، حيث يتبادل وإيّاهم هموم الحياة ومشاكل العمل، ويقول لهم: «مكاني بينكم ومكانتي في قلوبكم.. وقوّتي من فضل أياديكم، وعيونكم تحفظني.. أنتم أحبّتي، ولن أُفضّل عليكم الدنيا كلّها»(١).

وأمّا المناسبات الدينيّة والأعياد، فكان يقضيها شخصيّاً بين الناس وفي بيوتهم، ولم يكن حاله حال بقيّة الشخصيات الدينيّة والسياسيّة التي تقيم لها مراسيم شكليّة خاصّة تجذب الناس بمظاهرها.

وكان يخصّ ويتفقّد الأماكن المحرومة والصامدة أمام نيران مدفعيّة العدوّ الإسرائيلي. فلا عجب إن كان الناس يبادلونه هذا الحبّ وأكثر.

ينقل عن سائقه أبي علي الحجازي قوله: «كنّا أنا والمرحوم محافظه أبو علي يونس من أقرب الناس إليه، ولقد رافقناه في كلّ تنقّلاته. كان لا يشعر بأيّ حرج في دخوله بيوت الفقراء والجلوس علىٰ فرشهم، ولكأنّه أحدهم.. ولا يسأم من دعوة الفقراء لمشاركتهم في تناول طعامهم البسيط والمتواضع، ويخاطب ربّة البيت وكأنّه واحد من أبنائها: أيّتها الأُمّ، ماذا أعددتي من الطعام هذا اليوم؟ ولم يكن يجيز لصاحبة البيت أن تتكلّف في إعداد الطعام، بل يرضىٰ مسروراً بتناول أبسط ما لديهم من قوت يومهم المتواضع، فكان يقول لهم عقيب كلّ دعوة: إذا كنتم تحبّونني ولا ترضون أن يحاسبني الله يوم القيامة، فلا تتكلّفوا بصنع الطعام، فإنّي أرضىٰ بما تصنعونه لكم ولعيالكم»(٢).

---

(١) مجلّة «البعثة» الإسبوعيّة / السنة: ١٢ / العدد: ٢٦ / صفحة: ٧.

(٢) عزّت شيعه (هيبة الشيعة): ٢٨٨.

تفقّد عوائل الشهداء

لم تكن زياراته لعوائل الشهداء تنقطع أبداً، حيث كان يطيل البقاء بينهم، يواسيهم ويشاركهم آلامهم، ومن ثمّ كان يستلهم الإيثار والاستقامة من صبرهم.

زار ذات يوم امرأة قد جاوزت الستّين من عمرها، كان قد استشهد كلّ أولادها، وكان آخرهم قريب العهد بالشهادة. فاستقبلت الإمام بحفاوة وجلست أمامه بهيبة ووقار، وبعد لحظات قالت له: «أيّها الإمام، لماذا لا تأسّسون معسكرات لتدريب النساء علىٰ فنون القتال؛ لكي أنضمّ إليها وأتعلّم القتال، ومن ثمّ وبكلّ افتخار أنال الشهادة مثل أولادي؟»(١).

وفي لقاء آخر مع عائلة استشهد لها اثنان من أولادها، خاطبه ربّ العائلة قائلاً: «أيّها الإمام، لا تهتمّ، فقد تبقّىٰ لدي ثلاثة أولاد، بالإضافة إلىٰ زوجتي وأنا، فخمستنا مستعدّون للشهادة بين يديك»(٢).

ملاحظات أُخرىٰ خالصة

امتلك الإمام موسىٰ الصدر نظرة عرفانيّة خالصة لتفسيره الكثير من الأحكام والمسائل والمعارف الإسلاميّة التي لها علاقة بخلق العالم والموجودات، نظرة نابعة من صميم اعتقاده بالاتّجاه الفكري الإسلامي المستوحىٰ من تفسير أهل بيت النبوّة لها.

هذه النظرة لم تتحدّد في ميدان واحد، بل شملت كافّة الميادين العلميّة

---

(١) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور شمران): ٩٤.

(٢) المصدر السابق: ٩٥.

والثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، وكان يخوضها بقوّة واقتدار، فيخرج بـنتائج موفّقة ومفيدة.

وسوف نحاول هنا أن نشير إلىٰ بعض هذه الأفكار بصورة سريعة(*).

(*) عن فكر الإمام موسى الصدر، عبّاس الحلبي، جريدة «السفير» (لبنان)، الخميس، ٢٨ / آب / ٢٠٠٣م.

إنّ من يطّلع على فكر الإمام موسى الصدر يعرف تماماً أسباب تغييبه: لقد جاهد من أجل الفقراء والمحرومين والمستضعفين، ودعا إلى الحقّ، ونادى بالكرامة الإنسانيّة، وسعى إلى رفض الصنمية، صنم المال والجاه والنزعات القبلية والأنانيات والاندفاعات الخاطئة بحجّة الكرامات، وليست هناك من كرامات أمام الحقّ.

يقول الإمام: «إنّ البداية تبدأ برفض كلّ آلهة الأرض بمفهومها الواسع».. وهذه البداية التي هي نواة التحرّر تشكّل أساس الآيديولوجية الإسلاميّة. فالتحرّر إذاً هو أساس الآيديولوجية الإسلامية بحسب نظر الإمام، فيرفض الإقطاع الديني البديل بنظره عن الإقطاع السياسي.

فأين واقعنا الراهن اليوم حيث يسيطر الإقطاع الديني على عقول بعض الشباب ويدفعه إلى التهوّر وارتكاب الجرائم بحجّة الدين. ويقول الإمام: «ما أكثر الجرائم التي ارتكبت باسم الدين! وما أكثر صروح الظلم التي بُنيت وأُسّست باسم الدين!».

من هنا يسأل الإمام: «هل هناك ما يضمن لنا وبوسيلة دينية الفصل والتمييز بين الدور الإيجابي التحرّري للدين، والدور السلبي الذي مُورس ويُمارس باسم الدين؟». ويجيب فوراً: «بأنّ الأحكام الدينية مليئة بهذه الضمانات» مستحضراً العهد الذي أرسله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى مالك الأشتر الحاكم المعيّن من قبله على مصر.

لنتوقّف عند فقرة معروفة، هي: منع الحاكم من التحجّب والابتعاد عن الناس. يقول ما معناه: «إنّ التحجّب عن الرعية يدعو إلى انحراف الحاكم، فيصبح في وضع لا يطيق فيه إلّا المجاملات، ولا يقتنع إلّا بالمديح، ولا يرتاح إلّا للملق. ثمّ يتغيّر، فيشعر بأنّه رسول، وبأنّه نسيج وحده، وبأنّ الذي يؤيّده فقط هو الوفي المخلص، فيوزّع المناصب على أزلامه، ويبعد العلماء والأكفياء الصادقين عن بابه، وينهار بالتالي المجتمع. ومن جهة أخرى، فإنّ الناس عندما يبتعدون عن الحاكم يتوهّمون أوهاماً، فيشعرون بالضعف ويميلون إلى السكوت على الظلم».

←

← إنّ كلمات الإمام علي صريحة في ضرورة استمرار اللقاء والحوار والمناقشة مع الحاكم، وهذا الأمر مشتقّ من تعليم إسلامي: «أفضل الجهاد كلمة حقّ عند سلطان جائر». والضمانة تبقى في التقاء الحاكم بالناس، والاستماع إلى النقد والمحاسبة، بالإضافة إلى محاسبته لنفسه التزاماً بالحديث الشريف: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا». وكأنّ الإمام يصف واقع العالم العربي متنبّئاً بالمآسي التي يمرّ بها جرّاء ابتعاد الحاكم عن الناس، وفقدان الحرّية والديموقراطية، وانتفاء المحاسبة، وتداول السلطة. فأضحى الحاكم نسيج وحده فاقداً كلّ اتّصال بالناس غير عابئ بتطلّعات الشعب العربي الذي يسير إلى الهاوية! وهذه فلسطين قد ضاعت، وضاع العراق، وكاد لبنان أن يضيع، ولا نزال نقف على الأطلال نبكي مثل النساء ملكاً لم نحمه مثل الرجال!

أمّا الانفصال بين مبدأ العدالة الاقتصادية والاجتماعية وبين الآيديولوجية الإسلامية فهو جزء من مأساة الفصل بين العقيدة والشريعة. هذا الانفصال بوجوده وبقناعة المسلمين على مختلف فئاتهم فيه أفقد العمق والشمول والدوام في أسس العدالة، حتّى أصبحت العدالة الاقتصادية والاجتماعية وغيرهما مطلباً اجتماعياً وموضوعاً سياسياً صرفاً، كما يقول عن أوضاع الأمّة اليوم.

إنّ العقيدة المنفصلة عن نتائجها الاجتماعيّة لا تؤثّر في أوضاع المسلمين الحياتية، ولا في سلوكيتهم الخاصّة والعامّة. واقترنت لدى البعض بالعبادات فقط لتنظيم العلاقة بين الفرد وخالقه فحسب ولتسهيل رحلة الموت ليس إلّا.. إنّنا لا نعرف بالضبط متى حصلت هذه المؤامرة؟ ويسمّي الإمام اقتصار العبادة لتسهيل مرحلة الموت: «مؤامرة»، متسائلاً عن مرحلة الحياة ودور الدين فيها. فقد انفصل الإنسان عن العدالة، وأفرغت العبادات من محتوياتها، وأصبحت طقوساً...

ومرحلة الحياة عند الإمام أهمّ من تنظيم مرحلة الموت، ولئن اقترن جهاده بالاثنين معاً، فهو من جهة أطلق أطروحة المقاومة اللبنانية وضعاً للخصوصية في سياقها الوطني العربي والإسلامي، إلّا أنّه يوم إطلاق هذه المقاومة وضع الحجر الأساس لبناء مدرسة في «كفرشوبا» ورفع عينه إلى السماء وقال: «يا سماءنا، نحن الآن هنا أقرب إليك من أيّ مكان آخر».

فالإمام باني المؤسّسات العديدة قد عرف منذ البدء أهمية هذه المؤسّسات في انتظام حياة
←

→ أبناء المجتمع الذي ينتمي إليه وإعدادهم وتأهيلهم ورفع مستواهم الفكري والتربوي والاجتماعي والصحّي. لم تقتصر دعوته إلى القتال فقط وإن كان «السلاح زينة الرجال»، بل رفع بيد البندقية لمقاتلة إسرائيل التي هي «شرّ مطلق»، وبالمقابل رفع المعول لبناء صروح العلم والتربية والفكر...

لقد نمت حركة الإمام موسى الصدر في ظلّ الأرجحية المسيحية في نظام الحكم قبل الأحداث الوطنية الكبرى من جهة، وفي ظلّ نظام عربي أظهر فشله في مواجهة العدوان والاحتلال الاسرائيلي من جهة أخرى، ولا يزال. ولئن كان الشيعة وهم إحدى الأقليات الثلاث التي تؤثّر في قرار الحرب أو السلم في لبنان، إلّا أنّ الإمام قد أنشأ الأدوات المناسبة من جهة لإدخال الشيعة في نظام الحكم عن طريق برنامج مطلبي ذي بعد وطني، وهو رفع الحرمان...

وهنا أعود إلى فكر الإمام الذي يعطي الأولوية لمرحلة الحياة على مرحلة الموت.

وفي هذا السياق لم يمنع انشغال الإمام بتجديد الفكر الإسلامي وتجديد الخطاب الديني ولا بحركته السياسية المطلبية ولا رغبته في إنشاء المؤسّسات، من المساهمة في إطلاق الحوار الإسلامي ـ المسيحي في لبنان. ولأنّ الإنسان هو الأهمّ بنظره، يعتبر الإمام الصدر أنّ الدين جعل لخدمة الإنسان لا الإنسان لخدمة الدين، وبأنّ الدين الذي لا يرفع من شأن الإنسان وكرامته ليس ديناً إلهياً، والله بريء منه إلى يوم الدين. وبالنسبة إليه كانت الأديان واحدة حيث كانت في خدمة الهدف الواحد: دعوة إلى الله، وخدمة الإنسان، وهما وجهان لحقيقة واحدة.

وما يجمع المسيحية والإسلام هو الإنسان... خليفة الله على الأرض، الإنسان هذا، هدف الوجود، بداية المجتمع، والغاية منه، والمحرّك للتاريخ.

وإذا كان «الإسلام هو دين التوحيد» وله طابعه الخاصّ الذي يميّزه عن باقي «الرسالات السماوية»، إلّا أنّ منطق الإسلام في شأن الأديان السماوية موجود في القرآن الكريم الذي يعلن: أنّ رسالة محمّد هي العقد الأخير في سلسلة الأديان الإلهية، وأنّ محمّداً هو خاتم الأنبياء، مؤمن بهم، ومصدّق بأنّهم رسل ربّه...

وفي محاضرة له يروي الإمام الصدر إلى موضوع تتالي الأديان السماوية، فيقول: «الرسالات الإلهية ذات أطوار ثلاثة، تبدأ برسالة الضمير الإنساني، تليها رسالة الأنبياء، ←

النظرة الإسلاميّة للكون وللإنسان

يعتقد الإمام موسىٰ الصدر استلهاماً من الآيات القرآنيّة(١) أنّ العالم قـائم علىٰ أساس الحقّ والعدل، سائر نحو أسمىٰ الأهداف. ولا معنىٰ للقول بلا هدفية أو عبثيّة الحياة، كما يذهب إلىٰ ذلك بعض الفلاسفة حينما يعجز عن تفسير فـلسفة الخلقة من خلال نظرياته المادّية. كلّ ما في الكون من موجودات والقوانين التي تحكمها بدقّة لا متناهية تحكي عن نظريّة العدالة تلك.

← وأخيراً رسالة التجارب المريرة والصعوبات والمشاكل التي يعانيها الإنسان، والتي هي حركات لرفع الإنسان إلى الخير والكمال».
وفيما يتعلّق برسالة الأنبياء، يقيم الإمام الصدر مقارنة بين ما ورد في الإنـجيل المـقدّس والقرآن الكريم ليبيّن أوجه الاتّفاق بينهما مختتماً هذه المقارنات بتعليق: «طلب الرسل من الناس أن يتعارفوا، وأن يستبقوا الخيرات، وأن يكونوا كما أراد لهم ربّهم».
والحقيقة أنّ التفاوت في الرأي وفي الأديان من أهمّ أسباب الحركة الفكرية وعدم الجمود، ومن مستلزمات ظهور المواهب الذاتية.
يُستدلّ من هذه الأقوال معرفة الإمام العميقة بالدين المسيحي من جهة، وأنّ الاختلاف هو حقّ مقدّس تجب مراعاته، وأنّ التنوّع هو سبب من أسباب الغنى الإنساني، وليس سـبباً للنقمة بين البشر؛ إذ ما قيمة الأديان إذا أدّت إلى تفرقة الناس وإلى خراب الإنسان الذي يبقى بنظر الإمام الذي وجدت الأديان من أجله من أجل سعادته وخيره وإعمار الأرض.
هل لي أن أتساءل بعد الآن: لماذا الإنسان في موسى الصدر قد غُيّب؟!
إمام على مدى الوطن، قد أطلق حركة ديناميكية أدّت إلى تـحوّلات جـذرية فـي بـنية المجتمع اللبناني المترهّل.. قائد على مساحة الوطن العربي الذي حاول أن يعوّض فشل الأنظمة بالتفاف الشعب حول مشروعيّة المقاومة لإسقاط العدوان الإسرائيلي.. مجدّد في الفكر الإسلامي، حاول أن يعيد للإسلام وجهه الأصـيل المـتحرّر مـن رواسب النـظرات الشخصية التي لم تعد تصلح لا في الزمان ولا في المكان.. هو المبشّر الذي أسّس مدرسة الفكر اللبناني والفكر العربي والفكر الإسلامي، وقد خُطف في أوجّ عطائه ونضوجه ونتاجه. لكن البذرة الخيّرة التي زرعها أينعت فكراً وممارسة.
(سايت: www.amal-bintjbeil.com).

(١) كقوله تعالىٰ في سورة الدخان: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّماءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾.

وعلىٰ هذا الأساس فإنّ الباطل والظلم والخيانة هي مفاهيم زائلة وفانية مهما كانت قوّتها، ويكون الثبات للحقّ والعدل والإحسان[١].

بالاستناد إلىٰ الآية الثلاثين من سورة الروم، يفسّر الإمام موسىٰ الصدر فطرة الإنسان علىٰ أساس ديني ثابت، حيث يقول: «الإنسان من وجهة نظر دينيّة مجبول علىٰ الفطرة الطاهرة النقيّة مهما كانت الظروف المحيطة التي تعمل علىٰ منع تأثير هذه الفطرة في سلوكياته الخارجيّة، وتدفعه لارتكاب الظلم والمفاسد، ولكن حتّىٰ في تلك الحالات فإنّ الفطرة الإنسانيّة تدعوه إلىٰ التوقّف والعودة إلىٰ الطريق السليم، وهو طريق الصلاح والصواب»[٢].

وعلىٰ هذا الأساس فإنّ الإنسان إذا ما دُعي إلىٰ فعل الخير والصلاح فإنّ في أعماق قلبه قوّة تسمّىٰ بالفطرة تعمل علىٰ إنجاح تلك الدعوة وسوق الإنسان لتحقيق فعل الخير ذاك.

القوىٰ الغيبيّة

يعتقد الإمام موسىٰ الصدر أنّه بالإضافة إلىٰ الفطرة، هناك قوىٰ غيبيّة كثيرة توضع تحت تصرّف الرجال الكبار؛ لأجل تحقيق أهدافهم المهمّة في الحياة، وتحفظهم وتؤيّدهم.

وعلىٰ هذا الأساس يجب أن لا تفلّ المشاكل وصعوبات الحياة والوحدة

---

(١) اقتبسنا هذه الكلمات من محاضرته علىٰ جمع من العلماء والمفكّرين، أمثال الشهيد مطهّري، وذلك بتاريخ ١٣٤٠/٧/٧ هـ. ش في مدينة شيراز، راجع مجلّة «گفتار ماه» (مجلّة القول الشهري) / السنة الثانية / صفحة: ٢٥.

(٢) نفس المصدر السابق: ٢٥.

في العمل من عزيمة الانسان، بل من اللازم عليه السير إلىٰ الأمام بقدم ثابتة وعزيمة راسخة، متمتّعاً بكلّ شروط الاستقامة، ومطمئنّاً إلىٰ أنّ تلك القوىٰ الغيبيّة لن تخذله.

الإمام الصدر هو نفسه تجسيد لهذه الحقيقة. قدم لبنان وهو لا يملك سوىٰ ما كان يعتقد به، وإذا به رغم كلّ المشاكل والغربة والأعداء وبعد فترة قصيرة جدّاً يتربّع علىٰ قلوب الملايين من المحبّين من أبناء هذا البلد المحروم، الذي اتّخذه قائداً ومعلّماً وقدوةً.

التبليغ الحديث

يصف الإمام موسىٰ الصدر تجاربه العلميّة ونجاحه فيها أثناء عمليّة التغيير كالتالي: «من خلال تجربتي التي استمرت في أقلّ من سنتين في مدينة صور، توضّح لديّ أنّه كلّما كانت الدعوة خفيفة ومتناسبة مع الظرف الزماني والمكاني بما يتلائم واحتياجات الناس الماديّة والمعنويّة، فإنّ لها الأثر الكبير في التغيير والإصلاح لكافّة طبقات المجتمع، وحتّىٰ أشدّ أفراد هذه الطبقات غفلة.

وأنا علىٰ يقين تامّ أنّ الطريق لأداء الواجبات والتكاليف طريق واضح ومفتوح، والكلّ يملك الاستعداد لتقبّل العمل بتعاليم الدين السمحاء، ولكن يبقىٰ نمط التبليغ والدعوة هو الذي يحدّد عمليّة الجذب والتغيير»[1].

أهميّة التنظيم

للتنظيم أهميّة مصيريّة بالنسبة للإمام موسىٰ الصدر، ويؤكّد على ذلك في إحدىٰ لقاءاته الخاصّة بمؤيّديه ومحبّيه حينما يشرع بالقول: «أنا جندي هذا الوطن العائد دوماً من ساحة المعركة..مكاني كما وضعه الله تعالىٰ متنقّلاً بين تلك

---

(١) المصدر السابق: ٣٦ و ٤٤.

الصدور المواجهة للعدوّ.. أنا علىٰ خطّ النار المقدّم، أحسّ بوقع ضربات العدوّ الساحقة الموجعة في صدري»[١].

ثمّ وبالاستناد إلىٰ الآيتين ٧ و ٨ من سورة الرحمٰن، وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ﴾ يؤكّد علىٰ أهميّة التنظيم والتخطيط، ويقول: «لماذا يدعونا الله في هذه الآية إلىٰ رعاية العدل والتنظيم؟ الجواب واضح؛ وذلك لأنّ الحياة أساساً قائمة علىٰ العدل والتنظيم.

وإذا أردنا أن نكون من أبناء هذه الدنيا، وأن نكون أحياء، وأن نصل بأعمالنا إلىٰ نتائج مطلوبة وصحيحة، يجب أن نعمل علىٰ تنظيم أُمورنا.

عدم النظام يعني الفناء المحتم؛ لأنّه خلاف قاعدة الحياة التي ـ كما قلنا ـ كلّ شيء فيها قائم علىٰ نظام دقيق.

والقرآن الكريم يحثّ علىٰ التنظيم في كثير من آياته التي توضّح بأبسط معانيها أنّ الدنيا قائمة علىٰ أساس الحقّ والعدل والتنظيم والانضباط.

ومن أراد أن يعاند ويعيش في هذه الدنيا بفوضىٰ وعدم انضباط، فإنّ مصيره الفناء والاضمحلال»[٢].

الفنّ والحضارة الإسلاميّة

يعطي الإمام موسىٰ الصدر أهميّة فائقة للفنّ في هذه الحياة.

ويعتبر مفاهيم من قبيل: (معرفة الواحد) و (الخلود والبقاء) و (التنسيق والإحاطة) و (سعة النظر) و (الواقعيّة) و (الحركة والبناء)، من أهمّ الخصائص

(١) نقلاً عن مجلّة «سيماي إسلام» (سيماء الإسلام) السنويّة: ٧٥. وهذه الخطبة ألقاها الإمام الصدر في خريف عام ١٣٤٤ هـ. ش في مركز التبليغ الإسلامي بمدينة قم المقدّسة بحضور جمع من العلماء وأساتذة الحوزة العلميّة.

(٢) المصدر السابق: ٧٧.

البارزة التي ترسم أبعاد الثقافة الإسلاميّة.

وحول الأدب والفنّ الإسلاميّين، يكتب الإمام الصدر: «اعتُبر الأدب والفنّ الإسلاميّان بعضاً من الأدب والفنّ الشرقيّين، بغناهما الفكري وروعتهما الفلكلوريّة، فهما من ذخائر الأدب والفنّ، يستلهمهما بعض الأُدباء والفنّانين المعاصرين، من أمثال الشاعر الأسباني (ميكائيل أونامونو)، والشاعر الألماني (غوته)[1].

ولا ننسىٰ الأثر الكبير الذي كان للفنّ الإسلامي في البناء والنقش والرسم.

الفنّ عند المسلمين يبدأ مع المفهوم العامّ للكون: «إنّ الله جميل يحبّ الجمال»[2]، فيصبح الجمال عامّاً في الوجود وفي الحياة، وفي كلّ شأن من شؤونها، ونجد أنّ الفنون الجميلة عند المسلمين كانت عامّة في حياتهم، في بيوتهم، في مساجدهم، في السيف وغماده، في المصحف وبيته، في السوق والمعابد العامّة.

وما كان الفنّ يختصّ بطبقة مميّزة، وما كان الفنّ يوماً ترفاً في الحياة، وفضلاً من العيش، وإنّ جولة قصيرة في المساجد القديمة وفي الأسواق والبيوت في الشام وفي أصفهان، تكشف هذه الحقيقة»[3].

الهجمة الثقافيّة

يحذّر الإمام موسىٰ الصدر من خطر الهجمة الثقافيّة التي يتعرّض لها العالم الإسلامي، ويطلق عليها اسم: (الاستعمار الفكري)، ويعدّها أشدّ خطورة من

(١) غوته: من مشاهير الكتبة الألمان. ولد في فرانكفورت سنة ١٧٤٩م، وتوفّي سنة ١٨٣٢م. من مؤلّفاته: فوست، فرتر، هرمان ودوروته. (المنجد في الأعلام: ٥١٠).

(٢) قارن: مسند أحمد ٤: ١٣٤ و١٥١، مجمع الزوائد ٢: ٢١٤ و٥: ١٣٢، ١٣٣، مشكاة المصابيح ٣: ٩٢، الدرّ المنثور ٣: ٧٩ و٤: ١١٤.

(٣) إسلام وفرهنگ قرن بيستم (الإسلام وثقافة القرن العشرين): ١٢٧.

الاستعمار السياسي والعسكري والاقتصادي.. وذلك أثناء لقائه بجمع من أتباعه ومؤيّديه في إحدىٰ ندواته الشهريّة سنة ١٣٤١، ويضيف: «ليس من السهل علىٰ أُمّة فقدت هويّتها وأصالتها الثقافيّة أن تستعيد دورها في الحياة من جديد، فقدان الهويّة بالكامل يعني الموت المحتم.

وللأسف الشديد ينطبق هذا الكلام علىٰ المسلمين اليوم، حيث يعيشون حالة فقدان الهويّة والأصالة، فاستحوذت عليهم أفكار غير أفكارهم، كتّابهم وأُدباؤهم، وحتّىٰ عوام الناس منهم، يستلهمون لأدبهم وعاداتهم من أفكار دخيلة وغريبة.

وإنّي لأعجب كيف أنّ أُمّة تملك كلّ هذه الكنوز الثقافيّة الأصيلة، فتنبذها وراء ظهرها وتركض لاهثة وراء ثقافات غريبة عن واقعها وتاريخها وأصالتها!»[1].

جذور التخلّف

لا يختلف الإمام موسىٰ الصدر مع أصحاب الرأي في أنّ أسباب تخلّف المسلمين اليوم تتمحور في ثلاثة محاور: (الكسل)، و(الكذب)، و(الاستعمار).

ويتعمّق بتحليل جذور المشكلة متسائلاً: ما السبب في كسل المسلمين؟ وما العلّة في ابتلائهم برذائل الأخلاق كالكذب؟ ولماذا تغلغل الاستعمار في صفوفهم بكلّ سهولة؟

وبعد أن يطرح تلك الأسئلة يشرع بالدخول ببحث شامل، يصل فيه إلىٰ هذه النتيجة:

علىٰ رأس هذه الأسباب: عدم وجود مؤسّسات قياديّة موحّدة تأخذ علىٰ عاتقها تربية أُمّة إسلاميّة قويّة محصّنة بالفكر الإسلامي الأصيل.

(١) مجلّة «گفتار ماه» (مجلّة القول الشهري): ٢٦.

ويـذكّر بأسباب نـهضة المسلمين الأوائـل؛ وذلك لاهتمام الرسـول الأكرم ﷺ بدور القيادة والإمامة في المجتمع.

ومن مجمل أفكار الإمام الصدر تلك نستشفّ أنّ الحـلّ الوحـيد لإنقاذ المسلمين من هذا الضياع هو بتشكيل حكومة إسلاميّة، وهذا ما كان يسعىٰ إليه عمليّاً، ويؤيّد ذلك ما قام به من تشكيل المجلس الشيعي الأعلىٰ في لبنان.

الإيمان المطلوب

ابتُلي الإمام موسىٰ الصدر طوال حياته السياسيّة والاجتماعيّة بـفئة مـن قاصري النظر ومنحرفي التفكير.. هؤلاء الذين كانوا يرون أنّ العـمل بـالسياسة والسعي لحلّ مشاكل الناس دليل علىٰ ضعف الإيمان وعدم التقوىٰ بالنسبة إلىٰ رجل الدين.

يقول الإمام موسىٰ الصدر ردّاً علىٰ هؤلاء: «... يقولون: إنّ السيّد موسىٰ خرج عن إيمانه، وكان الأولىٰ به أن يقنع بالإيمان والصلاة! وأقول لهم: نعم، إنّي سأقنع بالإيمان، ولكن أسألكم: ما هو الإيمان بالله؟ ليس الإيمان أن نساهم في حفظ تاج الظلمة، ونأمر الناس بالسكوت والصبر والرضا بالأمر الواقع.

الإيمان في منطق القرآن هو: ﴿أَرَأَيْتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾[١].

الإيمان بالله هو ذلك الشيء الذي يمنع الإنسـان أن يـقف مـحايداً أمـام عذابات الآخرين.

ليس بمؤمنٍ من يبات شبعاً وجاره جـائع.. فـنحن لا نـقيم وزنـاً لهكـذا إيمان»[٢].

---

(١) سورة الماعون ١٠٧: ١ ـ ٣.

(٢) مجلّة «البعثة» الإسبوعيّة / السنة: ١٢ / العدد: ٢٦ / صفحة: ٧.

الصلاة المطلوبة

ينظر الإمام موسىٰ الصدر إلىٰ الزهد والتقوىٰ والصبر و... علىٰ أنّها معانٍ أصيلة واقعيّة، وليست وسائل للارتزاق والتكسّب، وكان يسعىٰ دوماً لإزالة غبار التحريف عن هذه الحقائق المقدّسة.

في تعريفه لفلسفة الصلاة يقول: «إخواني، ما هي الصلاة المقبولة عند الله؟ الصلاة التي تمنع الناس عن الاعتراض علىٰ الظلمة؟ الصلاة التي تضلّ الناس ولا تهديهم؟ الصلاة التي تشجّع المسؤولين الظلمة في هذا البلد علىٰ التمادي في ظلمهم؟

أبداً، هذه ليست الصلاة التي يريدها (سبحانه وتعالىٰ) منّا، الصلاة المقبولة هي التي تخدم الناس وتفيدهم: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[(١)]، يعني: الصلاة التي تدفعك إلىٰ الابتعاد عن خدمة الجار والتقصير بحقّه فهذه صلاة تورد النار لا الجنّة»[(٢)].

الحضور الاجتماعي[(*)]

---

(١) سورة الماعون ١٠٧: ٤ ـ ٧.

(٢) مجلّة (البعثة) الإسبوعيّة / السنة: ١٢ / العدد: ٢٦ / صفحة: ٧.

(*) قراءة في دور الإمام الصدر الاجتماعي، صحيفة «النهار» (لبنان)، أحمد قصير، ٢٠٠١/٨/٣١م.

جاء في محكم التنزيل: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [سورة النجم ٥٣: ٣٩ ـ ٤٠]، وجاء في إنجيل لوقا الثاني عشر: «فقال الربّ: فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذي يقيمه سيّده على خدمه ليعطيهم العلوفة في حينها؟ طوبى لذلك العبد الذي إذا جاء سيّده يجده يفعل هكذا... بالحقّ أقول لكم: إنّه يقيمه على جميع أمواله» [إنجيل لوقا: ٨٨].

إنّ النصّ الإلهي في القرآن الكريم يحضّ الإنسان على العمل، وكذلك النصّ في الإنجيل، فمن الطبيعي البحث بموضوعية عن المفاهيم المشتركة بين الديانتين الإسلاميّة والمسيحية ←

← في قضايا الإنسان والمجتمع، من أجل تفاعل حضاري يخدم مصلحة الإنسانية جمعاء.
وفي هذا السياق طرح الإمام الصدر مسألة التعاون الوثيق بين العالم العربي وأوروبا؛ لأنّهما يشكّلان وحدة حضارية اقتصادية ثقافية متكاملة، وإنّ لولب هذا الحوار هو العلاقات الإسلاميّة ـ المسيحيّة، مبدأ العيش المشترك بين اللبنانيّين.
أدرك الإمام الصدر منذ وصوله إلى لبنان أنّ الطائفة الإسلامية الشيعية ورثت حصّة دونية داخل دولة طوائفية أرسى معالمها الاستعمار، وكان هذا الإرث تأسيساً لإرادة مكبوتة تبحث عن تحسين أوضاع اللبنانيّين المحرومين اقتصادياً والمهزومين سياسياً في تركيبة المجتمع اللبناني اللامتوازن في القرار والمصير.
من هنا جاءت تجربة الإمام الصدر الاجتماعيّة المؤسّسية إرادة جماعية في بحثها عن سياسة تحمي الوطن انطلاقاً من جنوبه، وتخرج العامليّين وسكّان (بعلبك الهرمل) من ضغوط الحرمان والطائفية والانقسام، ممّا أدّى إلى مواجهة سافرة مع تخاذل الدولة التي ساهمت بشكل مباشر في انطلاقة الحرب الأهلية، ممّا جعل الإمام الصدر يطرح مشروع نهضة وطنية مطلع الستّينات على كافّة المستويات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. فالديموقراطية مغيّبة، والفجوة العلميّة والتكنولوجية بين العرب والغرب تتّسع وتتعمّق، والهوية العربية في موقع الشكّ والمساءلة في ظلّ تفتّت المجتمع إلى جزر قبلية وطائفية وفئوية.
هكذا واجه الإمام الصدر الساحة اللبنانية، صورة قاتمة يغلب عليها الاهتمام والفساد، والقطّاع الأكبر من المجتمع تطحنه رحى الفاقة والفقر والبطالة. ومعظم الشباب أسقطوا من وعيهم الهمّ الوطني والشأن الاجتماعي.
ومن خلال هذا الواقع المأزوم نجح بدوره الاجتماعي المتمكّن من وعي الذات كمنطلق لوعي التاريخ، وبإيمانه بالعمل المستمرّ استطاع أنّ يخفّف من مظاهر الحرمان والإهمال والفساد وتفشّي الأمية، وبناء مؤسّسات تربوية تعليمية صحّية مهنية أينعت كفايات علمية تقنية متطوّرة، فاتحة أبواب العلم والعمل أمام طموحات إنسانية متقدّمة تستجيب لحاجات المواطنين في الوظائف والموازنات والمشاريع الإنمائية، تماماً مثلما تستجيب لارادة تغيير التمثيل السياسي والمشاركة الوطنية.
ويقول الصدر في هذا السياق: «علينا أن نتطوّر عقلياً، وتطوّرنا العقلي دولة وشعباً هو ←

← الحسّ بالروح الوطنية، وعلينا أن نمارس هذا، فالتفكير إذا لم يقترن بالممارسة يتحوّل إلى نقص، إلى تحدّر، يجب أن نشعر بثقل المسؤولية... نحن بانتظار الأغنياء لكي يفكّروا بالفقراء، وبانتظار الجمعيات التي عندها وفرة من المال لأن تنظر إلى الفقراء».
ومن الأهمية بمكان أنّ الإمام السيّد موسى الصدر وصل إلى لبنان أواخر عام ١٩٥٩م، وسكن في مدينة صور، ثمّ وضع خطّته مقسّماً نشاطه الاجتماعي إلى أربع مراحل:
المرحلة الأولى: الملاحظة والاستطلاع وتكوين الفكرة التأسيسية.
المرحلة الثانية: الاختبار والدراسة.
المرحلة الثالثة: العمل الحركي الفعّال لتهيئة الظروف الملائمة للحوار والتأسيس.
المرحلة الرابعة: الانطلاق في الخطّ العربي الإسلامي النهضوي.
بدأ الإمام الصدر يعالج مسألة الفقر، ومن خلال جمعية البرّ والإحسان استطاع القضاء على ظاهرة التسوّل في صور، فدرس أوضاع الفقراء ميدانياً، فأقرّ للعاجزين منهم مرتّباً شهرياً، إضافة إلى تقديم الدواء المجّاني، ومعالجة المرضى منهم، ثمّ قدّم وسائل التدفئة للمعوزين في فصل الشتاء، وأدخل أطفال الفقراء إلى المدارس، وأنشأ لجنة اجتماعيّة تختصّ بأوضاعهم، وطلب من الناس عدم الاستجابة للمتسوّلين بالدفع الفردي، ولم يقف عند هذا الحدّ، بل ردّ حالة الفقر المدقع إلى الأسباب الآتية: أ ـ كثرة الإنجاب. ب ـ النقص العضوي في العائق عن العمل ـ العاهة. ج ـ قلّة الخبرة والجهل بوسائل كسب العيش الشريف. د ـ الكسل.
من هذا الواقع صمّم الإمام الصدر على تأسيس مؤسّسة عامّة تضمّ داراً للأيتام والفقراء، وداراً للعجزة، ولرعاية ذوي العاهات والمعوّقين.
وكانت مؤسّسة جبل عمل في صور، منطقة برج الشمالي ١٩٦٩ انطلاقاً من مبدأ تطوير خدمات جمعية البرّ والإحسان، وبعد دراسة عملية لاحتياجات المناطق المحرومة، وضرورة التركيز على مشاريع تنموية من شأنها رفع المستوى الاجتماعي، واعتماداً على دراسة بعثة «إيرفد» التي أظهرت أنّ نصف عدد سكّان لبنان مصنّفون في خانة الفقر المدقع، لا يحصلون إلّا على ١٨ في المئة من الدخل الوطني، أمّا الذين صنّفوا في الخانة الوسطى فبلغوا ٣٢ في المئة من السكّان يحصلون على ٢٢ في المئة من الدخل الوطني، وثمّة ٤ في المئة فقط مصنّفون أغنياء ويحصلون على ٦٠ في المئة من الدخل الوطني.

←

← قرّر الإمام التوجّه إلى إنشاء مدارس ذات طابع مهني هدفها تهيئة التلاميذ للشهادة المهنية باختصاصات: الميكانيك، والكهرباء، والنجارة، والحدادة، وحدادة السيارات.. ثمّ تابع الإمام الصدر نهجه المؤسّسي، فكانت:
جمعية شؤون المرأة، وبيت الفتاة المتفرّع عنها: أ ـ مدرسة الخياطة والتفصيل والتطريز. ب ـ مدرسة محو الأميّة. ج ـ مدرسة تعليم اللغات. د ـ الحضانة ورعاية الأطفال.
مدارس الأيتام: مساهمةً في استيعاب المشكلات الاجتماعيّة التي أحدثتها الحرب اللبنانية، وخفضاً من حوادث التشريد والدمار والانحراف، أسّس الإمام الصدر مدراس الأيتام للبنين والبنات في بيروت وصور وبعلبك الهرمل. حيث يقبل في هذه المدارس الأيتام من سنّ الرابعة، ويتكفّل المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى بمختلف شؤون العناية والرعاية من تربية وتعليم وسكن وغذاء وكساء، وقد وضعت الترتيبات اللازمة للأخذ بيد هؤلاء التلاميذ حتّى نهاية المرحلة الثانوية الفنيّة.
ونظراً إلى الظروف الاجتماعيّة الصعبة أثناء الحرب اللبنانية وما أحدثته من مآسٍ وأحزان، كان لابدّ من تحرّك سريع لإنقاذ أبناء الشهداء الذين حُرموا من العلم والمأوى ومعظم مقوّمات الحياة، وأثمر تحرّك الإمام تأسيس «مبرّة الإمام الخوئي» عام ١٩٧٧؛ لتكون المنطلق لتربية جيل إسلامي على أسس من الهداية والتوجيه، وقد ضمّت هذه المبرّة إلى جانب رئيسها الإمام موسى الصدر سماحة الشيخ محمّد مهدي شمس الدين وسماحة السيّد محمّد حسين فضل الله، وقد شملت فروعاً عدّة: ١ ـ المركز الرئيسي ـ بيروت، طريق الحدث قرب محطّة صفير، وكانت تضمّ ٣٠٠ طفل تراوح أعمارهم بين الخامسة والثالثة عشرة (تتكفّل المرجعية الإسلاميّة الشيعية بكلّ مستلزمات الإيواء والتعليم والطعام والكساء). ٢ ـ مبرّة الإمام الخوئي ـ الهرمل، وكانت تضمّ ٧٥ طفلاً، تطبّق عليها الشروط نفسها لمبرّة الإمام الخوئي ـ بيروت. ٣ ـ مبرّة الإمام الخوئي ـ صور، وتضمّ ١٦٠ تلميذاً وطالباً يتعلّمون المهن؛ لتحسين أوضاعهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة.
معهد الدراسات الإسلاميّة: لإعداد المرشدين الدينيّين والمربّين الذين يثقّفون الناشئة ثقافة إنسانية لإبعادهم عن الانحرافات والشذوذ.
ثمّ نظر الإمام الصدر إلى الواقع الاجتماعي نظرة متقدّمة على أساس أنّه كائن حيّ ينبض بالحركة، ورصيد متجدّد للتجارب الإنسانيّة وثورات المستضعفين، وهو يقول: «إنّه تعلّم
←

← من والده أن يكون قريباً إلى الناس، لا يجعل بينه وبينهم سدّاً أو حجاباً، وإنّه يحاول أن يفتح قلبه لهم، فيحدّثونه بجميع ما في قلوبهم وعقولهم، وإنّ على عالم الدين ألّا يكتفي بخطبة الجمعة أو الوعظ في المساجد، بل عليه الخروج إلى الناس ودرس مشكلاتهم الاجتماعيّة والوطنية على الطبيعة والمساهمة في حلّها».

وهنا أعود بالذاكرة إلى مسألة اجتماعية مطلع عام ١٩٧٠، حيث حاولت الدولة تشتيت عدد من السكّان الذين كانوا يقطنون مكان المبنى الحالي لكلّية العلوم ـ الجامعة اللبنانية بحجّة توسعة الكليّة، وعمد المسؤول إلى إعطاء تعويض بسيط لهؤلاء الفقراء النازحين من الجنوب والمهاجرين من بعلبك الهرمل بسبب ضيق العيش. وهنا جاء دور الإمام الاجتماعي الذي تدخّل في الأمر، وفاوض الدولة على أساس المقايضة، وأخذ أراض قريبة من الكليّة. وهكذا ساعد الإمام في إبقاء المحرومين، وأنقذهم من التشرّد؛ لأنّ التعويض الذي نالهم لا يكفي لشراء أيّ عقار في أيّة منطقة. ولم يكتف الصدر بذلك، بل عمد إلى جمع بعض الأموال من الميسورين، وسعى إلى إنشاء قرية نموذجية أطلق عليها سكّانها اسم «قرية الإمام الصدر النموذجية»، وقد جهّزت هذه المدينة بمستوصف «الصدر الشعبي» الذي يضمّ قسم الطوارئ والتوليد، ونادي «الأمل» الثقافي الكشفي الرياضي الاجتماعي.

ومن نافل القول: إنّ عالم الدين في رأي الإمام موسى الصدر لم يكن في الأساس موظّفاً، وإنّما كان معلّماً وداعية، وإنّ الدين للحياة قبل أن يكون زاداً للآخرة، وإنّ السعي لتحسين أوضاع المجتمع عبادة، وإنّ المؤمن يرفض الركون للظلم أو مسايرة المتكبّر، فهو ثورة دائمة يسعى دائماً نحو الأفضل، وهنا يكمن سبب محنة الأنبياء والأولياء والمصلحين الاجتماعيّين في كلّ زمان.

ناهيك أنّ الإمام الصدر بادر إلى معالجة الأوضاع الصحّية بنهج علمي وعملي، فأسّس أوّل مدرسة لتخريج الممرّضات والممرّضين عام ١٩٦٩، ثمّ استحصلت المؤسّسة على مرسوم جمهوري عام ١٩٧٢ م، ثمّ افتتح الإمام الصدر المستشفى الميداني في بئر حسن بالتعاون مع مؤسّسة الصليب الأحمر الدولي، كما أقيم في الوقت نفسه مركز للإسعاف الطبّي بمحلّة النبعة ـ برج حمّود بالتعاون مع بعثة طبّية فرنسية.

وتابع الإمام مسيرته متواصلاً بعلاقات اجتماعيّة مع جميع اللبنانيّين داعياً إلى نبذ التعصّب ←

← والتفرقة الطائفية، باعتبار أنّ وظيفة الدين هي المعاملة والاستقامة الأخلاقية، وأن لا بديل من نهوض مجتمعنا إلّا بالوعي وإحداث تغيير في عملية صنع القرار.
ومن هنا تدرك أهمية الوثيقة الإصلاحية التي قدّمها القائد المؤسّس الإمام موسى الصدر للدولة اللبنانية بعد انتخابه رئيساً للمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى عام ١٩٧٧، فعلى المستوى الاجتماعي مثلاً نرى أنّ هذه الوثيقة تؤسّس لقيام دولة ديموقراطية عصرية تواكب مستلزمات الإنسانيّة في القرن الحادي والعشرين:
١ ـ وضع سياسة ديموغرافية شاملة.
٢ ـ تكافؤ الفرص أمام الجميع.
٣ ـ المساواة في العمل والتربية والثقافة، واعتماد برامج وخطط تؤدّي إلى لا مركزية المرافق الوطنية.
٤ ـ وضع سياسة إسكانية لتمليك كلّ مواطن لبناني.
٥ ـ تشجيع المواطن على استصلاح عقاره في القرى، من طريق تقديم التسليفات المالية بفوائد زهيدة.
٦ ـ إنماء المناطق المحرومة.
٧ ـ تعميم الضمانات الاجتماعية: ضمان الشيخوخة، والبطالة، والمرض، لجميع المواطنين.
٨ ـ المشاركة الفعلية لمختلف قوى الشعب المنتجة في إدارة المؤسّسات والمشاركة في الأرباح.
٩ ـ رسم سياسة مكافحة التلوّث وحماية الطبيعة.
١٠ ـ إنشاء مؤسّسات استشفائية وصحّية تبعاً لحاجات المناطق، ووضع سياسة للطبّ الوقائي الاجتماعي تشمل أنحاء الوطن كافّة.
أضف إلى ذلك أنّ الإمام الصدر تمكّن من إقامة قوّة ضاغطة بواسطة «تجمّع الشباب الشيعي»، ودعوته الجادّة إلى إنشاء مؤسّسة ترعى شؤون الطائفة. فأثمرت التحرّكات والتظاهرات بإجماع نوّاب الطائفة الإسلاميّة الشيعية على تقديم اقتراح قانون في ١٩٦٧/٥/١٦، صدّقه رئيس الجمهورية بتاريخ ١٩٦٧/١٢/١٩، وبمقتضاه أنشئ المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الذي ترأسه الإمام الصدر بتاريخ ١٩٦٩/٥/٢٢، داعياً ←

يستلهم الإمام موسىٰ الصدر من تفسيره آية: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾[١] علىٰ ضرورة الحياة الاجتماعيّة للبشر، وأنّ الانزواء يكون سبباً للضلال والخسران.

ويقول: «إنّ الله تعالى في هذه الآية يدعو المؤمنين إلىٰ التواصي فيما بينهم، وهذا لا يتحقّق دون الارتباط الجمعي والعيش ضمن المجتمع الواحد.

فالتواصي هو التعاون والحياة المشتركة القائمة علىٰ تبادل المنفعة، وهو واجب علىٰ الإنسان المسلم، حتّىٰ تتحقّق ثمار العمل الصالح ويكمل الإيمان»[٢].

← إلى وحدة المسلمين كخطوة أُولى لوحدة الوطن.

ولتحقيق ذلك ساهم الإمام في لقاءاته مع سماحة مفتي الجمهورية اللبنانية، ثمّ مع رئيس الجمهورية اللبنانية، وشيخ عقل الطائفة الدرزية، والبطريرك الماروني.

وعندما اندلعت الحرب الأهلية في لبنان (نيسان ١٩٧٥) شارك الإمام الصدر في مؤتمر دار الفتوى المنعقد بتاريخ ١٩٧٥/٥/٢٤، وكانت مواقف الإمام الوطنية من أجل تعميق وحدة المواقف في مختلف الشؤون الاجتماعيّة.

وشارك الإمام الصدر في مؤتمرات مجمع البحوث الإسلاميّة في القاهرة ابتداءً من المؤتمر الخامس المنعقد في آذار ١٩٧٠، وواصل مشاركته في المؤتمرات اللاحقة. وفي المؤتمر الخامس انتخب الإمام الصدر عضواً دائماً في مجتمع البحوث، وقدّم أبحاثاً عدّة مفيدة ومتنوّعة، وردت في شكل توصيات في الجلسة الختامية، وفي المؤتمر السادس المنعقد في نيسان ١٩٧١ قدّم الإمام الصدر اقتراحين: الأوّل: يتعلّق بتوحيد الشعائر الإسلاميّة. الثاني: يتعلّق بدعم المجهود الحربي العربي، ودعم المقاومة الفلسطينية للجهاد المقدّس في معركتها مع إسرائيل، ودعوة الشعوب الإسلاميّة للمساهمة في تمويل هذه المعركة من طريق شراء «سندات جهاد» تصدر لهذه الغاية.

(سايت خاصّ بالإمام موسى الصدر).

(١) سورة العصر ١٠٣: ٣.

(٢) دراسات للحياة، مجموعة مباحث وتفاسير الإمام موسىٰ الصدر: ١٦٥.

البذل والعطاء

في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[١] يشير الإمام موسىٰ الصدر إلىٰ أنواع الإنفاق: إنفاق العلم والتجربة، وإنفاق المال والنفس، وإنفاق الجاه والمقام.

وأفضل وأشرف هذه الإنفاقات هو إنفاق النفس، حيث يقول: «حينما ينفق بعض ثروته للفقراء والمحرومين، أو يتنازل عن بعض مقامه للآخرين، أو يهب بعض علمه وتجاربه، فإنّ هذا بذل لجزء من رأس ماله... ولكن أن يهب روحه في سبيل الله فإنّه يكون قد أنفق كلّ ما يملك، ولهذا السبب فإنّ الله يغفر للشهيد كلّ ذنوبه، ولهذا السبب كان دم الشهيد أساس الثبوت والقوّة في المجتمع».

ويؤكّد علىٰ أنّ إنفاق المال ضمان للقضاء علىٰ الفوارق الطبقيّة داخل المجتمع، يقول: «المجتمع الذي يبتلىٰ بالفواصل الطبقيّة نتيجة عدم إنفاق الأغنياء، هذا المجتمع سيصاب بأضرار تصيب أوّل ما تصيب غير المنفقين، ومن ثمّ سائر أفراد المجتمع.

أمّا المجتمع الذي ينفق فيه أغنياؤه علىٰ فقرائه، فإنّه بلا شكّ مجتمع سعيد وقوي»[٢].

---

(١) سورة البقرة ٢: ١٩٥.

(٢) أحاديث السحر، مجموعة من محاضرات الإمام موسىٰ الصدر: ٦٨ ـ ٧٥.

الفصل الرابع :

الوحدة بين المذاهب والأديان



سجيّة الاتّحاد

الوحدة الإسلاميّة هي الأُمنية الكبرىٰ التي كانت تعتلج في قـلب الإمـام موسىٰ الصدر منذ كان طالباً يدرس العلوم الدينيّة في حوزة قم المقدّسة.

وفي عام ١٩٤٧ م ولم يكن عمره قد تجاوز العشرين، لمّـا سـمع بـقدوم العلّامة الأميني[1] من النجف، سارع هو وأحد أصـدقائه إلىٰ اسـتغلال الفـرصة وزيارة العلّامة في محلّ إقامته بطهران. ودارت بينهما حـوارات كـثيرة تـطرّق خلالها الإمام موسىٰ الصدر إلىٰ موضوع الوحدة بين السنّة والشيعة.

ومنذ اليوم الأوّل لوصول الإمام الصدر إلىٰ لبنان ـ أي: في أواخـر عـام ١٩٥٩م ـ قام بمدّ روابط الصداقة مع كبار علماء السنّة في مدينة صور، وبالذات مع مفتي أهل السنّة الشيخ محيي الدين حسن.

وكانت علاقته بالشيخ من القوّة والمتانة إلىٰ درجة أنّهما كانا لا يـفترقان،

---

(١) عبد الحسين بن أحمد بن نجف علي بن الله يار بن محمّد التبريزي النجفي الأميني: مؤرّخ باحث قدير. ولد في تبريز سنة ١٣٢٢ هـ، وطوى بعض المراحل الدراسية، ثمّ هاجر إلى النجف فقطنها، وحضر الأبحاث العالية على: السيّد أبي تراب الخوانساري، والسيّد محمّد الفيروزآبادي، وبلغ درجة الاجتهاد، وعكف على المطالعة والبحث. سافر إلى إيران والهند وتركيا وسوريا، وألقى فيها عشـرات المـحاضرات، وأسّس فـي النـجف مكـتبة الإمـام أميرالمؤمنين عليه السلام العامّة، من مؤلّفاته: الغدير، شهداء الفـضيلة، تـفسير سـورة الفـاتحة، سيرتنا وسنّتنا، رسـالة في النيّة، رجال آذربيجان. توفّي بطهران سنة ١٣٩٠ هـ، ونقل جثمانه إلى النجف، فأُقبر فيها. (الذريعة ٤: ٣٢٣ و ١٤: ٢٥٩، معجم رجال الفكر والأدب ١: ١٧٧ ـ ١٨٢، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٢١٤).

وكان الناس يرونهما دوماً في مناسبات أمثال عيد الغدير وليالي رمضان وأيّـام عاشوراء الحسين وغيرها وهما معاً يصعدان المنبر في المسجد القديم أو نـادي الإمام الصادق[١].

وكان الناس من الشيعة والسنّة يستمعون إليهما ويأخذون عنهما.

وكانا من الانسجام والتفاهم لدرجة أنّ الشخص القادم من مدينة أُخـرىٰ ولا يملك معرفة مسبقة بهما، لا يشخّص بسهولة من منهما سنّي ومن منهما شيعي!

الإمام الصدر كان يردّد دائـماً: «لا اخـتلاف ولا تـناقض بـين الشـيعي والسنّي؛ فكلاهما من مذهبين يتبعان ديناً واحداً»[٢].

وفي عام ١٩٦٣ م، قام الإمام موسىٰ الصدر، وأثناء زيارته التي استمرّت شهرين إلىٰ دول شمال أفريقيا بابتكار نهج عملي جديد في هذا المضمار، حيث استطاع إقامة روابط مثمرة بين المراكز الإسلاميّة في دول مثل مصر والمـغرب والجزائر، مع الحوزة العلميّة والمراكز الدينيّة في لبنان[٣].

الرسالة التاريخيّة

بعد تأسيس المجلس الشيعي الإسلامي الأعلىٰ في لبنان، وبالذات في يوم تنصيبه لرئاسة هذا المجلس، أي: بتاريخ ١٩٦٩/٥/٢٣ م، ألقىٰ الإمام مـوسىٰ الصدر خطابه الشهير بحضور جمع مـن كـبار الشـخصيّات الديـنيّة والسـياسيّة والثقافيّة، وعلىٰ رأسها رئيس الجمهوريّة شارل الحلو، رسم فيه الخطوط العريضة

(١) الإمام الصدر والحوار: ٢٩.
(٢) نفس المصدر السابق: ٢٩.
(٣) أسرار ربوده شدن إمام موسى صدر (أسرار الاختطاف): ٤٤.

لهذا المجلس، وأكّد علىٰ نقطتين بالخصوص:

١ ـ عدم التفرقة بين المسلمين، والسعي للتوحيد الكامل.

٢ ـ التعاون مع الطوائف اللبنانيّة كافّة، وحفظ وحدة لبنان.

ولم يكتف الإمام موسىٰ الصدر بذاك الخطاب ولا بالبيان الذي صدر بعده باسم المجلس الإسلامي الشيعي، بل قام فجأةً بمبادرة جديدة علىٰ شكل رسالة تاريخيّة، كتبها في أُكتوبر من عام ١٩٦٩ م إلىٰ مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة الشيخ حسن خالد، حمّلها رغبته في إقامة الوحدة الإسلاميّة.

وهذا نصّها:

«سماحة الأخ الجليل الشيخ حسن خالد مفتي الجمهوريّة اللبنانيّة الموقّر.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. تحيّة الإسلام الطيّبة، وبعد:

في هذه الأيّام العصيبة التي تلفّ الأُمّة بالقلق، وبين يدَي هذه الأخطار المحدِقة، التي تجعل المنطقة كلّها حاضرها ومستقبلها في مهبّ الريح العاتية، تبدو لنا بوضوح أكثر فأكثر حاجة المسلمين الملحّة إلىٰ وحدة شاملة متلاحمة لجمع ما تفرّق من صفوفهم وتوحيد ما تبعثر من جهودهم، وذلك حتّى تتبيّن لهم مواقع أقدامهم وتعود الثقة إلىٰ أنفسهم، وهم في طريقهم إلىٰ المستقبل، وأمام بناء تاريخهم وأداء مسؤولياتهم.

إنّ جمع الكلمة وتوحيد الطاقات وتنمية الكفاءات ليس لأنّها من أشرف الغايات الدينيّة ووصية نبيّنا العظيم فحسب، ولكنّها أيضاً تتّصل بوجودنا وكرامتنا وبمقوّمات وجود أجيالنا، إنّها مسألة حياتيّة.

ووحدة الكلمة هذه لا ينبغي أن تظلّ شعاراً مرفوعاً أو كلمة مكتوبة، بل يجب أن تكون ومضة الفكر وخفقة القلب ودرب السلوك، إنّها البُعد الأساسي للمستقبل.

ولا يكون ذلك إلّا ببذل عناية فكريّة خارقة، وإيلائها اهتماماً وجدانيّاً خاصّاً، والسعي والسهر من أجل تكريسها.

عندئذٍ تصبح الوحدة حقيقة قائمة، ونموذجاً عليه يحتذىٰ، ومثلاً به يقتدىٰ.

صاحب السماحة، وها نحن نضع تجربتنا المتواضعة بين أيديكم، وكان قد سبق وعرضتُ في أوّل لقاء بيننا في دار الإفتاء الإسلاميّة منذ أربعة أشهر، أنّ توحيد كلمة المسلمين وعقولهم وقلوبهم، وبتعبير أدّق: أنّ تعميق وحدة المسلمين وجعلها على ركائز فكريّة وعاطفيّة متينة يتحقّق بطريقين:

١ ـ طريق توحيد الفقه.

فالصرح الإسلامي الواحد في الأساس والأُمّة الواحدة في العقيدة والكتاب والمبدأ والمعاد بحاجة إلىٰ وحدة في التفاصيل أيضاً.

وتوحيد هذه التفاصيل المختلفة أو تقريبها أمر لم يغب عن بال سلفنا الصالح من علمائنا الأبرار (قدّس الله أسرارهم).

فقد رأينا الشيخ أبا جعفر محمّد بن الحسن الطوسي[١] وضع كتابه

(١) أبو جعفر محمّد بن الحسن بن علي الطوسي المعروف بشيخ الطائفة: شيخ الإمامية ووجههم، من أجلّاء الأعلام، ثقة، صدوق، عظيم المنزلة. ولد في طوس سنة ٣٨٥ هـ، وارتحل إلى بغداد، ولازم الشيخ المفيد وكذلك الشريف المرتضى، وبعد وفاة الشريف ذاع صيت الطوسي وارتفع شأنه. روى عن طائفة من المشايخ، منهم: الغضائري، وابن عبدون، وابن الصلت الأهوازي. وروى عنه: القاضي ابن البرّاج الطرابلسي، وآدم بن يونس النسفي، وأحمد بن الحسين الخزاعي، وغيرهم. من تصانيفه: المبسوط، النهاية، عدّة الأُصول، الخلاف، تفسير التبيان، المسائل الدمشقية. توفّي بالنجف الأشرف سنة ٤٦٠ هـ. (سير أعلام النبلاء ١٨: ٣٣٤ ـ ٣٣٥، مجمع الرجال ٥: ١٩١ ـ ١٩٣، بهجة الآمال ٦: ٣٦٠ ـ ٣٧٠).

«الخلاف» منذ ما يزيد على ألف سنة في الفقه المقارن، وتبعه العلّامة الحلّي الحسن بن يوسف بن المطهّر[1] في كتاب «التذكرة»، والفقه المقارن هو النواة الصالحة لاستنبات الوحدة الفقهيّة ولاكتمال وحدة الشريعة.

وفي أيّامنا، ومنذ ثلاثين عاماً، أسّست نخبة فاضلة ومجاهدة من كبار علماء المسلمين (دار التقريب بين المذاهب الإسلاميّة) في القاهرة، ومن بينهم المغفور له الأُستاذ الكبير شيخ الأزهر الشيخ عبد المجيد سليم[2]، والمغفور له الأُستاذ المجدّد الشيخ محمود شلتوت، والمغفور له عميد كلّية الشريعة بالأزهر الشيخ محمّد المدني، وكبار علماء المسلمين في لبنان وإيران والعراق، كالمقدّس

(١) أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر الأسدي المعروف بالعلّامة الحلّي: من أشهر علماء الإمامية. ولد سنة ٦٤٨ هـ، ودرس عند والده، وخاله المحقّق الحلّي، ولازم الفيلسوف نصير الدين الطوسي مدّة، وبرع في العلوم، وأصبح علّامة وقته وصاحب التحقيق والتدقيق. كان آية في الذكاء واستيعاب العلوم، حسن الأخلاق. أحدثت تصانيفه ومناظراته ضجّة، كان من آثارها تشيّع السلطان محمّد خدابنده أولجايتو وعدد من العلماء والأُمراء. تتلمذ على يده جماعة من الأعلام، كولده فخر المحقّقين، ومهنّا بن سنان الحسيني المدني، وتاج الدين محمّد بن معية الحسني، وقطب الدين الرازي، وغيرهم. له أكثر من مائة كتاب، منها: تذكرة الفقهاء، مختلف الشيعة، إرشاد الأذهان، التبصرة، التحرير، نهج الإيمان في تفسير القرآن. توفّي في الحلّة سنة ٧٢٦ هـ، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف، فدفن فيها. (لسان الميزان ٢: ٢٦٠ و٣١٧، جامع الرواة ١: ٢٣٠، أمل الآمل ٢: ٨١ ـ ٨٥).

(٢) عبد المجيد سليم المصري الحنفي: مفتي الديار المصرية. ولد عام ١٨٨٢م، وتخرّج من الأزهر عام ١٩٠٨م حاملاً العالمية من الدرجة الأُولى، وأخذ عن الشيخ محمّد عبده، وشغل وظائف التدريس والقضاء والإفتاء، وولّي مشيخة الأزهر مرّتين، والإفتاء نحو عشرين عاماً، وله من الفتاوى ما يربو على خمسة آلاف فتوى. وركّز السنوات الأخيرة من عمره في الاشتغال مع جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية. توفّي في القاهرة عام ١٩٥٤ م. (الأزهر في ألف عام ١: ٣٠٦ ـ ٣٠٧، الأعلام للزركلي ٤: ١٤٩).

الإمام السيّد عبدالحسين شرف الدين، والمغفور له المرجع الأعلى للطائفة الإسلاميّة الشيعيّة في العالم السيّد حسين البروجردي، والأُستاذ العلّامة الجليل الشيخ محمّد تقي القمّي سكرتير دار التقريب.

وقد تبنّت مؤسّسة التقريب هذه ـ عدا خدماتها الواسعة ـ مشروعاً وضع خطوطه الأُولىٰ وبدأ بتنفيذه والدنا المغفور له السيّد صدر الدين الصدر في كتابه «لواء الحمد»، وهو محاولة لجمع كلّ ما رواه المسلمون في مختلف فرقهم عن النبيّ ﷺ في سائر حقول العقيدة والشريعة، ليكون مرجعاً للمسلمين بعد القرآن الكريم، وبتعبير أدقّ: سعي لتوحيد السنّة النبويّة المطهّرة.

وقد وضع خلال هذه الفترة بعض هؤلاء الأعلام وغيرهم أبحاثاً وكتباً حول الفقه والمذاهب الإسلاميّة.

ثمّ جاء دور الموسوعات الفقهيّة، وبدأت جامعة دمشق بوضع «الموسوعة الفقهيّة»، وبدأت جامعة الأزهر بتأليف «موسوعة جمال عبد الناصر للفقه الإسلامي»، والآن تجري في جامعة الكويت نشاطات كبيرة حول إكمال «الموسوعة الفقهيّة».

وألّف الأُستاذ السيّد محمّد تقي الحكيم[1] عميد كلّية الفقه في النجف

(١) محمّد تقي بن سعيد الطباطبائي الحكيم: من علماء الإمامية. ولد في النجف سنة ١٣٤١هـ، ونشأ بها، ودرس الفقه والأُصول على: السيّد محسن الحكيم، والشيخ حسين الحلّي، والسيّد الخوئي، وأصبح ذا مستوى رفيع في العلوم الإسلامية، وعضواً في المجمع العلمي بدمشق، وأستاذاً في جامعة بغداد، وعضواً رئيسياً في منتدى النشر. من مؤلّفاته: الأُصول العامّة للفقه المقارن، مالك الأشتر، ابن عبّاس، أبو فراس الحمداني، الاشتراك والترادف. (معجم مؤلّفي الشيعة: ١٤٠، الذريعة ١٣: ٥، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٥٥٨).

الأشرف كتاباً جليلاً حول المبادئ العامّة للفقه المقارن.

إنّ هذه المساعي البنّاءة بدأت تعطي ثمارها في فتاوىٰ فقهاء المسلمين، وتؤكّد أنّنا أصبحنا علىٰ مقربة من وحدة الفقه بإذن الله.

٢ ـ طريق المساعي المشتركة.

وهذا الطريق يبدو في الظروف الاستثنائية، مثل ظروفنا في لبنان، أكثر ملائمة وأسرع إنتاجاً.

ويتمثّل بحشد جهود مشتركة لتحقيق أهداف متنوّعة، ويُعد بحدّ ذاته كسباً وحدويّاً، ويؤدّي السعي المشترك إلىٰ تلاقي العاملين في ميدان واحد كرفاق سلاح، وبالتالي تشيع الثقة وترتاح النفوس، حيث تتجلّى وحدة العقيدة والمشاعر.

وعلىٰ سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض هذه الأهداف:

أ ـ الأهداف الشرعيّة المحضة، مثل: توحيد الأعياد والشعائر الدينيّة وصيغ بعض العبادات، كالأذان والجماعة وغيرها.

فبالإمكان مناقشة اقتراح يرمي إلىٰ الاعتماد علىٰ الطرق العلميّة الحديثة لاكتشاف وجود الهلال في الأُفق في زاوية الرؤية توصّلاً إلىٰ معرفة العيد بصورة دقيقة؛ لكي يمكن للمسلمين في العالم اعتباره في يوم واحد، ولكي يوفّر لهم المتاعب التي تحصل لهم، ولكلّ من يريد مشاركتهم بزيارة أو عطلة، تلك المتاعب التي نعيشها لتأخّر ثبوت العيد. وبالإمكان مناقشة صيغة مقبولة للأذان لدىٰ الجميع.

ب ـ الأهداف الاجتماعيّة: وتبدو صورة هذه الجهود المشتركة في المساعي الرامية إلىٰ مكافحة الأُميّة والتشرّد، ورعاية الأيتام، ورفع مستوى حياة الكادحين.

ومن السهل تأسيس مؤسّسات لهذه الغايات السامية، ودعم الموجود منها برعاية أوسع وتأييد أمنع.

ج ـ الأهداف الوطنيّة: وهل هناك ريب في وحدة مشاعرنا الوطنيّة؟!

فهناك وجوب المشاركة الفعليّة لتحرير فلسطين، وواجب حماية لبنان من مطامع العدوّ الغادر، وواجب دعم المقاومة الفلسطينيّة المقدّسة، وضرورة الاستعداد التامّ والتعاون الكامل مع الدول العربيّة الشقيقة لمواجهة العدوان المحتمل في كلّ لحظة، وموضوع تحصين الجنوب بصورة خاصّة، وكلّ لبنان بصورة عامّة؛ ليصبح قلعة عليها تتكسّر قرون إسرائيل وتتبدّد مطامع الاستعمار.

كلّ هذه أهداف، ليس عليها أدنىٰ اختلاف، ولكنّها كلّها بحاجة ملحّة إلىٰ وضع دراسات دقيقة لتنفيذها ولتحديد المسؤوليات فيها، وبحاجة ملحّة إلىٰ تنسيق جهود جميع أبناء هذا البلد فيما بينهم ومع المسؤولين ومع الدول العربيّة، ولتجنيد طاقات المسلمين في العالم وأصحاب الضمائر الحيّة والنوايا الحسنة في كلّ مكان.

ولأجل المشاركة الحقيقيّة في هذه الواجبات ـ أي: بذل جميع ما في الوسع ـ علينا أن ندرس هذه الأُمور وبرامجها وأساليبها بصورة مشتركة تسهّل تنسيق النشاطات ومضاعفتها.

هذه نماذج نعرضها على سماحتكم على أمل دراسة الموضوع من كلّ جوانبه، وتكليف ذوي الاختصاص لتكوين لجان مشتركة، والشروع في العمل فوراً.

صاحب السماحة، وقبل أن أُوقّع هذه الرسالة، نلفت نظر سماحتكم إلىٰ أنّ شهر رمضان المبارك أصبح قريباً، ورمضان المبارك فرصة فريدة ـ كما تعلمون ـ

لخلق جوّ روحي وبطولي يعيش فيه المسلم ذكرياته الخالدة، لكي تنعكس تلك المواقف العظيمة علىٰ حياته في هذه الأيّام.

ولذلك نرجو الإسراع بتكليف المسؤولين عن هذا الشأن بدار الإفتاء الإسلاميّة للاجتماع بأعضاء لجنة النشر والإعلام في المجلس الإسلامي الشيعي الأعلىٰ بحضور وتعاون بعض الناشطين من المؤمنين الاختصاصيّين في دوائر الإعلام الرسميّة؛ لوضع برامج متكاملة تساعد على خلق الأجواء المناسبة لهذا الشهر العظيم، وتذكّي في نفوس المسلمين جذوة الخير والحقّ والبطولات.

دمتم ـ يا صاحب السماحة ـ للإسلام ولكلّ خير، ولإخوانكم أعضاء المجلس الإسلامي الشيعي الأعلىٰ، ولأخيكم المخلص موسىٰ الصدر»[١].

توحيد الفقه

هناك نظريتان كانتا مطروحتين بين كبار علماء الشيعة والسنّة حول فكرة وحدة المذاهب الإسلاميّة: نظرية إيجابيّة، وأُخرىٰ سلبيّة.

يعتقد أصحاب النظرية السلبيّة بأنّه لا توجد أصلاً نقاط اشتراك بين الشيعة والسنّة، بل علىٰ العكس توجد نقاط اختلاف وتباعد، وعلىٰ هذا الأساس ليس هناك إمكانية قيام وحدة بين هذين المذهبين.

وأصحاب هذه النظرية هم الأقليّة طبعاً في لبنان، وهم وإن كان اعتقادهم بهذه النظرية يأتي عن حسن نيّة في بعض الأحيان، ولكن الحقيقة هي أنّ هذه النظرية وعلىٰ طول التاريخ كانت أداة سوء بيد الاستعمار وأعداء الإسلام لضرب المسلمين وتفعيل المشاكل الداخليّة بين صفوفهم، وهذا من الوضوح بحيث لا يحتاج إلىٰ توضيح أكثر.

(١) نقلاً عن مجلّة سروش (مجلّة الإلهام) / السنة الرابعة / العدد: ١٦١ / صفحة: ٣٤.

وأمّا أصحاب النظريّة الإيجابيّة الذين يعتقدون بإمكانية الوحدة بين المذاهب الإسلاميّة، فهؤلاء تشعّبت أراؤهم:

فمن قائل: إنّ هذا الموضوع لا يرتبط أصلاً بوحدة المذاهب؛ إذ كلّ مذهب موظّف بحفظ أُصول وفروع مذهبه، وأتباع المذهب هم الذين تقع علىٰ عاتقهم قضيّة الوحدة، ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار الاحتفاظ بأُصولهم وفروعهم بلا تغيير.

وهذه النظريّة وإن كانت ضروريّة في فكر الإمام موسىٰ الصدر، ولكنّها غير كافية، أضف إلىٰ ذلك فهي في مرحلة العمل لن تصمد أمام مواجهة كثير من الموانع والمشكلات، ناهيك عن حلّها.

ومن قائل: إنّ جميع المذاهب الإسلاميّة موظّفة بعملها ضمن إطار الحفاظ علىٰ الهويّة العامّة للمذهب، فيتمّ التركيز فقط علىٰ النقاط المشتركة بين المذاهب الإسلاميّة.

ولا شكّ أنّه كانت هناك خطوات مباركة في هذا المضمار، مثل ما قام به المرحوم الشيخ الطوسي ﷫ في كتابه القيّم «الخلاف»، والعلّامة الحلّي ﷫ في كتابه «التذكرة».

وأُلّفت هذه الأيّام كتب قيّمة في موضوع الفقه المقارن علىٰ يد كبار العلماء المقتدرين من الشيعة والسنّة.

وهذه النظرية مع ما تملك من أهمّية قصوىٰ، إلّا أنّها بقيت محصورة في طبقة العلماء والمفكّرين والمصلحين، ولم تتعدّ إلىٰ عوام الناس؛ لعدم امتلاكهم تجارب في هذا المضمار.

وفئة ثالثة ـ ويحتمل أن يكون في طليعتها الإمام موسىٰ الصدر ـ مع كامل

تقديرها واحترامها لأصحاب وأتباع النظريات السابقة، إلّا أنّهم يعتبرونها غير كافية، ويطرحون بديلاً عنها نظرية (توحيد الفقه)، حيث يقول الإمام موسىٰ الصدر: «... فالصرح الإسلامي الواحد في الأساس، والأُمّة الواحدة في العقيدة والكتاب والمبدأ والمنتهىٰ، بحاجة إلىٰ وحدة في التفاصيل أيضاً»(١).

وأكّد الإمام موسىٰ الصدر علىٰ هذا الموضوع عام ١٩٧٠ م في المؤتمر السنوي لنادي البحوث الإسلاميّة في القاهرة، وذلك في خطاب ألقاه بحضور شخصيّات علميّة ودينيّة شاركت في تلك الندوة.

ثمّ تقدّم إلىٰ الحاضرين باقتراح مكتوب، ضمّنه أفكاره حول الوحدة، لاقىٰ استحساناً من الجميع، وسبّب في قبوله عضواً في الجمعيّة.

هذا وقد أجرت معه مجلّة «المصوّر» القاهريّة مقابلة مطوّلة، تركّزت حول الوحدة بين المذاهب الإسلاميّة، جاء فيها قوله: «الوحدة بين المذاهب الإسلاميّة لا يمكن أن تتحقّق عن طريق الحوارات الخالية، والمباحثات الصوريّة بين قادة تلك المذاهب؛ لسبب بسيط، وهو: أنّ تلك المذاهب متقولبة في أعماق قلوب أتباعها، فمن دون توحيد الفقه لا يمكن الوصول إلىٰ تلك الوحدة أو تحقيقها. وآمل من هذه الجمعيّة المباركة المتشكّلة من كبار علماء العالم الإسلامي أن تسعىٰ لتحقيق هذا الهدف وتفعيله.

تتمتّع القاهرة اليوم بدور ريادي كبير يؤهلها لأن تلعب دوراً فاعلاً في الوحدة الإسلاميّة»(٢).

---

(١) بعض ما جاء في رسالة الإمام موسىٰ الصدر إلىٰ الشيخ حسن خالد.

(٢) نشرت مجلّة «الأنوار اللبنانيّة» المتن الكامل لهذه المقابلة أيضاً، وذلك بتاريخ ١٩٧٠/٣/٧م.

وكان يؤكّد علىٰ موضوع الوحدة كلّما التقىٰ بفقهاء وعلماء المذاهب الإسلاميّة، وخاصّة موضوع وحدة الفقه.

وفي تاريخ ١٩/٤/١٩٧١م وأثناء زيارته لقناة السويس وخطّ الحرب المقدّم، خطب بالقوّات المسلّحة المصريّة، وأكّد علىٰ أهميّة الجهاد ضدّ إسرائيل الغاصبة، وكعادته تطرّق إلىٰ موضوع الوحدة بين المسلمين لمواجهة العدوان، وخصوصاً وحدة الشعائر الدينيّة(١).

وأثناء حضوره المؤتمر السنوي السابع (ملتقى الفكر الإسلامي) المنعقد في الجزائر عام ١٩٧٣م اغتنمت مجلّة «المجاهد» الفرصة، وأجرت معه حواراً دار حول موضوع الوحدة بين المذاهب الإسلاميّة(٢).

وحينما يؤكّد الإمام موسىٰ الصدر علىٰ أهميّة وحدة الفقه بين المذاهب الإسلاميّة، فهو لا يعني إلغاء جميع الخلافات والفوارق الاجتهاديّة، أو يدعو الجميع لاتّباع فتوىٰ واحدة، بل هو يعتقد أنّ الاختلاف سبب لتطوّر الفقه، ودافع للفقيه للإبداع والاجتهاد، يقول: «طالما أنّ اختلاف الآراء يعنون كنظرية قابلة للنقد، فإنّ هذا أساس الخير والبركة والتطوّر. أمّا إذا تحوّل الىٰ فتوىٰ للعمل، أو شعار ديني، فإنّه مع تعدّد هذه الفتاوىٰ وتعصّب العاملين بها ممّا يؤدّي إلى تشتّتهم وانقسامهم، علىٰ هذا الأساس لا بدّ من جمع كلّ تلك النظريات بفتوىٰ واحدة وشعار واحد؛ حتّىٰ لا تكون سبباً لفرقة المسلمين بدل اجتماعهم.

ويضرب مثالاً لذلك مناسك الحجّ والأذان والأعياد الإسلاميّة وحلول شهر رمضان وشوّال... حيث يقول: «فبالإمكان درس اقتراح يرمي إلىٰ الاعتماد علىٰ

(١) مجلّة «المحرّر» البيروتيّة، ٢٠/٤/١٩٧١م.
(٢) مجلّة «المجاهد»، ١٣/ رجب/١٣٩٣ هـ.

الطرق العلميّة الحديثة لتأييد حلول الهلال في أُفق قابل للرؤية توصّلاً إلىٰ معرفة العيد بصورة دقيقة، لكي يمكن للمسلمين في العالم اعتباره في يوم واحد، ولكي يوفّر لهم المتاعب التي تحصل لهم ولكلّ من يريد مشاركتهم بزيارة أو عطلة، تلك المتاعب التي نعيشها لتأخّر ثبوت العيد، وبالإمكان درس صيغة مقبولة للأذان لدىٰ الجميع»[١].

والآن بعد مرور أكثر من أربع وثلاثين سنة علىٰ فكرة (وحدة الفقه) التي طرحها الإمام موسىٰ الصدر يوم المبعث، أي: بتاريخ ٢٧/رجب/١٣٨٩، وضمّنها رسالته التاريخيّة إلىٰ مفتي السنّة الشيخ حسن خالد، فما أحوج العالم الإسلامي إلىٰ تطبيق هذه الفكرة وتفعيلها، خصوصاً ونحن نعيش عصر العولمة حيث أصبح العالم وكأنّه قرية صغيرة.

الاستكبار العالمي اليوم بقيادة أمريكا يرفع شعار المواجهة العلنيّة مع الإسلام والمسلمين، وكلّ يوم وبحجج مختلفة تقوم أمريكا بالاعتداء علىٰ إحدىٰ الدول الإسلاميّة تحت مرأىٰ ومسمع من بقيّة المسلمين، ولكنّهم لا يحرّكون ساكناً؛ لسبب بسيط، وهو: تفرّقهم واختلافهم.

ولا ننكر ما لصعوبة تحقيق هذه الوحدة وتوحيد شعائر وفقه المسلمين، فهو مشروع يحتاج إلىٰ اجتماع همم الخيّرين من العلماء والفقهاء المخلصين، وهذه الحقيقة قد التفت إليها الإمام موسىٰ الصدر، وأوضحها في رسالته المزبورة بقوله: «كلّ هذه أهداف ليس عليها أدنىٰ اختلاف، ولكنّها كلّها بحاجة ملحّة إلىٰ وضع دراسات دقيقة لتنفيذها، ولتحديد المسؤوليات فيها، وبحاجة ملحّة إلىٰ تنسيق جهود جميع أبناء هذا البلد فيما بينهم ومع المسؤولين ومع الدول العربيّة، ولتجنيد

(١) مقاطع من رسالة الإمام موسىٰ الصدر إلىٰ الشيخ حسن خالد مفتي لبنان.

طاقات المسلمين في العالم، وأصحاب الضمائر الحيّة والنوايا الحسنة في كلّ مكان.

ولأجل المشاركة الحقيقيّة في هذه الواجبات ـ أي: بذل جميع ما في الوسع ـ علينا أن ندرس هذه الأُمور وبرامجها وأساليبها بصورة مشتركة تسهّل تنسيق النشاطات ومضاعفتها»(١).

الاتّصال بالعلماء المسيحيّين

إضافة إلىٰ الوحدة بين المذاهب الإسلاميّة كان الإمام الصدر يعتقد بضرورة الاتّحاد بين جميع الأديان السماويّة(*).

---

(١) راجع كتاب: إمام موسى صدر أُميد محرومان (الإمام موسىٰ الصدر أمل المحرومين): ٢٧٨.

(*) المسيحيّة في فكر الإمام موسى الصدر، الأب الدكتور جورج مسّوح، جريدة «النهار» (لبنان)، الأحد، ١٠ / تشرين الثاني / ٢٠٠٢م.

يعتبر الإمام السيّد موسى الصدر من كبار الأئمّة المجدّدين الذين انخرطوا في العمل من أجل الإنسان وخيره ومن أجل إعمار الأرض. فلم يكتف بالتنظيرات والكلام المجرّد، بل نزل إلى أرض الواقع، وخاض في مشاكل الناس، وسعى إلى ترجمة الرسالة الدينية إلى الحياة. لذلك جاهد الإمام من أجل الفقراء والمحرومين والمستضعفين، ومن أجل إحقاق وإعادة الكرامة إلى الإنسان أشرف مخلوقات الله.

لكن هذا لم يمنع الإمام من أن يمدّ الفكر الإسلامي بالكثير من الاجتهادات الكلامية والفقهية. فقد كان من أوائل الذين ساهموا في إطلاق الحوار الإسلامي ـ المسيحي في لبنان. فكان مع رفاقه: المطران جورج خضر، والأب يواكيم مبارك، والشيخ صبحي الصالح، وحسن صعب، والأب فرنسوا دوبره لاتور، ويوسف أبي حلقة، ونصري سلهب، أوّل من وقّعوا بياناً في الثامن من تمّوز ١٩٦٥ في إطار المحاضرات التي نظّمتها «الندوة اللبنانية» عن «المسيحية والإسلام في لبنان».

←

← هذا البيان يشكّل نقطة البداية الفعلية للحوار الإسلامي ـ المسيحي في لبنان؛ لما تضمّنه من تأكيد على الثوابت المشتركة في المسيحية والإسلام.
يؤكّد الموقّعون على البيان «تلاقي الديانتين في إيمانهما بالله الواحد، وبقيامهما معاً على تعزيز قيم روحية ومبادئ خلقية مشتركة تصون كرامة الإنسان وتعلن حقّه في الحياة الفضلى وتنهض بالأرض وما عليها في محبّة وسلام ووئام».
كذلك أعلنوا «أنّهم لعلى يقين بأنّ لبنان هو الوطن المختار لمثل هذا الحوار المسيحي ـ الإسلامي، وبأنّه حين يجدّد وعيه بتعاليم هاتين الرسالتين يسهم في تجديد طاقة الإنسان الروحية وصونها».
وعاهد الرفاق الله على «تحقيق لقاء أخوي مستمرّ، ينهلون خلاله من معيّن الديانتين العالميتين، وتعلّم فيه كلّ فئة بتعاليم دينها جاهدة في تفهّمها لما انطوت عليه الديانة الأخرى من عبر وعظات ونظم تقرّب الإنسان من أخيه الإنسان، وعلى توسيع نطاق هذا اللقاء حتّى يضمّ العناصر التي تبدي استعدادها للإسهام في تركيزه وتعميمه، وعلى السعي الدائب لإزالة الحواجز التي نصبتها عوالم مفتعلة يبرأ منها دين الله الحقّ».
نستشف من هذا البيان عدّة خلاصات، أبرزها:
أ ـ الإيمان المشترك المسيحي ـ الإسلامي بالله الواحد، ولو تعدّدت التعبيرات عن الله، فالله واحد لا يحدّه تعبير واحد.
ب ـ الدين واحد، ولو تعدّدت الديانات، فالبيان بعد أن يتحدّث عن ديانتين عالميتين تحملان رسالتين يصل إلى القول بـ« دين الله الحقّ».
ج ـ إنّ الديانتين المسيحية والإسلاميّة جعلتا لخدمة الإنسان وصون كرامته وحقّه في الحياة الفضلى والسلام والمحبّة والوئام، وجعلتا أيضاً لإعمار الأرض والنهوض بها.
د ـ تدعو الديانتان إلى قيم روحية ومبادئ خلقية مشتركة، وتدعوان إلى التقارب بين المسلمين والمسيحيّين، والإفادة المتبادلة من العبر والعظات والنظم التي تنطوي عليها كلّ من الديانتين.
هذه الثوابت الأربعة شكّلت جوهر رسالة الإمام موسى الصدر. وهو لم يتوان يوماً في خطبه وتصريحاته ومحاضراته عن الاستمرار في التأكيد وإعادة التأكيد عليها. فها هو في كنيسة الكبوشيّين، قبيل اندلاع الحرب الأهلية في لبنان، يعلن أنّ «الأديان كانت واحدة؛ لأنّ ←

← المبدأ الذي هو الله واحد، والهدف الذي هو الإنسان واحد. وعندما نسينا الهدف وابتعدنا عن خدمة الإنسان نبذنا الله وابتعد عنا، فأصبحنا فرقاً وطرائق قدداً، وألقي بأسنا بيننا فاختلفنا، ووزّعنا الكون الواحد، وخدمنا المصالح الخاصّة، وعبدنا آلهة من دون الله، وسحقنا الإنسان فتمزّق!».

اللقاء لخدمة الإنسان بالنسبة إلى الإمام الصدر يؤدّي إلى اللقاء في الله. ففي المحاضرة عينها يدعو إلى العودة إلى الطريق السوية، متوجّهاً إلى المسلمين والمسيحيّين: «اجتمعنا من أجل الإنسان الذي كانت من أجله الأديان، وكانت واحدة آنذاك... نلتقي لخدمة الإنسان المستضعف المسحوق والممزّق؛ لكي نلتقي في كلّ شيء، ولكي نلتقي في الله، فتكون الأديان واحدة».

وبالنسبة إليه أيضاً «كانت الأديان واحدة، حيث كانت في خدمة الهدف الواحد، دعوة إلى الله وخدمة للإنسان، وهما وجهان لحقيقة واحدة». ممّا يعني أنّ الإيمان بالله لا يكون حقيقياً إلّا إذا سبقه الإيمان بأنّ الدين جعل لخدمة الإنسان، لا الإنسان لخدمة الدين، وبأنّ الدين الذي لا يرفع من شأن الإنسان وكرامته ليس ديناً إلهياً، والله بريء منه إلى يوم الدين.

يتابع الإمام الصدر في محاضرته نفسها تأسيس قاسم مشترك بين الإسلام والمسيحية، هو الإنسان «هذا المخلوق الذي خلق على صورة خالقه في الصفات، خليفة الله في الأرض، الإنسان هذا هدف الوجود، وبداية المجتمع، والغاية منه، والمحرّك للتاريخ».

يؤكّد الإمام الصدر على أنّ «الإسلام هو دين التوحيد»، وله طابعه الخاصّ الذي يميّزه عن سائر «الرسالات السماوية». أمّا منطق الإسلام حول الأديان السماوية، بحسب نظر الصدر، فموجود في القرآن الذي يعلن أنّ «رسالة محمّد هي العقد الأخير في سلسلة الأديان الإلهية، وأنّ محمّداً هو خاتم الأنبياء، مؤمن بهم، ومصدّق بأنّهم رسل ربّه».

ويتابع الإمام قائلاً: «إنّ القرآن يؤكد أنّ دين الله واحد، ويسمّيه بالإسلام، ويعتبر أنّ جميع الأنبياء كانوا يبشّرون به، وجعل الله لكلّ منهم شرعة ومنهاجاً»...

نستخلص من أقوال الإمام عدّة نقاط يعتبرها من الثوابت:

- ثمّة «رسالات سماوية» و«أديان سماوية وإلهية» غير الإسلام، والإسلام نقل عن هذه الرسالات السماوية بعض التعاليم والمرويات النافعة في التربية وترسيخ الإيمان.
- تعدّدية الشرائع والمناهج الإلهية، وهذا مبدأ قرآني بامتياز: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً
←

← وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [سورة المائدة ٥: ٤٨].

- توافق الأخلاق الإسلاميّة مع غيرها من الأخلاق التي نشرتها الأديان السابقة.

وفي محاضرة أخرى يعرض الإمام نظرته إلى موضوع تتالي الأديان السماوية، فيقول: «إنّ الرسالات الإلهية ذات أطوار ثلاثة، تبدأ برسالة الضمير الإنساني، تليها رسالة الأنبياء، وأخيراً رسالة التجارب المريرة والصعوبات والمشاكل التي يعانيها الإنسان والتي هي محرّكات لدفع الإنسان إلى الخير والكمال»، ثمّ يشرح بإيجاز ما يقصد من قوله بالأطوار الثلاثة، فيعتبر أنّ الله في الطور الأوّل، خلق للإنسان فطرة سليمة وضميراً واعياً هو رسوله الأوّل (أيّ: الضمير)، يهدي الإنسان سواء السبيل، ويشعره بأنّه جزء من الكون يكمل بعض أجزائه ويكتمل بها، ويستشهد بالآية القرآنيّة القائلة: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة البقرة ٢: ٢١٣].

وعندما سيطر الجهل على الإنسان فانحرف صانعاً من نفسه ومن أُسرته ومن قبيلته ومن عنصره أصناماً عبدها وجعلها آلهة من دون الله الواحد، حلّ الطور الثاني، طور الأنبياء. ويستشهد الإمام ببقية الآية القرآنية المذكورة آنفاً: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [سورة البقرة ٢: ٢١٣].

لقد بعث الله الرسل والأنبياء لهداية الناس وإرشادهم إلى طريق الحقّ، لكنّ الإنسان جعل من الدين أو المذهب مركّباً جديداً للخلافات وتعبيراً قوياً عن أهوائه وأنانياته، فأثار فتناً وحروباً ومشاكل وأزمات. هذا هو واقع العالم اليوم الذي نجد فيه أُناساً مختلفين نذروا أنفسهم لخير الإنسان ونسوا مصالحهم وحاجاتهم في سبيل الإنسان... هذا هو الطور الثالث.

أمّا في ما يتعلّق برسالة الأنبياء، فيقيم الإمام مقارنة بين ما ورد في الإنجيل والقرآن؛ ليبيّن أوجه الاتّفاق بينهما. فيرى أنّ غاية رسالات الأنبياء «التخلّق بأخلاق الله، والوصول إلى مقام خلافته في طريق ليس فيها فشل بل كلّها نجاح». وقد دعا هؤلاء الأنبياء إلى احترام حرّية الإنسان، معتبراً أنّ «من كان حرّاً من نفسه وأهوائه فلن تصطدم حرّيته مطلقاً مع حرّية الآخرين».

من أبرز الآيات التي يقابلها الإمام الصدر نستلّ اثنتين متقاربتين، هما: الآية القرآنية: ﴿إنّ ←

← الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة المائدة ٥: ٦٩]، والآية الإنجيلية: «ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حرّ، ليس ذكر ولا أنثى؛ لأنّكم جميعكم واحد في المسيح يسوع. فإذا كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل إبراهيم وورثة بحسب الموعد» [رسالة بولس إلى أهل غلاطية: ٢٨ ـ ٢٩]. ويختم الإمام مقارناته بين الآيات معلّقاً: «طلب الرسل من الناس أن يتعارفوا، وأن يستبقوا الخيرات، وأن يكونوا كما أراد لهم ربّهم.. والحقيقة أنّ التفاوت في الرأي وفي الأديان من أهمّ أسباب الحركة الفكرية وعدم الجمود، ومن مستلزمات ظهور المواهب الذاتية».

تعدّد الأديان عند الإمام هو مجال مباراة إلى «استباق الخيرات»، وهذا قول قرآني، وهو كذلك مجال للتعارف، وهذا قول قرآني أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات ٤٩: ١٣].

ويعبّر الإمام عن الاختلاف بين الأديان، كما عبّر النبي محمّد عن الاختلاف بين أبناء الدين الواحد، حين قال في الحديث الشريف: «اختلاف أمّتي رحمة».

ويحتلّ السيّد المسيح في فكر الإمام موسى الصدر موقعاً مميّزاً. فهو الثائر على النظم الظالمة، ومحرّر الإنسان من جمود المجتمع الديني، وهو على مثال الحسين بن عليّ شهيد الإنسانيّة وفاديها، وها هو ينتهز تصادف ذكرى ميلاد المسيح وذكرى عاشوراء في الفترة ذاتها ليوجّه رسالة إلى اللبنانيّين في خضم الأحداث العاصفة بهم، يستخلص فيها معاني المناسبتين وحاثّاً إيّاهم على المودّة والعمل من أجل السلام.

وهو في هذه الرسالة ينادي المسيح بـ«الفادي»، أغلى وصف عند المسيحيّين لمسيحهم، وناسباً «الفداء والاستشهاد» للحسين، فيقول: «وشاء ربّك أن يستقبل لبنان بعد نهاية محنته الدامية مع ذكريات الهجرة وعاشوراء، ذكرى الميلاد المجيد وميلاد العام الجديد، ذكرى ولادة الإيمان والسلام والفداء... في حربنا التي لا يعالجها الاّ عزمنا النابع من إلهام الفادي وفداء الحسين».

يبدو الإمام السيّد موسى الصدر في أقواله عن المسيحية عارفاً بها وملمّاً بكتابها وبحياة السيّد المسيح وتعاليمه. وهذه خطوة لابدّ منها للحوار، أن يعرف المرء دين غيره في ←

لهذا السبب، فهو منذ اليوم الأوّل لقدومه إلىٰ لبنان سعىٰ إلىٰ إقامة العلاقات مع المجاميع السياسيّة والمذهبيّة المسيحيّة، وتوسّعت هذه العلاقات يوماً بعد آخر.

وخلال فترة قصيرة من وجوده في لبنان تعرّف علىٰ أغلب العلماء والشخصيّات المسيحيّة، وكان له مع أغلبهم روابط صداقة متينة، وبالأخصّ مع الأسقف يوسف الخوري مطران الطائفة المارونيّة(١).

ولم يكتف بهذا الحدّ من العلاقات، بل وسّعها إلىٰ سائر طبقات المجتمع المسيحي، وكان يقوم بإشراك بعض الأفراد البارزين منهم في النشاطات الخيريّة التي كانت تحت إدارته، وكانوا يتجاوبون معه.

ففي عام ١٩٦١م أوقف أحد المسيحيّين ـ ويُدعىٰ (رفلة منصد) ـ ثلث أسهم حصّته من معمل الثلج الذي كان يملكه إلىٰ مؤسّسة (البرّ والإحسان) التي أسّسها من أجل المحرومين في جنوب لبنان.

← مصادره الأساسية لا من مصادره الذاتية؛ لكي إذا ما خاض في الحوار يحاور في ما هو الدين الآخر، لا انطلاقاً من إيمانه هو، بل كما يقدّم الدين الآخر نفسه. كما يتبيّن أنّ فكر الإمام ما زال حاضراً ومفيداً لنا اليوم، حيث تسود ثقافة العولمة والأحادية الثقافية. فالإمام يدعو إلى احترام التعدّدية الدينية والثقافية، والحفاظ على الخصوصيات الدينية.

أمّا في موضوع الإنسان فيبدو ثائراً على الفكر الديني الجامد في المسيحية وفي الإسلام، داعياً إلى إعادة الدور الأساسي الذي خلق الإنسان من أجله، أي: إعمار الأرض، والعمل من أجل خير الإنسان، إلى أيّ دين أو قوم انتمى.

وتبقى نظرة الإمام إلى الأديان كافّة قابلة للتحقيق، من حيث إنّ الأديان وجدت لخدمة الإنسان وكرامته. لهذا ينبغي العمل معاً من أجل إعادة الأديان إلى الهدف الذي من أجله وجدت، أي: من أجل الإنسان.

(سايت: www.bintjbeil.com).

(١) سجين الصحراء: ٤١٤ ـ ٤٢٢.

وكان اثنان من الأطبّاء المسيحيّين أعضاءً في تلك الجمعيّة الخيريّة، يعالجون المرضىٰ من المسلمين مجّاناً.

نصرة مسيحي مظلوم

عام ١٩٦٢م قام أحد المسلمين من بائعي المرطّبات في مدينة صور بالتعدّي علىٰ مسيحي كان يملك هو الآخر محلّاً لبيع المرطّبات، وذلك ببثّ الشائعات بين الناس بأنّ طعام المسيحي نجس ومحرّم، ممّا سبّب في كساد سوق الرجل المسيحي، والذي فزع إلىٰ الإمام، فوعده السيّد الصدر بأنّه سيقوم ما بوسعه لنصرته.

فأرسل إلىٰ المسلم من ينهيه عن هذا الفعل الغير اللائق، فلم يستجب لطلب الإمام موسىٰ الصدر، وواصل طريقته بمحاربة البائع المسيحي.

فما كان من الإمام إلّا أن قام وبالاستناد إلىٰ فتواه الصريحة القائلة بطهارة أهل الكتاب، هو وبعض من معه بزيارة محلّ الرجل المسيحي، وتناولوا المرطّبات عنده.

وبهذا الفعل انتصر للرجل المسيحي من المسلم الذي ظلمه.

وقد لاقىٰ عمله هذا انعكاساً كبيراً في الإعلام المحلّي والعالمي الذي نقل وقائع تلك الزيارة، ومن جملة المنشورات اللبنانيّة التي نقلت تلك الزيارة: «النهار» و«الحياة»، و«لسان الحال»، وغيرها[١].

فكان لها أوقع الأثر في تحكيم روابط الوحدة بين المسلمين والمسيحيّين بقيادة الإمام موسىٰ الصدر.

---

(١) سجين الصحراء: ٤٢٦.

وأيضاً في تلك السنة وبدعوة من المطران (گريگور حدّاد) وسائر الأعضاء البارزين انتمىٰ إلىٰ عضوية (الشورىٰ المركزيّة لحركة النهضة الاجتماعيّة المسيحيّة)(١).

وبعد ذلك كان يشارك وبدعوة من قادة المراكز الدينيّة المسيحيّة في أغلب الندوات والجلسات التي كان يقيمها أُولئك؛ ليخطب ويحاضر في كافّة المواضيع التي لها ارتباط بفكرة التعايش بين الأديان السماويّة.

التعايش الإسلامي ـ المسيحي

وكانت له في هذا الجانب خطوات كبيرة وجادّة، يقول: «نسعىٰ لإقامة جبهة إسلاميّة متّحدة نتمكّن من خلالها ومن موقع القوّة أن نمدّ يد الصداقة والتعاون مع إخواننا المسيحيّين، ونجعل من فكرة التعايش بين المسلمين والمسيحيّين أمر مفروض وقابل للتطبيق، فنثبت لإسرائيل فشل نظريتها بعدم إمكان التعايش الأخوي بين الأديان السماويّة في العالم، وعدم إمكان تحقيق ذلك التعايش الإنساني بين الفلسطينيّين والمسيحيّين واليهود في الأراضي الفلسطينيّة...»(٢).

يعتقد الإمام موسىٰ الصدر أنّ التعايش بين المسلمين والمسيحيّين مسألة مهمّة وثروة يمكن الاستفادة منها لحلّ الكثير من المشاكل والمعضلات الاجتماعيّة(٣).

---

(١) المصدر السابق: ٤٣٢.

(٢) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور جمران): ٨٦.

(٣) حوارات صحفيّة: ٢، الوحدة والتحرير: ٢٦.

وقد سعىٰ الإمام لتحقيق هذا التعايش بكلّ ما أُوتي من قوّة، حتّىٰ أصبح في نظر المسيحيّين الرجل الذي يمكن الاعتماد علىٰ كلمته في هذا المضمار.

يقول الإمام الصدر في ذلك: «دعتني إحدىٰ المؤسّسات المسيحيّة (مؤسّسة دير المخلد)، وهي مؤسّسة علميّة تقوم بعملية التربيّة وتخريج القساوسة، إلىٰ إلقاء محاضرة علىٰ تلامذتها، وبعد الانتهاء من المحاضرة قال رئيس الدير مخاطباً رئيس الإعلام اللبناني الذي كان مسيحيّاً أيضاً: الأجواء الروحيّة التي بثّها الإمام موسىٰ الصدر خلال ساعة كانت أكثر ممّا نستطيعه نحن خلال ستّ سنوات.

هذه الحقيقة ليست مرتبطة بقوّتي كشخص، بل مرتبطة بقوّة الإسلام الطاهر العظيم...»[١].

وكان يحاضر دائماً في كنيسة (مار مارون)، وهي كنيسة تاريخيّة كبيرة في مدينة طرابلس، حيث يلتقي خلالها بعشرات من الشباب والشخصيّات العلميّة المسيحيّة.

وكانت مدينة بشرىٰ ـ وهي من أكبر المراكز المسيحيّة للطائفة المارونيّة ـ هي الأُخرىٰ تستقبله بحفاوة وشوق للاستماع إلىٰ محاضراته، حيث يلتقي هناك بالآلاف من أبناء الطائفة الذين يقدمون للترحيب به والاستماع إلىٰ كلماته المؤثّرة[٢].

(١) مجلّة «سيماى إسلام» (مجلّة سيماء الإسلام) السنويّة: ٩٠.
(٢) عزّت شيعه (هيبة الشيعة): ١٤٢، نقلاً عن حجّة الإسلام والمسلمين السيّد أبي ذرّ العاملي.

إقامة المجالس السنويّة

قام الإمام موسىٰ الصدر عام ١٩٦٥م وبالتعاون مع بعض الشخصيّات العلميّة الإسلاميّة والمسيحيّة بتأسيس مجلس علمي تحت عنوان: «التحاور بين الإسلام والمسيحيّة».

وأُقيم هذا المجلس أوّل ما أُقيم في قاعة (الندوة اللبنانيّة) بحضور جمع من كبار الشخصيّات الإسلاميّة والمسيحيّة، وعلىٰ رأسهم السادة: نصري سلهب، جورج خضر[١]، فرانسوا دوبره لاتور، يوسف أبوحلقة، حسن صعب، يواكيم مبارك، وصبحي الصالح، حيث قاموا بإلقاء محاضرات قيّمة.

وقدّم الإمام موسىٰ الصدر بحثاً مفصّلاً بعنوان: «الإسلام وثقافة القرن العشرين»، نال إعجاب وتقدير الجميع[٢].

واستمرّت جلسات الحوار التي قدّمت فيها أنواع النظريات الفكريّة والدينيّة حول الوحدة، من قبل كبار الشخصيّات الإسلاميّة والمسيحيّة لمدّة شهرين.

وانتهت أخيراً بإصدار البيان الختامي المشترك الذي تضمّن النقاط التالية:

١ ـ الاهتمام بالقواسم المشتركة بين الأديان حول الوحدة.

---

(١) جورج خضر: مفكّر ورجل دين مسيحي لبناني. ولد في طرابلس (لبنان) عام ١٩٢٣م، ونال إجازة الحقوق واللاهوت عام ١٩٤٤م. سيم كاهناً سنة ١٩٥٤م، وانتخب برتبة مطران على جبل لبنان للروم الأُرثوذكس عام ١٩٧٠م، وهو رئيس المحكمة الروحية الاستئنافية المسكونية والأُرثوذكسية، وأُستاذ مادّة الحضارة العربية في الجامعة اللبنانية، ومؤسّس حركة الشبيبة الأُرثوذكسية. له مواقف تهدف إلى تعميق صلات الودّ الروحي بين المسيحيّين والمسلمين. من مؤلّفاته: فلسطين المستعادة، حديث الأحد، أنطاكية الجديدة، لو حكيت مسرى الطفولة. (موسوعة السياسة ٢: ١١٧ ـ ١١٨).

(٢) المتن الكامل لتلك المحاضرة موجود في كتاب «أبجدية الحوار»: ٤٣.

٢ ـ السعي لحفظ القيم الأخلاقيّة والإنسانيّة.

٣ ـ التأكيد علىٰ دور لبنان الاستثنائي في تنشيط ثقافة التحاور الإسلامي ـ المسيحي.

٤ ـ أهميّة التحاور بين الأديان لتحكيم الوحدة الوطنيّة في لبنان.

٥ ـ تأسيس جامعة البحوث والمقارنة بين الأديان السماويّة.

٦ ـ أهميّة التعاون بين العلماء المسلمين والمسيحيّين من أجل تعميق ثقافة التحاور.

واستمرّت تلك الجلسات في السنوات الأُخرىٰ القادمة، ونوقشت فيها موضوعات كثيرة، مثل: (العدالة في الدين الإسلامي والمسيحي) بحضور كبار رجال الثقافة والسياسة من الديانتين.

حامل راية التعايش

لم يكتف الإمام موسىٰ الصدر بتقوية وتحكيم علاقاته مع الشخصيّات والجماعات المسيحيّة عن طريق التحاور واللقاءات الرسميّة، بل كان يشارك في المناسبات والأعياد المسيحيّة بحضوره الشخصي في منازل المسيحيّين، وحتّىٰ في مناسبات العزاء والوفيات كان يسارع إلىٰ الحضور وتقديم كلمات التعازي والمواساة بنفسه.

وهذا ما سبّب في أنّ المسيحيّين كانوا يكنّون له التقدير والاحترام وكأنّه أحد قادتهم، لا بل وكانوا في كثير من الأحيان يعتمدون عليه أكثر من قادتهم.

في حديث صحفي له مع مجلّة «موندي مورنينك» (صباح الاثنين) بتاريخ ١٩٧٧/٨/٢٢م وصف الإمام موسىٰ مقامه بين المسيحيّين كالتالي: «لا أظنّ انّ

أحداً في لبنان قد حفظ راية التعايش بين الأديان السماويّة والوحدة الوطنيّة مثلما فعلت، حتّىٰ صرت رمزاً للوحدة في لبنان.

ولهذا فأنا غير مرغوب فيه عند المتآمرين من أعداء هذا الوطن الذين يسعون إلىٰ إزالتي من الوجود.

وإنّ من شدّة الثقة التي أولاها لي إخواني المسيحيّون، أنّني قبل ثلاث سنوات ألقيت موعظة دينيّة علىٰ المؤمنين منهم في المراسيم الخاصّة التي أُقيمت في كنيسة (الكبوشيّين).. ولتعرفوا أبعاد هذا العمل تصوّروا أنّ زعيماً دينيّاً مسيحيّاً يلقي خطبة الجمعة علىٰ المصلّين المسلمين.

فأنا رمز الوحدة الوطنية والأُخوّة الدينيّة، وحامل راية التعايش بين مختلف الطوائف اللبنانيّة.

ولا عجب أن يقوم المتآمرون بتصفيتي معنويّاً في حملاتهم الدعائيّة، مشكّكين بكلّ تحركاتي الوطنيّة السياسيّة»(١).

يقول القسّيس (يواكيم مبارك) ـ وهو أحد قادة المسيحيّين في لبنان ـ في مقالة له نشرتها جريدة «النهار» البيروتيّة حول الإمام موسىٰ الصدر: «لا ينكر أحد أنّ الإمام موسىٰ الصدر هو رجل شيعي يسعىٰ لحصول أبناء طائفته علىٰ حقوقهم المشروعة في لبنان.

ولكن أخذت هذه النشاطات تمتلك بعداً جماعيّاً يتعدّىٰ حدود الطائفة.. ولا ننسىٰ أنّ الشيعة في الإسلام وعلىٰ مرّ التاريخ كانوا دائماً الطبقة المثقّفة المتنوّرة المطالبة لتحقيق العدالة الإنسانيّة، وقدّموا في هذا الطريق الكثير من الشهداء.

فمن مصلحة لبنان أن تأخذ بعين الاعتبار أهميّة وجود هذه الطائفة

---

(١) مجلّة «ترجمان»: ٤٢.

ودورها الثقافي والديني الذي لا يقلّ عن دور بقيّة الطوائف، كالدروز والمارونيّة:

واليوم حركة الإمام موسىٰ الصدر رسمت الجانب المشرق لهذه الطائفة، خصوصاً بعد ارتباطها المشرّف بالقضيّة الفلسطينيّة»(١).

الأُستاذ (إلياس الديري) المحلّل الصحفي المسيحي المعروف، يكتب عن شخصيّة الإمام الصدر هكذا: «ليحفظ الله موسىٰ الصدر لمائة عام وعام.. فكلّما أطال بعمره كلّما استمرّ جرس الحرّية الصاخب بالرنين ليوقض وجدان العالم النائم.

ليحفظه الله لطائفته ولجميع الطوائف المحرومة في لبنان.

ما أكثر المحرومين والمحتاجين في هذا البلد!

وما أشدّ الحاجة إلىٰ من ينقذ هؤلاء المحرومين!

وما أشدّ الحاجة لصوت كصوته، وقلب كقلبه!

هذه هي المرّة الأُولى التي نرى فيها أنّ رجل الدين يتجاوز صبغته الطائفيّة، وينبذ التعصّب لمذهبه، ويفتح قلبه وعاطفته للجميع.

فنالت حركة الإمام موسىٰ الصدر إعجاب وتقدير المارونيّين، والسنّة، والأرثوذكس، وغيرهم.

هذا هو الإمام، وهذه هي مواضعه، واضحة جليّة، تدعمها حقائق الواقع، سواء بنظر عوام الناس المؤمنين، أو قادة الفكر من طائفته أو من بقيّة طوائف المجتمع اللبناني»(٢).

---

(١) ياران إمام ويژه إمام موسى صدر، گزارشهاي سافاك (أنصار الإمام، خاصّ بالإمام موسىٰ الصدر، تقارير السافاك)، المجلّد الأوّل، بتاريخ: ١٣٥٣/٩/٢٣ هـ. ش.

(٢) مجلّة «سروش» (مجلّة الإلهام) / العدد: ١٦١ / صفحة: ٣٣. والمتن الكامل لهذه المقالة نشر في مجلّة «النهار» البيروتيّة قبل ثلاث سنوات من اختطافه.

الفصل الخامس:

موسى الصدر كما يراه الآخرون



لأجل التعرّف أكثر من ذي قبل على أبعاد شخصيّة الإمام موسىٰ الصدر، سوف نذكر في هذا الفصل أهمّ ما قيل من تصريحات ووجهات نظر لكبار الشخصيّات الدينيّة والسياسيّة والاجتماعيّة العالميّة حول شخصيّة الإمام موسىٰ الصدر.

قيل: إنّ ارتباط الإمام موسىٰ الصدر بالثورة الإسلاميّة وشخص الإمام الخميني بالذات يرجع إلىٰ العقد الثالث من زمان دراسته في مدينة قم، وكان يُعدّ من الشخصيّات العلميّة البارزة في الحوزة العلميّة التي وقفت إلىٰ جانب الثورة.

ففي ١٩٦٣/٦/٥م حينما اعتقل رجال السافاك الإمام الخميني وأودعوه السجن، قام الإمام موسىٰ الصدر علىٰ الصعيد العالمي بعدّة نشاطات إعلاميّة؛ لفضح مخطّط الشاه بتغييب الإمام وإسكاته، ومن جملة ما قام به لقاؤه بوزير خارجيّة دولة الفاتيكان، حيث أوصل إليه صوت الشعب الإيراني المظلوم.

وفي عام ١٩٧٨م حيث كانت الثورة الإسلاميّة في أوج عظمتها وقبل أُسبوع من اختفائه، كتب الإمام موسىٰ الصدر مقالاً مفصّلاً في جريدة «اللوموند» الفرنسيّة، وصف فيه تلك الثورة بأنّها إدامة لحركة الأنبياء، ووصف الإمام الخميني بالإمام الأكبر(١).

والآن، مع بعض ما قيل بحقّه ممّا يستحقّه فعلاً وبجدارة:

---

(١) لأجل المزيد من الاطّلاع راجع كتاب: إمام موسى صدر أُميد محرومان (الإمام موسى الصدر أمل المحرومين) الفصل العاشر.

حضرة الإمام الخميني:

«السيّد الصدر رجل أستطيع أن أقول بأنّني ربّيته، وهو بمنزلة ولد من أولادي الأعزّاء، أتمنّىٰ أن يعود بخير إلىٰ دياره إن شاء الله، وأنا متأسّف جدّاً لعدم وجوده بيننا في هذه الفترة»[١].

«لقد عرفت الصدر منذ سنين عديدة.. ولقد اطّلعنا علىٰ فضائله وخدماته بعد ذهابه إلىٰ لبنان، ونعلم أنّ الشعب اللبناني اليوم بأمسّ الحاجة إليه، نسأل الله أن يعود إلىٰ محلّه سالماً معافاً؛ ليستفيد منه المسلمون»[٢].

الامام الخامنئي:

«جزء من الخدمات والعطاءات التي قدّمها هذا العالم الخلّاق والنشيط خلال قريب من عشرين سنة للشيعة وللبنان في المجال الاجتماعي والسياسي، هو توحيده لشيعة لبنان، وإعطاؤهم هويتهم، وإيجاد جوّ التعايش المشترك والاحترام المتبادل بين أتباع المذاهب الدينيّة والسياسيّة في ذلك البلد من جهة، والوضوح في تعريف النظام الغاصب الصهيوني بأنّه شرّ مطلق وتحريمه للتعاون مع هذا النظام من جهة أُخرىٰ، وثمّ احترامه ومحبّته الحميمة لقائد الثورة ومؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة «الامام الخميني»، سواء في المجال الثقافي وفي كتاباته أو في مساعدته وتعاونه مع المناضلين الإيرانيّين لمدّة طويلة، حيث أوجدت من هذا العلم الجليل ـ وهو الابن البارّ للحوزة العلميّة في قم ولإحدىٰ العائلات العلميّة الكبرىٰ من عالم التشيّع ـ شخصيّة شموليّة. ولأجل ذلك كلّه،

---

(١) صحيفه‌ى إمام (صحيفة الإمام) ١٢: ٣١٨.
(٢) المصدر السابق ١٣: ١٦٦.

أظهر إمامنا الكبير الراحل تعلّقه وتكريمه لهذه الشخصيّة المعزّزة منذ انتصار الثورة، وفي مناسبات عدّة»[١].

الأُستاذ الشهيد الشيخ مرتضىٰ المطهّري:

«لو كان السيّد موسىٰ موجوداً بيننا الآن لكان أحد المستشارين الكبار للإمام الخميني في كلّ الموضوعات؛ وذلك لعمق معرفته فيما يجري في هذا العالم..

مشكلتنا اليوم أنّنا لا نملك القدرة علىٰ التفسير الموضوعي للوقائع والأحداث، وخير من يملك المعرفة الكاملة بالموضوعات هو السيّد موسىٰ.

لا يمكن أن تعلموا أيّ رجل عظيم قد خسرنا بغيابه، قد خسرنا واحداً من أكبر أنصار الثورة في الفكر والعلم.

كان السيّد موسىٰ يشخّص ما كنّا نحتاج إليه علىٰ أرض الواقع، له باع في معرفة ما يمكن أن يعترض مسيرة العمل من مشاكل وعقبات، وليس هناك موضوع إلّا وكان له فيه رأي فقهي.. فلم يكن اعتباطاً حينما غيّبوه عنّا..

كانت له القدرة علىٰ حلّ أصعب الموضوعات المعقّدة، وكان من الشخصيّات النادرة التي استطاعت فهم نظريات الفيلسوف الكبير ملّا صدرا الشيرازي»[٢].

---

(١) روزنامه «جمهوري إسلامي» (صحيفة الجمهورية الإسلامية) / الاثنين، ١٠/٣/١٣٧٨ هـ. ش / العدد: ٥٧٨٣ / صفحة: ٤.

(٢) نقلاً عن الدكتور صادق السلطاني الطباطبائي.

وملّا صدرا هو: صدر الدين محمّد بن إبراهيم القوّامي الشيرازي المعروف بالملّا صدر أو ←

آية الله الشيخ علي أكبر هاشمي الرفسنجاني:

«امتدّت معرفتي به منذ عام ١٩٤٩م، أي: حينما كان عمري (١٤) عاماً.. كان واضح البيان بهيّ الطلعة، فهو بالنسبة لنا من الشخصيّات المهمّة.

وكنت أنظر إليه كمفكّر إسلامي كبير حينها، ولهذا كنت أُشارك في دروسه المطوّلة.

وحينما كنّا نصدر مجلّة (مكتب تشيّع)، كنّا نسعىٰ بالدرجة الأُولىٰ إلىٰ الاستفادة من الشخصيّات الإسلاميّة العلميّة المهمّة، من أمثال: المرحوم المهندس البازركاني، والدكتور السحابي، والمرحوم الشهيد المطهّري، والمرحوم الشهيد البهشتي، ويعتبر هو علىٰ رأس هذه القائمة»[١].

الشهيد الدكتور مصطفىٰ شمران:

«استطاع هذا الرجل العظيم أن يؤسّس حركة في أصعب الظروف، بعد ١٤٠٠ سنة من الاضطهاد الذي حاصر شيعة لبنان، فاستنهضهم وهزّ بهم كيان السلطة الحاكمة في لبنان، وقذف الرعب في نفوس حكام إسرائيل والأنظمة الطاغوتيّة العربيّة، وذلك قبل سنوات من انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران.

← صدر المتألّهين: من أكبر فلاسفة الإسلام والشرق. كان من أهل شيراز، ورحل إلى أصبهان وتعلّم فيها، وأصبحت له مرتبة سامية في النظر العقلي والبحث العلمي، وتتلمذ عليه جملة من العلماء، كعبد الرزّاق اللاهيجي، والفيض الكاشاني. من جملة مؤلّفاته: الأسفار العقلية الأربعة، مفاتيح الغيب، المبدأ والمعاد، أسرار الآيات، إكسير العارفين. توفّي سنة ١٠٥٠هـ بالبصرة عند عودته من مكّة حاجّاً للمرّة السابعة. (أمل الآمل ٢: ٢٣٣، لؤلؤة البحرين: ١٣١ ـ ١٣٢، موسوعة أعلام الفلسفة ٢: ٥٢).

(١) نامهى مفيد (رسالة المفيد) / العدد: ١٦ / صفحة: ٣١.

الإمام الصدر الشخص الوحيد الذي سلك درب الاستقامة، واتّخذ موقفاً واحداً ودرباً واحداً منذ بداية الحرب حتّىٰ اليوم، وكانت تقديراته وآراؤه متطابقة مع الحقيقة، بخلاف الآخرين ـ دون استثناء ـ الذين كانوا يبدّلون مواقفهم كلّ يوم...

أعلم أنّ البعض سيعترض علىٰ نظرتي للإمام ويقول بأنّني عاطفي، بينما الأمر ليس كذلك. اعتقد أنّه من الظلم أن أسكت ولا أقول كلمة الحقّ خوفاً من أن يصفني أحد بأنّني عاطفي، في حين رأيت ولمست وقارنت بنفسي بين الإمام وإيمانه وتضحياته وثباته، وكلّ الآخرين واتّهاماتهم الواهية له، وأيقنت في جملة واحدة أنّ بين إخلاصه ووفائه وشخصيّته وكلّ من يدّعي الزعامة والقيادة من الذين أعرفهم، كالمسافة بين السماء والأرض»[١].

فؤاد شهاب[٢] (رئيس جمهورية لبنان الأسبق):

«لو كان هذا الرجل مسيحيّاً لقدّسه المسيحيّون.

يجب دعم هكذا رجال بكلّ ما نملك من قوّة»[٣].

---

(١) لبنان به روايت إمام موسى صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور جمران): ٩١.

(٢) فؤاد شهاب: عسكري ورجل دولة لبناني. ولد في قضاء كسروان سنة ١٩٠٣م، وتلقّى علومه في بيروت، وتخرّج في المدرسة الحربيّة في حمص ثمّ باريس سنة ١٩٣٨م، وشغل مناصب عديدة في الجيش اللبناني، وانتخب عام ١٩٥٨م رئيساً للجمهورية، وتعرّض لمحاولات تنحية عديدة، إلّا أنّه استمرّ في الحكم حتّى سنة ١٩٦٤م حين تولّى شارل الحلو رئاسة الجمهورية. كان أوّل من أدخل مفهوم التحديث إلى الدولة اللبنانيّة. توفّي عام ١٩٧٣م. (موسوعة السياسة ٤: ٦١٨).

(٣) عزّت شيعة (هيبة الشيعة): ١٨.

جمال عبدالناصر (رئيس جمهوريّة مصر السابق):

«ليت جامعة الأزهر تملك رئيساً كالسيّد موسىٰ الصدر»[١].

الأمير عبدالله (ملك المملكة العربيّة السعوديّة):

«طوال سنين حياتي لم أر شخصيّة بهذا الذكاء وسعة الاطّلاع وحسن الخلق والمحبوبيّة، مثل شخصيّة الإمام موسىٰ الصدر»[٢].

السيّد حسن نصر الله (الأمين العامّ لحزب الله ـ لبنان):

«لم يكن الإمام موسىٰ الصدر مؤسّساً للمقاومة اللبنانيّة وحسب، بل كان مؤسّساً لكلّ المبادرات والمشاريع والوسائل الكثيرة التي إذا ما غفلنا عنها فسنجد أنفسنا آخر القافلة.

وجود الإمام موسىٰ الصدر في لبنان كان مدعاة لأن يأخذ رجال الدين مرّة أُخرىٰ مواقعهم علىٰ الساحة الجهاديّة، وأن يكون لهم مواضع قدم في العمل السياسي، لا لأجل تحقيق منافعهم الشخصيّة أو للانتقام من أعدائهم.

وكان من الطبيعي أن يواجه الإمام موسىٰ الصدر حسّاداً وأعداءً كثّر لم يطيقوا وجوده ونشاطاته.

مزج الإمام الدين بالسياسة والسياسة بالدين.. وهذا أمر وإن أصبح في زماننا شيئاً طبيعيّاً، ولكنّه كان في ذلك الزمان من الأُمور التي أقلّ ما يُتّهم بسببها

---

(١) ذكرىٰ الإمام موسىٰ الصدر: ٢٦٨.

(٢) عزّت شيعة (هيبة الشيعة): ١٥.

صاحبها فهو الإلحاد والارتداد والفسوق والمروق عن الدين!

لم يتحمّله بعض رجالات السياسة؛ لأنّه جرّدهم وفضح حقائقهم، ولم يتحمّله بعض رجالات الدين حسداً.

لقد علّمنا الإمام موسىٰ الصدر أنّه لايمكن لأرض مغصوبة أن تسترد عن طريق السلم والصلح، علّمنا أنّ الأرض المغصوبة فقط عن طريق الجهاد والشهادة والحجر والدم و.. وبدماء طالبي الشهادة من أمثال (أحمد قصير) و (بلال فحص) يمكن استردادها وتحريرها.

ولم يكن دور الامام موسىٰ الصدر في لبنان محدوداً بجانب معيّن، بل كان محسوباً علىٰ كلّ لبنان كرمز وقائد»[1](*).

(١) للاطّلاع علىٰ المتن الكامل لهذه الخطبة راجع روزنامه «جمهوري إسلامي» (صحيفة الجمهورية الإسلاميّة)، يوم الخميس ١٣٧٩/٩/١٧ هـ. ش / العدد: ٦٢٢٩ / صفحة: ١٥.

(*) الإمام الصدر في ذكراه، الشيخ عفيف النابلسي (رئيس هيئة علماء جبل عامل)، صحيفة «السفير»، الجمعة، ٢٧ / آب / ٢٠٠٤م.

أذكر أنّه حينما دخلت على الإمام الصدر للمرّة الأُولى قاصداً علمه وفكره وراغباً في التتلمذ على يديه، شعرت بمسامات النور تدخل كياني وتمنحني روح الإيمان واليقين والبصيرة، فقد اكتشفت وأنا ماثل أمامه أنّي ارتبط بالإصالة والحقيقة والفكرة التي يجتمع فيها الوعي والتجدّد والإبداع والاستقامة، فالإمام الذي كان محطّ أنظار الناس، شكّل عند مجيئه قاعدة للرؤية المستنيرة عبر التزامه قضايا وحقوق الفقراء والمعذّبين الذين أحرقتهم نيران الإقطاع والإهمال الرسمي وفساد الحاكمين. فقد كان ممتلئاً بالأمل، مشتعلاً بالثورة؛ كي يحقّق أماني البسطاء والمنسيّين، ويكسر حاجز الصمت الذي يمنع صوتهم أن يصل إلى بروج المترفين والزعماء.

وهكذا شقّ الطريق أمام الفئة المهمّشة؛ لتهزم ظلام الجهل والبؤس والتخلّف، ولتعيد تركيب الوطن على أُسس العدالة والكرامة والمساواة.

←

← والإمام الذي انطلق يجوب جغرافيا الوطن لمواجهة الحرمان كانت تنتظره معركة أُخرى ضدّ من يودّون أن يجعلوا اللبنانيّين قبائل تتناحر وتتقاتل لهدم صيغة العيش المشترك بين المسلمين والمسيحيّين التي اعتبرها رسالة لبنان، على اللبنانيّين أن ينشروها في العالم أجمع، والأمانة الحضارية والإنسانيّة التي عليهم أن يؤدّوها؛ كي تستقيم علاقات البشر وتنتظم في إطار في التسامح والأُخوّة والاعتراف بالآخر وهويته وثقافته.
وليس ثمّة شكّ في أنّ الظروف المرهقة التي مرّ بها الإمام عكست روحه الفيّاضة بالقيم والمواقف النبيلة، فقد كان يسكّن وجع النّاس والوطن، ويعرف أين يكمن الداء، وكيف السبيل لمعالجة الأمراض والمشاكل المزمنة، وكان يملك كلّ الشجاعة ليقول الحقّ ويمضي به إلى نهاياته.
ومن ذلك السيّد المهاب استمدّ الناس قوّة المقاومة، مقاومة الظلم والحرمان ومقاومة الاحتلال ورموزه، فكتب نصّ المقاومة وأبدع، وعاش في خطوط النار مع المجاهدين الأوائل معلناً أنّ «إسرائيل شرّ مطلق».
فقد كان هذا الشعار فكرته النهائية عن الكيان المصطنع، وكلمة الحقّ القوية في وجه عدوّ الله والإنسانيّة، وكان يدرك باكراً أنّ هذا الكيان سيزرع الحروب والفتن في المنطقة بأسرها.
ولذلك حمل السلاح لمجابهة هذا العدوّ، وأثار الجماهير وحرّضها عليه، مظهراً خطورته على لبنان المناقض الطبيعي لإسرائيل، والذي يشكّل بدياناته وطوائفه ومذاهبه وتسامح أبنائه البيئة الإنسانية والحضارية الفريدة المؤمنة بقيم الحوار والتعايش، والرافضة لكلّ شكل من أشكال التمييز والعنصرية التي يقوم على أساسها الكيان الإسرائيلي.
إنّ الإمام الصدر كان بحقّ أُمّة في رجل، عالماً مجدّداً في الفقه والشريعة، مصلحاً اجتماعياً، وقائداً سياسياً التزم قضايا شعبه ووطنه وأُمّته، فكان تغييبه المتعمّد مظهراً من مظاهر المؤامرة على لبنان ووحدته واستقراره، وإلغاءً لأمل الناس بالسلام الذي عمل الإمام جاهداً ليعمّ ربوع الوطن كلّه، فتعود الحريّة والكرامة، وتنتفي البغضاء والكراهية التي زرعها العابثون والأعداء ترجمة لهدف القضاء على لبنان في تجربته الحضارية الرائدة، وفي ميزة شعبه الذي يأبى الضيم والخنوع.
أذكرك أُستاذي العظيم، وأتذكّر كلّ ذلك التاريخ الحافل بالعطاء والتضحيات، وتلك التجربة الرائعة التي عشناها في ظلالك، ننهل منك المعرفة ومحبّة الناس والإيمان
←

← بهذا الوطن ومستقبله.

(سايت: www.imamsadrnews.info).

الإمام الصدر الغائب والنهج الحاضر، د. محمّد السمّاك (أمين عامّ اللجنة الوطنية للحوار الإسلامي ـ المسيحي).

لم يكن الإمام موسى الصدر مجرّد زائد واحد إلى عدد الداعين إلى الوحدة الوطنية في لبنان، كان صاحب مدرسة، وكان صاحب رؤيا.

تحرّك الإمام في اتّجاهات ثلاثة متكاملة منظّراً وداعياً وعاملاً في الوقت نفسه.

الاتّجاه الأوّل: في مواجهة العدوان الإسرائيلي، وفي مقاومة هذا العدوان الوجودي وليس الاحتلال فقط. وهذا ما يفسّر عبارته المشهورة: «إسرائيل شرّ مطلق».

ذلك أنّه بالنسبة لمدرسة الإمام فإنّ الوجود الإسرائيلي هو أصل الشرّ، وليس احتلالها أو أعمالها العدوانية فقط. وبالتالي فإنّ مقاومة إسرائيل يجب أن تكون مقاومة لوجودها من حيث المبدأ، فالشرّ لا يعطي إلّا شرّاً. والقبول بوجود الشرّ يعني التعرّض لما يصدر عنه من اعتداءات وجرائم، فإسرائيل مثل شجرة الشرّ، لا تثمر إلّا شرّاً.

الاتّجاه الثاني: في إقامة وحدة إسلامية ـ إسلامية داخل لبنان، وانطلاقاً منه، على أمل أن تشعّ هذه الوحدة في الدول الإسلاميّة الأخرى. وفي هذا الإطار طرح أفكاراً لتوحيد المجلس الشرعي الإسلامي ليكون مجلساً سنيّاً ـ شيعيّاً واحداً، وطرح أفكاراً لتوحيد الأوقاف الإسلاميّة، كما طرح أفكاراً لتوحيد الأذان إلى الصلاة. والتفاصيل حول هذه الأفكار والمبادرات حديث يطول.

الاتّجاه الثالث: في إقامة وحدة وطنية إسلامية ـ مسيحية، فكان الإمام الصدر رمزاً للحوار الإسلامي ـ المسيحي، سواء في أدبياته الدينية أو في سلوكه الوطني العامّ، وأرسى حجارة الأساس للمبادرات التي تتالت فيما بعد، والتي أينعت ثمارها وفاقاً وطنياً يتفيّأ اللبنانيّون ظلّه ويتمسّكون به خشبة خلاص في خضم التحدّيات التي تتزاحم عليهم من كلّ حدب وصوب.

من هنا فإنّ تغييب الإمام الصدر كان تغييباً لمبادراته البنّاءة في الاتّجاهات الثلاثة.

لقد أدّى تغييبه إلى حرمان لبنان من داعية للوفاق، ومن عامل فعّال على تحقيق الوفاق، ولذلك ليس مبالغة في محبّته وتكريمه القول: إنّه كان لهذا التغييب دور أساسي في تطويل ←

← أمد الحرب التي عصفت بلبنان، والتي عانى منها اللبنانيّون كثيراً.
ومن هنا أيضاً فإنّ إحياء ذكرى تغييب الإمام الصدر تأخذ قيمتها الحقيقية من خلال إحياء القيم الدينية والوطنية التي كان يدعو لها ويعمل من أجلها.
لقد ترك الإمام وراءه منهجاً للوحدة الإسلاميّة ـ الإسلاميّة، وللوحدة الوطنيّة الإسلاميّة ـ المسيحيّة، وتبرز معالم هذا المنهج في الخطب وفي الكلمات التي كان يلقيها، سواء داخل غرف اللقاءات المغلقة، أو من على المنابر الشعبية العامّة.
كانت لغته واحدة، وكانت ثوابته واحدة، الأمر الذي وفّر له صدقية قلّ أن توفّرت لقائد وطني ـ ديني مثله.
إنّنا في كلّ مرّة نواجه تجربة جديدة في العمل الحواري الوطني، نستحضر الإمام الصدر فكراً وثقافة، ونستنير بما أفاء به الله عليه من حكمة وعلم. لقد غيّبوه عنّا، ولكن نهجه لن يغيب.

(سايت : www.amal–mouvement.com).

الفصل السادس:

كتابات الإمام موسى الصدر ومحاضراته



استعراض مؤلّفاته

إضافة إلىٰ مسؤوليّاته الكثيرة المنهكة، سواء السياسيّة أو الاجـتماعيّة أو الثقافيّة أو الدينيّة، فإنّ الإمام موسىٰ الصدر لم ينشغل عن الكتابة والتأليف.

فكانت له آثار خالدة، وهذه علىٰ قسمين: قسم بـقلمه وتأليـفه، والقسـم الآخر يشمل مجموعة محاضراته ولقاءاته الصحفيّة وخطاباته، جُمعت عن طريق بعض المقرّبين له. وهي كثيرة، نذكر أهمّها:

١ ـ المذهب الاقتصادي في الإسلام.

وهو كتاب يحوي اثنتي عشر مقالة قيّمة، نشرها الإمام الصدر في مـجلّة «مكتب إسلام» (مدرسة الإسلام)، ونظّمها فيما بعد حجّة الإسـلام والمسـلمين الشيخ علي حجّتي الكرماني، وأعدّ لها مقدّمة وهوامش، نشرها في كتاب جُدّدت طباعته ١٢ مرّة إلىٰ يومنا هذا، كما ونشره باللغة العربيّة (مـركز الإمـام الصـدر للأبحاث والدراسات).

٢ ـ الإسلام ومشكلة الطبقيّة.

أثبت الإمام موسىٰ الصدر في هذا المؤلَّف جدارته وقدرته التحليليّة فـي الجوانب العلميّة والاقتصاديّة. والكتاب عبارة عن مجموعة مقالات نشرها في مجلّة «مكتب إسلام» (مدرسة الإسلام) خلال السنة الأُولىٰ لتأسيسها، طرح فيها آراءه الفكريّة والاقتصاديّة، واستعرض وبحث وانتقد وجهات النظر المـاركسيّة والرأسماليّة، وعرض وجهة نظر الإسلام وموقفه من التمييز الطبقي وتطبيق العدالة

الاجتماعيّة، وأثبت أنّ الإسلام هو السبيل الوحيد لتحقيق سعادة الإنسان.

وصف المفكّر الكبير الشهيد مرتضىٰ المطهّري هذا الكتاب بقوله: «لقد جاء فيه بالشيء الجديد، وهو ضروري في عصرنا هذا»[١].

٣ ـ الإسلام وثقافة القرن العشرين.

هذا الكتاب قد كتبه الإمام موسى الصدر باللغة العربيّة، وتضمّن مناقشة الخصائص العلميّة الأساسيّة للثقافة الإسلاميّة الأصيلة وموقفها من الثقافات الأُخرىٰ، في أُسلوب شيّق متين.

ترجمه إلىٰ الفارسيّة عام ١٩٦٩ م السيّد علي حجّتي الكرماني، وأُعيدت طباعته إلىٰ يومنا هذا أكثر من عشرة طبعات.

٤ ـ المنبر والمحراب.

وهو مجموعة من المحاضرات والمقابلات والرسائل حول موضوعات مختلفة، جمعها السيّد حسين شرف الدين (زوج أُخته)، وقام بطبعها.

وترجمها إلىٰ الفارسيّة السيّد علي حجّتي الكرماني.

٥ ـ أحاديث السحر.

عبارة عن مجموعة من البحوث في تفسير بعض آيات السور القرآنيّة، بثّها راديو بيروت في أوقات السحر من شهر رمضان المبارك، ثمّ جمعت من قبل السيّد حسين شرف الدين، وطبعت من قبل (مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات) في لبنان.

---

(١) خاطرات من أز أُستاد شهيد مطهّري (ذكرياتي مع الأُستاذ الشهيد مرتضىٰ المطهّري) للدواني: ٢٦.

٦ ـ دراسات للحياة.

يحوي بحوث تفسيريّة حول بعض السور القرآنية(*)، أُلقيت في مناسبات

(*) أدوّن في مقامي هذا نصّين للإمام موسى الصدر في تفسير سورتي الإخلاص والفلق:
﴿بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص ١١٢: ١ ـ ٤].
أمّا حديثي في هذه الليلة فهو في تفسير سورة الإخلاص.. هذه السورة العظيمة التي ورد في الحديث «أنّها ثلث القرآن».
لقد ورد في الحديث الشريف «أنّها ـ هذه السورة ـ نسب الربّ»؛ لأنّ العرب كانوا ـ كما تعلمون ـ يذكرون لآلهتهم ولأشخاصهم ولكلّ أسيادهم أنساباً، فكل إنسان كان ينتسب إلى قبيلة أو عائلة أو عشيرة. وكانوا يذكرون الأنساب أيضاً للخيل، وهذا كان معروفاً عند العرب. وكانوا يذكرون الأنساب أيضاً للأصنام، فهبل، لات، عزّى، ودّ، يغوث، يعوق، كلّ واحد من هذه الأصنام كان منسوباً إلى تاريخ وإلى قبيلة وإلى فئة. فسألوا النبي ﷺ عن نسب الله، الذي هو يعبده وينادي به، فنزلت سورة الإخلاص... لأنّ القرآن كتاب الشريعة، وأساس الشريعة: التوحيد، والنبوّة، والمعاد.
فالتوحيد هو الصنف الأوّل الأساسي في أساس الشريعة، وفيه ملخّص ما ورد في القرآن الكريم قبل سورة الإخلاص كثير. ندخل في صميم تفسيرها:
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: ذكرنا تعليقاً حول كلمة ﴿قُلْ﴾، بأنّ كلمة ﴿قُلْ﴾ موجّهة إلى الرسول ﷺ، ولكنّه يأبى إلّا أن ينقل كلّ ما يسمع، فهو كالمرآة إمام الله، تعكس كلّ ما يقع فيها من الوحي ومن الانعكاسات والتجلّيات. فهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلّا وحي يوحى. فكان يقدّم للناس كلّ ما يوحى إليه ولو كان كلمة.
﴿هُوَ اللَّهُ﴾: ربّي وإلهي الذي تسألون عن نسبه هو الله. فسّرنا كلمة الله في عدّة مناسبات.
﴿هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾: ما معنى كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ كلمة ﴿أَحَدٌ﴾، أخصّ وأعمق من كلمة واحد، فواحد مقابل الاثنين، فواحد يعني فرد مقابل الجماعة. الله واحد أيضاً، ولكنّه أحد زيادة على الواحدية.
ومعنى الأحدية: أنّ الله زائداً على أنّه فرد، فلا جزء له. فإذا لاحظت لكلّ واحد منّا تجده واحداً بمميّزاته ومشخّصاته، ولكنّه ليس أحداً. فالإنسان يتكوّن خارجاً من الرأس واليد والبطن والرجل والجسم، ومن الروح؛ وعقلاً من الأجزاء العقلية المذكورة في المنطق. وكلّ ←

← فرد منّا يتكوّن زائداً على أجزائه الخارجية ممّا ذكرت لكم آنفاً من أنّ مأكله ومشربه وعلمه وثقافته وتجربته هي من جهد آلاف الألوف من البشر الذين يشاركون في تكوين هذا الموجود، فهو يتكوّن من أجزاء وأجزاء، ولكن الله أحد، يعني: ليس له جـزء، وليس له انتساب.

فأحدنا كما تعلمون له انتسابات: ينتسب إلى أخ، إلى أمّ، إلى قبيلة، إلى عشيرة، إلى شعب، إلى بلد، إلى عنصر. كلّ واحد منّا ينتسب إلى أشياء كثيرة. الله سبحانه وتعالى أحد، ليس له انتساب لأحد ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾.

هناك نقطة يذكرها بعض المفسّرين: يقول: إنّ ﴿أَحَدٌ﴾ لا شكّ أنّ هذه الكلمة مقلوبة من كلمة وحد، الهمزة بدلاً من الواو، طبعاً بدليل الاشتقاقات التي ترجع الأمور إلى أساسها. فأحد يعني وحده. فيقصد ويفهم من هذه الكلمة أنّ الله ليس فقط واحد، وليس له جزء، بل هو وحده، ليس أمامه شيء، ولا موجود، ولا مؤثّر، ولا كائن، وإنّما كلّ ما في الكون ظلال منه، وآثار له، وأشعّة من نوره، وأثر من آثاره، فهو وحده الموجود ليس إلّا. ولا شكّ أنّ هـذا معنى أدق وأعمق، ولكن كلمة ﴿أَحَدٌ﴾ في عقائدنا معناها كما قلت: أنّ الله ليس له جزء، وليس له انتساب.

﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾: الصمد يذكر له معنيان: المعنى الأوّل: أنّ الصمد أي: السيّد المقصود. أليس صمدت يعني: قصدت؟! فالله هو المقصود، يعني: المطلوب لكلّ حاجة، والمقصود لكلّ اتّجاه. يعني: أنّ الله غني، يعني: أيّها الناس، أنتم الفقراء والله هو الغني، يعني: أنّ الله ليس محتاجاً إلى أحد. أمّا المعنى الثاني فيعود بالنتيجة إلى هذا المعنى، ويقوم عـلى أنّـه فـي مصطلحاتنا حينما يقولون: فلان صامد أو نصمد، يعني: نقف. فالصمد في بعض التفاسير بمعنى: المليء. لماذا يسمّى الله سبحانه وتعالى بالمليء؟ لأنّه غني، لأنّه لا حاجة له، لأنّ الحاجة فقر، الحاجة خلاء وفراغ. فالإنسان بمقدار ما يكون له حاجة، بنفس المقدار هو فقير وضعيف، فالذي لا يحتاج إلى الآخرين هو ﴿الصَّمَدُ﴾ وصامد، وليس غـني عـن الآخرين إلّا الله، فالله هو الصمد.

على كلا المعنيين يبقى المعنى واحد. يعني: أنّ الله لا يحتاج إلى شيء، لا يحتاج إلى أكل وشرب، ولا لبس، ولا مكان، ولا زمان، ولا إلى شخص، ولا إلى أصحاب وأنصار وأنساب.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾: ليس له أولاد. وحينما ليس له أولاد يعني: لا أحفاد له، ولا أسباط، ولا أنسباء، ←

← ولا أصهرة، ولا أكنة، ولا سائر الأُمور، وكلّ ما ينبثق من الأولاد.
﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: ليس له والد ولا والدة. وإذا لم يكن له والد فليس له عمّ، ولا عمّة، ولا أولاد عمّ. وإذا لم يكن له والدة فليس له خال، ولا خالة، ولا أولاد خال. فإذاً الله لا ينتسب إليه أحد بالقرابة، لا من جهة الأولاد، ولا من جهة الوالد والمولود. يعني: ليس له عشيرة؛ لأنّ انتساب أحدنا لعشيرة عن طريق الولادة، أي: النسبة، وليس لله نسبة ولا قرابة.
﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾: ولم يكن أحد له كفء، والكفاءة: النظير. كانوا يعتقدون بأنّ لكلّ موجود نظير، أو لكلّ موجود مثل. والكفء يستعمل بمعنى الزوجة. يعني: هو ليس له زوج أو زوجة، ليس له مثيل ولا نظير. وهذا أيضاً تكريس لعدم الحاجة. ويقولون: هناك تفسير أدق ممّا قلت: إنّ الولادة بمعنى البنوّة والولادة الخارجية، هذا نوع من أنواع الولادة، وإلّا كلّ شيء ينبثق من شيء في اللغة يسمّوه أنّه ولد من ذلك الشيء. فالله ما ولد من أيّ شيء، ولا يخرج منه أيّ شيء، كما يخرج الماء من الصخر، أو كما تخرج الفاكهة من الشجر. الأشياء التي تصدر عن الله ليست بهذه المكانة، هذا المعنى السطحي لهذه الآية الكريمة. فلنتعمّق بعض الشيء في معاني هذه الآية الكريمة، حتّى نرى اتّصالها واتّصال عقيدة التوحيد التي تتكرّر في الإسلام كثيراً. وجميع الرسالات، ورسالة الإسلام خاصّة، تؤكّد على التوحيد، وعلى تعميق أثر التوحيد في حياتنا الخاصّة والعامّة. فلننظر إلى الآية الكريمة والآيات المباركة؛ لكي نرى ما هو أثر هذا المفهوم من الله.
قلنا: إنّ الله لم يلد ولم يولد، فإذاً ليس له عشيرة وأقرباء وأرحام. وعلى هذا الأساس جميع الناس بالنسبة إلى الله سواسية كأسنان المشط، ليس أحدهم قريب بالرحمية أو بالنسبية إلى الله. هذا أوّلاً. وقلنا: إنّ الله صمد، يعني: لا يحتاج إلى الناس والناس بحاجة إليه، لا يحتاج إلى الأشياء والاشياء بحاجة إليه، لا يحتاج إلى الأزمنة والأمكنة والأزمنة والأمكنة بحاجة إليه. فإذاً جميع البشر أمام الله متساوون، لا يحتاج إلى شخص دون شخص، لأجل المشورة، أو المساعدة، أو تقسيم الأعمال، أو أمثال ذلك. الناس متساوون أمامه. وهذا التساوي موجود أيضاً في الأزمنة والأمكنة والأشياء والحالات وكلّ شيء. الأشياء بالنسبة إلى الله متساوية؛ لأنّه لا يحتاج إلى شيء من الأشياء دون الآخر. الآن نحن مثلاً نحبّ بعض أنواع المآكل أكثر؛ لأنّنا نحتاج إليها أكثر، نحبّ بعض الملابس؛ لأنّنا نحتاج إليها، نحبّ بعض أنواع الفواكه؛ لأنّنا نملكها ولأنّنا نحتاج إليها. ولكن الله غني عن كلّ شيء. فكلّ
←

← لبس، وكلّ أكل وشرب، وكلّ جبل، وكلّ نهر، وكلّ بيت، متساوٍ أمام الله. وهكذا الأمكنة، كلّ مكان، وهكذا الأزمنة، كلّ زمان، أمام الله متساوية.

ماذا نفهم من هذا التحليل؟

نفهم أنّ الله بالنسبة إليه؛ كلّ شيء، كلّ زمان، كلّ مكان، كلّ شخص، بالنسبة إليه متساوون. لا فضل لأحد على الآخر، ولا لمكان على الآخر، ولا لزمان على الآخر، ولا لشيء على الآخر، بالنسبة لله، إنّما جعل الله في بعض الأشياء رموزاً وأسباباً، اعتبرها رمزاً، مثل الكعبة، مثل الجمعة، مثل شهر رمضان، وأمثال ذلك. كما أنّنا نحن نعطي اعتباراً عرفاً وقانوناً لبعض الأشياء أو الأمكنة أو الأزمنة، مثلاً: عيد الاستقلال أو العلم، العلم اعتباره في القانون والتشريع، وإلّا فهو ليس فيه شيء، ليس شيئاً ذاتياً أساسياً، وإنّما اعتبره القانون الأساسي ووضع الأمّة وقرارها محترماً. الاحترام للعلم أو ليوم معيّن أو لأشخاص معيّنين، هذا ليس معناه أنّ فيه خاصية. كذلك العملة مثلاً، العملة ورق مثل سائر الأوراق، ولكن اعتبار الحاكم، واعتبار القانون، وقوّة القانون، تعطي لها قوّة، وإلّا هذه الأوراق لا تختلف عن سائر الأوراق.

وصلنا إلى هذه النقطة: أنّه بالنسبة إلى الله جميع الأشياء والأزمنة والأمكنة والحالات متساوية. وهنا نصل إلى نقطة أساسية في حقل البشر: لا فضل لأحد على آخر، إلّا بعمله بتقواه. فالناس سواسية كأسنان المشط، ليس هنا قريب لله، ولا أولياء لله، كما كان يقول اليهود: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الجمعة ٦٢: ٦]. يريد الله سبحانه وتعالى رفض صفة الأولياء، بأنّه هناك جماعة هم أولياء لله، أو جماعة هم شعب الله المختار. لا شيء من هذا النوع، والدليل: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة ٥: ١٨]. ولو كنتم أولياء الله أو أرحام الله لما كان يعذبكم. فليس هناك طبقة أفضل من طبقة، ولا طبقة أخفّ من طبقة دون طبقة. مثلاً: فكرة المنبوذية في الهند الأنجاس، وفكرة الطبقات في أوروبا في القرون الوسطى، أو فكرة الطبقية بصورة عامّة، أي: أنّه هناك طبقة أقرب إلى الله وفوق القانون، وطبقة تحت القانون وأبعد، هذه الفكرة خاطئة من أساسها. فإذاً ليس للإنسان إلّا ما سعى، وأنّ سعيه سوف يرى. فإذاً البشر كلّ البشر واقفون في خطّ واحد، لا يتقدّم أحدهم إلى الله إلّا بمقدار ما يشتغل. وهكذا بالنسبة إلى الحالات والأنظمة والشعوب. شعب فقير، شعب متأخّر، شعب جاهل، شعب ←

← عالم، شعب منتصر. هل أراد الله لهم الانتصار؟ هل خصّ الله الشرق بشيء دون الغرب؟ هل أراد لفئة التأخّر دون فئة؟ كلّا! وحاشاه وتعالى عمّا يقولون، فجميع الحالات بالنسبة لله متساوية. أيّة حالة وصلنا إليها فبما كسبناها بأيدينا، فبما كسبت أيدينا. أيّ جهل أو تأخّر أو فقر أو سوء أو ذلّة فمن نتيجة أعمال أفراد المجتمع، وأيّ تقدّم أو انتصار أو علم أو كمال فبما عملوا من صنع أيديهم. الآيات الكريمة واضحة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد ١٣: ١١]، و﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الروم ٣٠: ٤١].

فإذاً السعادة الاجتماعية، والشقاء الاجتماعي، الفقر، المرض، الجهل، الهزيمة، والانتصار، والعلم، والثقافة؛ كلّ حالة في المجتمع هي نتيجة عملنا المباشر، ولا يفرض علينا شيء أبداً، إذا نحن ما أردنا.

هذا معنى التوحيد. من أين أخذنا هذا المعنى؟ من معنى أنّ الله أحد، الله صمد، لا انتساب له بأحد، لا يريد أن يفضّل هذا الشعب على سائر الشعوب، إلّا إذا هم أرادوا ذلك، إذا هم أرادوا أن يتقدّموا فيتقدّمون، وإذا أرادوا أن يتاخّروا فيتأخّرون.

هذا المعنى من التوحيد يُكوِّن روح الواقعية في الإنسان، وينشّط الإنسان في حقل العمل، حتّى يعرف أنّه كلّ ما يصل إليه فهو من نتيجة أعماله وأفعاله. فإذاً المجتمعات المتأخّرة هم أرادوها، خطأً أو عمداً، والمجتمعات المتقدّمة هم كوّنوها، عمداً أو خطأً، نتيجة لعمل الإنسان.

وهكذا إنّ الله ﴿أَحَدٌ﴾ لا ينتسب إلى زمان أو مكان أو شيء. فليس في الوجود سعد ولا نحس، ليس هناك شيء نحس كرؤية المعزى، ولا شيء سعد كرؤية الغنم. بعض الناس يعتقد أنّ الماعز نحس وأنّ الغنم غنيمة، الجرّة الفارغة نحس والملآنة سعد، يوم ثلاثة عشر أو سبعة عشر أو مساء الأربعاء نحس.. اسمعوا، لا يوجد شيء من هذا النوع، يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «من تطيّر وأمسك عن سفره فقد أشرك بالله العظيم».

التفاؤل موجود، التفاؤل بالخير؛ لأنّه سبيل لتشويق الإنسان وتنشيط الإنسان إلى العمل. لكنّ التطيّر غير موجود، «لا طيرة في الإسلام»، الحديث الشريف: «رفع عن أمّتي تسعة، أحدها الطيرة» التشاؤم. فإذاً الأشياء لا ذنب لها، فليس بين الأشياء سعد ونحس، وليس بين الأشياء أشياء تختلف عن سائر الأشياء، إلّا في خواصّها الطبيعية العلمية.

←

← وهكذا نرى أنّ معنى الأحدية والصمدية تتعدّى فكرة التجريدية، وتدخل في صميم حياتنا. فنحن نعيش في عالم الأسباب، في العالم العقلاني، كلّ الوجود خلق لنا: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾ [البقرة ٢: ٢٩]، ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف ٧: ٥٤]. كلّ شيء هو لنا، ولكن لكلّ شيء مفتاح، ومفتاحه العلم والعمل. يجب أن ندرس حتّى نصل إليه، بدون هذا لن نصل إليه.

فإذاً كلّ شيء، وكلّ شخص، وكلّ زمان، وكلّ مكان، وكلّ حالة، متساوية أمام الله. وليس فيه سعد ولا نحس، ولا قريب ولا بعيد، إلّا بمقدار ما تقوم به أنت. ولا يمكنك أن تعتمد على تاريخك، ولا على آبائك. سمعتم من الأخ الشيخ علي (حفظه الله) كلاماً عن أمير المؤمنين عليه السلام حينما يقول: «هل أنتم تفتخرون بالعظام النخرة»؟! هل أنتم تفتخرون بالأشخاص الذين ماتوا وأصبحت عظامهم نخرة؟! رسول الله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم يقول لابنته فاطمة عليها السلام: «اعملي لنفسك، فإنّي لا أغني عنك من الله شيئاً»! أأنا أعتزّ بعشيرتي؟ بأهلي؟ أأعتزّ بعنصريتي؟ أنا أبيض لا أسود! ما الفرق بين الأبيض والأسود عند الله؟ هل الله أبيض أو أسود؟! أبداً!! معنى الأحدية يرفض التمييز العنصري. عند الله الأبيض والأسود مثل بعض؛ لأنّه هو لا أبيض حتّى ينتسب إلينا، ولا هو أسود حتّى نقول: أنت أسود ينتسب إليك. فإذاً العنصرية والقبلية والعائلية أفكار مرفوضة في مفهوم الأحدية والصمدية.

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ﴾، جامع الكمال كما قلنا، وقمّة الأمثال. له الأسماء الحسنى والأمثال العليا. هو أحد، صمد، لم يلد، ولم يولد، وليس له كفؤ.

هذا المعنى من الله، هو المبدأ وهو المرجع خلقنا منه، وطريقنا إليه. فكلّ من سعى؛ في شخصه، في زمانه، في مكانه، في حالته؛ يتقرّب إليه: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات ٤٩: ١٣]. ولا فضل لأحد على الآخر، إلّا بتقواه، بجهاده، بعمله، بعلمه، كما يصرّح القرآن الكريم في هذه الموارد الأربعة.

هذا معنى سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. تقرؤها وتخلص لها، نقرؤها بألسنتنا وقلوبنا وعقولنا، ونعيشها عيشاً حقيقياً في ليلنا ونهارنا، حتّى يقوى عندنا شعور الثقة بالنفس، والثقة بالنفس في هذا المفهوم هي ثقة بالله.

فإذاً نحن لا نعتمد إلّا على أعمالنا، ونعتبر أنّ الله سبحانه وتعالى ـ كما قلنا ـ أقرب إلينا من حبل الوريد.

←

← هذا مفهوم مختصر موجز عن ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، الذي يرسم لنا صورة عن الله سبحانه وتعالى ، الصورة التي يجب أن نعرفها عقيدةً وفكراً وقلباً ، ونعيش هذه الفكرة في حياتنا العادية .

﴿بسم الله الرحمن الرحيم قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [سورة الفلق ١١٣ : ١ ـ ٥].

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ : الفلق : الفجر ، باعتبار أنّ الفلق يعني : الشقّ . وإذا لاحظتم الفجر ، فالنور نور الفجر يفلق الليل ولا يأتي دفعة واحدة . الفلق في الاصطلاح : الفجر . وهكذا يقول القرآن : ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ [سورة الأنعام ٦ : ٩٦]. فالفلق يعني : النور الذي يأتي بعد الظلام . فيقول لك القرآن : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ بربّ النور الذي يشقّ الظلام .

ويمكن أن يكون الفلق يعني : نور الحياة ، باعتبار فالق الحبّ والنوى ، باعتبار أنّ الحياة نور بعد العدم وبعد ظلام العدم . فـ : ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ، يعني : قل أعوذ بربّ الحياة التي هي كالنور يقضي على ظلمات العدم .

فإذاً لماذا تتعوّذون برجال من الجنّ ، الذين هم من المخلوقين ، والذين هم عاجزون ، والذين هم لا يملكون أمام ربّهم نفعاً ولا ضرّاً ، ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً ؟ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ توجيه للعادة ، وتصحيح للخطأ الشائع .

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ : ومن أولى من خالق الخلق أن تعوذ به من شرّ خلقه ؟!

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ : الغاسق : الظلام الدامس ، ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء ١٧ : ٧٨]، يعني : ظلام الليل . وقب : يعني : ثقل ودخل . نعوذ بالله وبربّ الفلق من شرّ الخلق كلّه ، ومن شرّ الليل الدامس . أليس الليل من المخلوقات ؟ بلى ! فلماذا خصّ الليل بالذكر الصريح ؟ لماذا خصّ القرآن الظلام ؟ لأنّ الظلام ستر لمن في قلبه مرض ، ولأصحاب الشرور . فالسرقات والمؤامرات وخلق المتاعب والمكائد والمشاكل كثيراً ما تحصل في الليالي الغاسقة الحالكة . فحينما نقول : ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ، نقصد الشرور التي تتكوّن بالليل ، والتي لا يعرف الإنسان مصدرها ، ووقتها ، وساعة تكوينها ، وساعة توجيهها ، فحينئذٍ نعوذ بربّ الخلق الذي ليس أمامه الليل والنهار ، والذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، والذي لا يعزب من علمه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء ، والذي يرى الليل كما يرى النهار ، ويرى في الظلمات ←

← ما يرى في النور. نعوذ به من شرور الخلق بصورة عامّة، ومن شرور الليل والظلام بصورة خاصّة.
هنا وفي ظلّ الآية فقرتان أساسيتان، أرجو الانتباه إليهما: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: التفسير اللفظي لكلمة النفّاثات، جمع نفّاثة، نفّاثة قد تستعمل للامرأة التي تنفث وتنفخ بشيء من البلل في العقد، والعقد، جمع عقدة. فنفّاثة في العقدة، يعني: المرأة التي تأخذ العقدة، والعقدة واضح، ثمّ تنفث فيها. ويمكن أن يكون النفّاثة صيغة مبالغة مثل علّامة وفهّامة، فيصدق على الرجل والامرأة على حدّ سواء. فنفّاثة يعني: كلّ من يكسر النفس. حسناً! كيف أصبح المعنى؟ نحن نعوذ بالله من شرّ النفّاثات، النساء أو الرجال الذين يكسرون النفس في العقد.
ولهذه الفقرة تفسيران: التفسير الأوّل: وهو التفسير الشايع، هو: معنى السحر والعقد والشعوذات وخلق المشاكل للناس. نحن نعتقد أنّ السحر هو سيطرة على الإحساس والشعور، كما يقول القرآن الكريم في قصّة النبي موسى عليه السلام وقصّة مقابليه من السحرة: ﴿فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ [طه ٢٠: ٦٦]، يخيّل إليه! يعني: الحبال والعصي التي كان السحرة هيّأوها، ما كانت تسعى بالفعل، يخيّل إلى الناس أنّها تسعى. ولهذا يقولون: إنّ السحر هو السيطرة على أعصاب المسحور، على أعصاب الناس، كأنّهم ينظرون إلى الشيء وقد وقع، وما وقع في الحقيقة. هذا السحر يستمرّ من الأحياء في كثير من الأوقات. من باب المثل ـ ولو كان المثل قبيحاً ـ ولكنّه أمر شايع، رجل يتزوّج، فيشعر بعجز جنسي، العجز الجنسي يكون مع كثير من الناس طبيعة، ضعف في الأعصاب أو خلق أو مشكلة، لبعض أنواع الضعف الجنسي علاج والأطبّاء يعالجون، وبعض أنواع الضعف الجنسي إلى الآن ليس له أيّ علاج، ولكن سوف يأتي العلاج حتماً؛ لأنّ الطب يتقدّم، كلّ يوم يكتشف المجهول. فهذه الحالة مثل كلّ الحالات عجز نفسي ومرض عصبي، ولكن هذا المرض يتعقّد حينما يشعر حامله بالإيحاء النفسي أنّه كتب له كتاب وعقد الأمر، وحينما يشعر بهذا الموضوع يزداد هذا الضعف. أصل الضعف عصبي غالباً، فيزداد ضعفه وعجزه ويظنّ ويتخيّل أنّه كتب وعقد. حينئذٍ يتوسّل إلى الدجّالين والمشعوذين أصحاب الآراء الباطلة والضالّين والمضلّلين، ويستمدّ منهم حلّ العقدة. نحن لا نعتقد بهذا، نعتقد أنّه رجل مريض، ثمّ من جرّاء الإيحاء النفسي ازدادت العقدة عنده، ←

← فطريق علاجه أنّه يعوذ بربّ الفلق، ويعوذ بالله، ويؤمن بأنّ الإنسان لا يملك أمام ربّه شيئاً، وأنّ الإنسان لا يتمكّن أن يضرّ الإنسان إذا لم يرد الله؛ حتّى يعالج إيحاءاته النفسية، ثمّ من الناحية العضوية والعصبية يجب عليه مراجعة الطبيب، فيعالجه.
يشير القرآن الكريم إلى هذه العادة النفّاثات في العقد، النساء أو الرجال الذين ينفثون في العقد، ويخلقون مشاكل خيالية وافتراضية إيحائية للناس. فقل: أعوذ بربّ الفلق؛ حتّى تنجو من إيحاءاتهم ومن مشاكلهم، فما أكثر مشاكل هؤلاء وجرائمهم! أنا شخصياً شاهدت مآسي كثيرة من هذا النوع بالنسبة إلى المراجعات التي تحصل عندي. أنا شاهدت عائلة كانت تعيش في أحسن الحالات وأطيب الصلات؛ انهارت وأدّت إلى موت الرجل نتيجة لقول المشعوذين وكتابة هذه الطلاسم والمسائل. مأساة لا أنساها أبداً، وما أكثر أمثالها من الشعوذات! فأنتم تأكّدوا أنّ هذا إيحاء، وأنّ هذا لا أصل له، وإذا شعرتم بشيء من التخوّف فاقرأوا المعوذتين، واقرأوا سورة الفلق، وتأكّدوا أنّهم لا يتمكّنون من أن يسيطروا عليكم إذا استعذتم بربّ الفلق، وأنّ الضعف ككلّ ضعف، وأنّ المرض ككلّ مرض، يجب أن يرجع الإنسان إلى الخبير فيه، وهو الطبيب. هذا المعنى الأوّل الشايع.
هناك روايات كثيرة؛ أنا أكّدت لكم في الليلة الأولى أنّ ما نقول من التفسير ليس هو كلّ القرآن، فالقرآن له معانٍ كثيرة، ولعلّ له معانٍ لا نفهمها، وحتماً له معانٍ عميقة، سوف تتبيّن وتظهر للبشر في المستقبل، نحن لا نعرفها. أنا أقول ما أفهمه من القرآن الكريم، ولا أنكر ما كتب أو سوف يكتب في التفاسير.
أمّا التفسير الثاني لقوله: ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، التفسير القريب إلى قلبي، والذي كنت أعتبره إلى هذه الليلة أنّه من اكتشافاتي، ولكن راجعت تفسير الإمام محمّد عبده (رحمة الله عليه)، فوجدت أنّ هذا الأمر له، وقد سبقني وسبق كثيراً من الناس مفسّرين وغير المفسّرين في هذا الأمر، وفي كثير من الأمور (قدّس الله نفسه). محمّد عبده يقول: «النفّاثة في العقد، كناية عن النمّامين، والمغتابين، والمفسدين، والمفتنين، والأشخاص الذين يحاولون بقولهم ودمدمتهم وتمتمتهم ووساوسهم أن يعقّدوا أمور الناس، وأن يحلّوا عقد الصداقة والأخوّة بين الناس». ثمّ يقول: «ألا تنظر إلى النمّام، يأتيك فيتكلّم ما تظنّ أنّه صادق فيه؛ لأنّهم يعرفون نفسيتك، فيأخذون من صديقك كلمة أو إشارة أو عتاب، ويبرزونها، ويبلورونها، ويكثّرونها، ويضيفون من عندهم أشياء، وينقلونها لك، وأنت ترى
←

← في هذا الحديث كلام صديقك، لأنّه فيه زاوية مأخوذة من كلام الصديق، ثمّ يذهب عند صديقك الآخر، فينقل عنك مثل ما نقل لك. وبهذه الطريقة يحلّ ويفكّ عقدة الصداقة بينك وبين صديقك. وهكذا يعملون بين الرجل وامرأته، بين الأخ وأخيه، بين الصديق وصديقه، بين الناس بعضهم مع بعض. فيحرّفون الكلام، ويجعلون خلافات بين الناس. وهؤلاء أخطر ما خلق الله من البشر: المغتاب، والكذّاب، والناقل لما سمع، والمنافق، والنمّام، والمفتن، هؤلاء هم الذين يحلّون عقد الناس وصلات الناس؛ لأنّ المجتمع يعيش عقوداً والتزامات، العقود والالتزامات: عقود الأخوّة، والصداقة، والزوجية، والزمالة، وعقود المشتري والمبيع، وأمثال ذلك، هؤلاء يحلّون؛ بتمتماتهم، وكلماتهم ووساوسهم ونفخاتهم ونفثاتهم؛ يحلّون هذه العقد ويفكّونها».

لماذا عبّر عنهم بالنفّاثات في العقد؟ يقول الإمام محمّد عبده: «لأنّه في أيّام الجاهلية كانوا في بعض الحالات مثل عقدة الرجال، هناك دجّالون يضعون عقدة من الخيط، ثمّ يقرأون ترانيم، ثمّ صلاة، فينفخونها في هذه العقدة، ويفكّونها، ويقولون: انفكّت العقدة! اذهب فقد انتهت المشكلة! وبهذا يوحون إلى الشخص، فيظنّ أنّه انفكّت العقدة. والحقيقة أنّه ما كانت هناك عقدة، وإنّما كانت عقدة إيحائية: تخوّف شعور، ضعف في الأعصاب، وانحلّت بالإيحاء. فلأنّهم كانوا ينفثون فيحلّون العقد، يشبّههم الله بهؤلاء الذين يتكلّمون وكلامهم نفث لا أكثر ولا أقلّ، فيحلّون العقد بين الأخوة وبين الأصدقاء وبين الناس».

﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾: هؤلاء الذين يفرّقون بين الناس، نحن نعوذ بالله وبربّ الفلق من شرّهم. وهذا شرّ من أخطر الشرور البشرية، ولهذا خصّه الله بالذكر مع ما في أوّل الآية، حيث قال: ﴿شَرِّ مَا خَلَقَ﴾، يشمل الكلّ. ولكن ـ كما قلنا ـ خصّ الليل تخصيصاً خاصّاً بالذكر، أيضاً خصّ النفّاثات في العقد تخصيصاً خاصّاً في الذكر.

والنقطة الثالثة في الحقيقة، أو الشرّ الثالث، بعد شرّ الليل وشرّ النفث، يأتي شرّ الحسد: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾. والحسد وأخطار الحسد لا تخفى عليكم. ولكن هناك بعض النقط حول الحسد أذكرها لكم.

في الحديث الشريف: «إنّ الحسد يأكل الحسنات، كما تأكل النار الحطب»، وهو من أفسد وأسوأ وأعظم ذنوب العباد، وجاء في الحديث: «إنّ الحاسد كالكافر»، كالمنكر، كالمعترض لخلق الله، وأنّ الحاسد لا يتمكّن أن يحمل ما أعطاه الله لعباده: الله أنعم على ←

→ فلان !! الله وهب فلاناً علماً أو مالاً أو نجاحاً أو حظّاً أو ثباتاً !! فبدلاً من أن استسلم لإرادة الله، أحسده !! يعني: اعترض وأناقش بقلبي عمل الله ونعمة الله على هذا الرجل، فمن أشدّ الذنوب، الحسد وخطره كثير. كما تعلمون أنّ الحاسد لا يمكن لإنسان أن يغفل عنه ويتجاهله؛ لأنّ العدوّ الذي يكون للإنسان بصورة طبيعية داخلية يكون للإنسان بالمرصاد. هذا خطر عظيم، ولكن ـ كما تعلمون ـ تجاه الحسد لا يمكن أن يصدر من الإنسان علاج. ماذا تفعل مع الحسود؟ أتعطيه المحبّة؟ فيحسدك أكثر! أتعطيه من نعمتك؟ فيزداد حسده! أتحترمه؟ تشتعل نار حسده أكثر! لا علاج له إلّا أن تتوسّل إلى الله إلى ربّ الفلق حتّى ينجّيك من شرّه!

وجدت في بعض الكلمات بيتين من الشعر جميلين جدّاً، ولكن مع الأسف لا ذاكرة مثل ذاكرة مولانا الشيخ علي، حتّى يستعرض عشرات الأبيات، يقول هذا الشعر، وهو لأبي الحسن التهامي، هذا الشاعر المعروف صاحب الرثاء المعروف، لعلّه أحسن الرثاء في اللغة العربية، لرثاء ابنه، هذا الرثاء الذي يبدأ بالشعر بالمعروف:

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار

هذا معروف، وفيه حكم ومواعظ عالية جدّاً، ثمّ يكمل:

الموت نوم والمنية يقظة والمرء بينهما خيال جاري
بينا يرى الإنسان فيها مخبراً حتّى يرى خبراً من الأخبار

حتّى يصل إلى هذا البيت المعروف أيضاً، يخاطب ابنه المتوفّى، فيقول:

جاورت أعدائي وجاور ربّه شتّان بين جواره وجواري

ثمّ يقول هذين البيتين:

إنّي لأرحم حاسدي لفرط ما ضمّت صدورهم من الأوغار

هذا البيت هو محلّ الشاهد:

نظروا صنيع الله بي فعيونهم في جنّة وقلوبهم في النار

لا شكّ أنّ عينهم تنظر إلى النعمة، تنظر إلى الجنّة، قلبهم محروق، وقلوبهم في النار.

وهناك نقطة أخيرة في كلمة ﴿إِذَا حَسَدَ﴾، أرجو الانتباه إليها أيضاً، نقطة تربوية عظيمة: كثيرون منّا، لعلّه بحسب طبعه، يشعر بالحسد، ولا يلام؛ لأنّه من الخلق. قد يكون الإنسان ضعيف الإرادة، وقد يكون الإنسان ضعيف البصر، وقد يكون ضعيف النطق، وقد يكون ←

← الإنسان ضعيف الصوت، وقد يكون الإنسان بحسب طبيعته حسود بالوراثة أو بالبيئة أو بالتربية، فيشعر بقلبه بالحسد. ما ذنب هذا الرجل؟ هكذا خلق، يجب أن يعالج نفسه. كيف يعالج نفسه؟ بكبت الحسد. يعني: إذا حسد شخصاً ولم يمارس حسده ولم يتّبع مقتضيات حسده؛ يعني حسده يسلّطه بأن يحكي على المحسود وأن يتآمر على المحسود، بأن يخلق صعوبات للمحسود؛ إذا لم يطع حسده، لم يمارس مقتضيات حسده، فحسده يضعف، يضعف، يضعف، حتّى يموت. الحسد بالكبت يموت، دون سائر الأشياء. هناك أشياء، مثلاً مثل الفطرة، مثل الغريزة الجنسية، مثل الغريزة المدنية في نفس الإنسان، إذا كبتت لا تموت، تتحوّل إلى العقل الباطن، فتخلق صعوبات ومشاكل أخرى للإنسان.
هذا في ما هو من طبيعة الإنسان، أمّا فيما هو من خارج طبيعة الإنسان؛ كالأمراض مثل الحسد، وأمثال ذلك، مثل الجبن مثلاً، مثل البخل، مثل السرساب مثلاً، الأشياء التي هي مرض في فطرة الإنسان، إذا كبتناها تموت، وتذبل وتنتهي. ولهذا في الحديث الشريف: «رفع عن أمّتي تسعة»، الشيء التاسع: الحسد إذا لم ينفق في شيء. الحاسد الشخصي الذي في قلبه حسد إذا لم يتكلّم ضدّ الحسود، إذا لم يمارس حسده، إذا لم يتآمر، إذا لم يفعل فعله ضدّ المحسود؛ فحسده يضعف، يضعف، ويموت. وهو ليس معاتباً على هذا الحسد، بل الله يرحمه بلا شكّ ويعالجه من هذا المرض. والقرآن الكريم يشير إلى هذا في هذه الكلمة: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، لكن إذا لم يحسد لا شرّ له طبعاً، إشارة إلى أنّ الحسد شرّ وفساد وفتنة، يجب أن يستعيذ بها إذا ما مارسه صاحبه.
أمّا إذا لم يمارس، يعني: سيزول. وهكذا يعالج القرآن الكريم بصورة تربوية مشكلة الحسد، وينذر الحاسد بأنّك إذا مارست حسدك، إذا حكيت على المحسود؛ تعاقب ويزداد حسدك، ولا تشفى، ولا تتعالج. إذا تريد أن ترتاح اسكت، لا تشكّل صعوبة، لا تقف، امشِ، واطلب من الله أن يعالجك، أن يشفيك.
فإذاً قل: ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ خالق الخلق، وباعث النور، نور الصباح بعد ظلام الليل، ونور الحياة بعد ظلمات العدم، من شرّ ما خلق بصورة عامّة، نعوذ بربّ الفلق، ولا نعوذ بشخص أو جنّ أو موجود، نعوذ به من شرّ ما خلق جميعاً، ونخصّ بالذكر شرور الليل، وشرور النميمة والفساد والفتنة، أو شرور الشعوذة والسحر، والثالث شرور الحسد، نعوذ بربّ الفلق من كلّ شرّ، وخاصّة من هذه الشرور الثلاثة. وفي الأحاديث الكثيرة: أنّ أفضل طريق ←

عديدة، طبع محقّقاً من قبل السيّد حسين شرف الدين، ونشر أيضاً عن طريق (مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات) عام ١٩٩٩م في لبنان.

٧ ـ الإسلام والتربية الدينيّة.

٨ ـ الإسلام والتطوّر.

٩ ـ الإسلام والمرأة.

١٠ ـ الإسلام والعبادات.

١١ ـ تأمّلات حول بحث تعاليم الإسلام.

١٢ ـ المعاملات الجديدة في ضوء الفقه الإسلامي.

وغيرها من المؤلّفات والآثار العلميّة والفكريّة التي خلّفها الإمام موسىٰ الصدر وراءه.

إضافة إلىٰ هذه المؤلّفات، فقد قام الإمام موسىٰ الصدر بكتابة مقدّمات وديباجات لبعض الكتب المهمّة التي أُلّفت في زمانه، نشير إلىٰ بعضها:

١ ـ مقدّمة علىٰ كتاب «تاريخ الفلسفة الإسلاميّة».

تأليف البروفيسور الفرنسي هنري كوربان[١]. يشيد الإمام الصدر في

← للنجاة من شرور الخلق، ومن شرور النفّاثات في العقد، ومن شرور الحاسد، ومن شرور الليل، أفضل وسيلة، هي قراءة المعوذتين.

كلّ منّا ينصح أصحابه الذين يعانون من هذه الشرور الشيء الكثير أن يقرأوا المعوذتين، أن يقرأوا ويفكّروا فيهما، فحينما نصبح أو نمسي، إذا قرأنا هاتين السورتين، في قلوبنا وعقولنا وألسنتنا نطمئن ونشعر ـ حسب تفكير أحد كبار المفسّرين ـ بأنّنا في ظلّ منيع وارف، مطمئنين؛ لأنّنا في ظلّ ربّ الفلق وربّ الناس، وليس فوق يد الرب يد أبداً، بل كلّ ما في الكون والوجود مخلوق له وتحت تصرّفه وصغير عنده. فإذا كنّا في حمى ربّ الفلق وربّ الناس فلا يتمكّن أحد أن يمسّنا بسوء، شرط أن نكون في ظلال ربّنا بألسنتنا وبعقولنا وبقلوبنا، حتّى نطمئن ونرتاح من جميع هذه الشرور والآثار.

(سايت: www.amal-mouvement.org).

(١) هنري كوربون: مستشرق فرنسي معروف. ولد في باريس سنة ١٩٠٣م، وحصل على

مقدّمة ذلك الكتاب بالأهميّة التي يوليها المؤلّف لباطن وحقيقة الإسلام، وللرموز القرآنيّة، ثمّ يدخل بتفاصيل تلك البحوث، مؤكّداً علىٰ أهميّتها.

ويركّز علىٰ بعض المسائل الاعتقاديّة، مثل الإمامة والولاية في مفهوم الإسلام، والفرق بين التصوّف والتشيّع، ومعنىٰ القطب والإمامة، وحول الإمام المهدي.. مبدياً وجهات نظره، ناقداً لبعض الاعتقادات التي يذكرها المؤلّف، وقد تكون في كثير من الأحيان عارية عن الصحّة.

وترجم هذا الكتاب من الفرنسيّة إلىٰ اللغتين العربيّة والفارسيّة، ترجمه إلىٰ العربيّة كلّ من نصير مروّت وحسن قُبيسي، ومقدّمة الإمام موسىٰ الصدر مذكورة في الترجمة العربيّة.

٢ ـ مقدّمة علىٰ كتاب «شرح حديث الغدير».

وهذا الكتاب من تأليف المرحوم آية الله السيّد مرتضىٰ خسرو شاهي[١]، ومقدّمة الإمام موسىٰ الصدر معنونة بعنوان: «من ماضي الغدير» في إحدى عشرة صفحة، تناول فيها موضوع الغدير والخطّ التاريخي والاعتقادي، كما يراه المؤرّخون والمفسّرون والمحدّثون والمتكلّمون وأهل اللغة.

← الليسانس (الاجازة) في الفلسفة من جامعة السوربون، وحصل كذلك على عدّة دبلومات من جامعة باريس، واختير أستاذاً لكرسي الإسلاميات في جامعة السوربون، ورئيساً لقسم الدراسات الإيرانية في معهد وزارة الخارجية بطهران. توفّي سنة ١٩٧٩م. من جملة آثاره: كشف المحجوب، إيران واليمن، الصلات بين حكمة الإشراق وفلسفة إيران القديمة، في أرض الإسلام الإيرانية. (معجم أسماء المستشرقين: ٥٨٦ ـ ٥٨٧).

(١) مرتضى بن أحمد الخسرو شاهي: فقيه أصولي وعالم مجتهد ومؤلّف متتبّع. ولد في النجف الأشرف، وتتلمذ على: الشيخ محمّد حسين النائيني، والشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي، ثمّ عاد إلى تبريز، وتصدّى للتدريس والبحث والتأليف والإمامة والخطابة. من جملة تصانيفه: إمطار الدرّ في مقدار الكرّ، شارات الكواكب على خيارات المكاسب، مختصر الكلام في حكم السلام، ذروة السعادة في نيّة العبادة. توفّي سنة ١٣٧٦ هـ. (معجم رجال الفكر والأدب ٢: ٤٩٦، مع علماء النجف الأشرف ٢: ٤٧٥ ـ ٤٧٦).

٣ـ مقدّمة علىٰ كتاب «فاطمة الزهراء ﷺ».

وهذا الكتاب للكاتب والأديب اللبناني القدير سليمان كتّاني.

تناول الإمام الصدر في مقدّمته التي نـاهزت العشـرين صـفحة شـخصيّة الزهراء ﷺ بالبحث والتدقيق.

وفي السياق وبصورة مختصرة تطرّق إلىٰ مواضيع، من قبيل: مكانة المرأة في الإسلام، والمساواة في الحقوق بين المرأة والرجل.

حقّق فيه الأحاديث والروايات التي وردت بشأن تقبيح المـرأة ومـنزلتها بأُسلوب تحقيقي، كما تناول فلسفة الحجاب في الإسلام.

٤ـ مقدّمة علىٰ كتاب «القرآن والعلوم الطبيعيّة».

للكاتب يوسف مروّت.

إضافة إلىٰ الموارد المذكورة، فهناك عشرات المحاضرات والمـقالات(*)

(*) أنقل في مقامي هذا مقالاً للإمام الصدر، عنوانه: «الإسلام والأُسرة في مجتمع متطوّر»..

١ـ التطوّر:

إنّ التطوّر هو نتيجة التفاعل المستمرّ بين الإنسان وبين الكون المحيط به، وليس ناتجاً عن حدوث عنصر جديد في مسرح حياته، ولا عن غياب عنصر عنه.

إنّ الإنسان يبحث، فيقرأ سطراً من كتاب الكون، فيطلّع على عنصر جديد، أو طاقة جديدة، أو على صفة جديدة في الشيء الذي يعرفه، وعند ذلك يحاول أن يستفيد من علمه الجديد في سبيل تحسين وضعه ليستعمل الجديد، ويطوّر حياته، والكون المحيط به، ويتطوّر هو أيضاً، ثمّ ينطلق من المرحلة الحياتية الجديدة للبحث عن جديد آخر، وهكذا. والجديد في حياة الإنسان ينتقل من حقل إلى حقل، فيحصل تفاعل آخر بين مـختلف قـطاعات حياته، ومنطلقات جديدة للتحرّك والتطوّر.

٢ـ الإسلام والتطوّر:

والإسلام دين الفطرة وشريعة الخلق، فلا يمكن أن يعترف بالجمود، بـل يـدعو للـتطوير والتكامل. ويوجّه التطوّر هذا بطريقين:

الأوّل: إنّ بقاء كلام الله (القرآن الكريم) بين الأُمّة، وهو وحي نصّاً وروحاً، يعني: أنّ أيّ فهم ←

← جديد للقرآن وفي أيّ مستوى كان هو صحيح ، عندما يحصل حسب القواعد المعتمدة في الكلام ، ويمكن اعتماده والتمسّك به في تنظيم شؤون الحياة .
وفي كلام الإنسان لا يمكن اعتماد هذه القاعدة ؛ لأنّ الإنسان يعبّر عن مستوى ثقافي معيّن لا يمكنه تخطّيه ، ولذلك لا يجوّز فهم كلامه إلّا في حدود مستوى ثقافته .
فالخلود والتطوّر في الإسلام مرهونان بإلهية الكلمات القرآنية ، التي تقف متوازية إلى جانب الإنسان والكون ، وتقدّم توجيهاً محدّداً حسب التفاعل المتجدّد في الإنسان والكون . ويمكن استمرار التفاعل بين الإنسان وبين القرآن بالفهم المتجدّد بموازاة التفاعل بين الإنسان والكون بالتطوّر .
الثاني : وفي صميم التعاليم الإسلاميّة أحكام خاصّة لتطوير العقود والأحكام ، أمثال الروط التي يمكن إيرادها ضمن العقود ، والتي تغيّر صورتها .
٣ ـ الأُسرة والمجتمع :
إنّ الأُسرة تشكّل جانباً مهمّاً من حياة المجتمع البشري ، وتتفاعل مع المجتمع بصورة متقابلة ، فتتأثّر بالتطوّرات الاجتماعيّة (اقتصادية وسكنية وغيرهما) ، وتؤثّر في المجتمع بدورها ، حيث تنعكس حالات الأُسرة وأحداثها على المجتمع الكبير . ولذلك فإنّ دراسة هذا الموضوع لها بعدان متقابلان : تأثير المجتمع المتطوّر على الأُسرة ، وتأثير الأُسرة على المجتمع .
٤ ـ الإسلام والأُسرة :
في رأي بعض الباحثين أنّ المجتمع في نظر الإسلام يتكوّن من وحدات ، وكلّ وحدة هي الأُسرة ، وليست الفرد ، كما أنّ المجتمع ليس الوحدة التي تتجزّأ إلى الأفراد أو الأُسر أو الطبقات . والحقيقة أنّ مقام الأُسرة وتأثيرها في المجتمع في رأي الإسلام كبير جدّاً حتّى عند من لا يلتزم بهذا الرأي ، ويكفي إثباتاً لذلك الحديث الشريف : « ما بني في الإسلام بناء أحبّ عند الله من الزواج » .
٥ ـ الأُسرة في مجتمع متطوّر :
يمكن تحديد المعالم الأساسية للأُسرة في مجتمع متطوّر معاصر في النقاط التالية :
الأُولى : الحاجات المتزايدة في مختلف شؤون الحياة ، والتي تتطلّب مزيداً من الجهد لأجل تأمينها ، فيضطرّ الرجل إلى تطوير عمله ، أو تغييره ، أو النزوح إلى المدينة أو العاصمة ، أو ←

← الهجرة، وتضطرّ المرأة في بعض الأحيان لأن تعمل..
وهذه العوامل تنعكس بصورة واضحة على حياة الأُسرة والعلاقات الأُسرية، بالإضافة إلى أنّ مجرّد تزايد الحاجات أيضاً من عوامل تغيير هذه العلاقات.
إنّ الوقت المطلوب لزيادة النشاط، وغياب الرجل في حالات الهجرة أو النزوح، وتغيّر الظروف عندما تهاجر أو تنزح الأُسرة، وهكذا غياب المرأة عن البيت وبقاؤها في أجواء عملها، واستقلالها الماديّ، وغير ذلك من المؤثّرات، لها مفعول عميق في العلاقات الأُسرية، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.
٦ـ العلاقات الأُسرية وحركات الشبيبة:
إنّ العلاقات الوالدية تهتزّ بصورة رهيبة في الظروف المذكورة، حيث إنّ الطفل الذي يشعر بحاجة إلى الرعاية الدائمة المطلقة، يرى نفسه في رعاية بديلة عن الوالدين (من شخص أو مؤسّسة)، والرعاية هذه تحصل مقابل ثمن ما. أمّا رعاية الأبوين فلا تحصل إلّا في بعض الأوقات وفي حدود معيّنة.
إنّ الطفل يفتقد في مثل هذه الظروف صفة الإطلاق في والديه، وبالنتيجة يرى الوجود العامّ المتمثّل في وجودهما محدوداً نسبياً وسطحياً.
ويتقلّص مقام الوالدين ومقام الوجود كلّه في نظر الطفل وفي مشاعره، فيراه الطفل محدّداً مثمّناً، وتهتزّ العلاقات الوالدية، وتهتزّ العلاقات بين جيل الطفل والجيل السابق من خلاله.
وهكذا نجد تفسيراً للحركات العنيفة التي يمارسها الجيل الصاعد في عصرنا، حيث إنّ الأجيال المتعاقبة كان يرتبط بعضها ببعض لا بالرباط الفكري وبالوحدة العقلانيّة، إذ أنّها كانت دائماً مفقودة، بل إنّ هذا التفاوت في التفكير والمنطق هو السبب الأساسي للتكامل والخروج عن الجمود. ولكن الجيل الصاعد المغاير منطقياً وعقلياً للجيل الذي سبقه، كان يرتبط به بمشاعر عاطفية متينة، حيث كان يجد فيه الإطلاق في العطاء، فكانت الأُمّ مثالاً للعطاء الدائم الشامل العميق، للعطاء اللا محدود، وكذلك الأب والمعلّم والطبيب وغيرهم، وكان الطفل ينمو من خلال هذه الصورة الجذّابة عن الحياة وعن الماضي، ينمو الطفل مسحوراً مجتذباً يمتلأ وجوده بمشاعر الحبّ والاحترام، ويرتبط برباط وثيق من الوفاء والشعور بالمسؤولية.
وهذا الترابط العاطفي القلبي، إلى جانب التغاير العقلاني، هو الذي يجعل الأولاد مكمّلين ←

← لدور الآباء. إنّهم مجدّدون، ولكنّهم يشكّلون استمراراً لوجود الأجيال السابقة.
وفي الخط الأفقي، حيث العلاقات الزوجية، تظهر المشكلة التي لاحظناها في الخط العمودي وفي العلاقات الوالدية.
إنّ التباعد الزماني والمكاني، والتهاء كلّ من الزوجين بعمله الخاصّ وبأجوائه الخاصّة، وتقليص العطاء الزوجي بمعناه الشامل، وما يرافق هذه العناصر من تصرّفات وانطباعات، تجعل العلاقات الزوجية مهزوزة، والثقة ضعيفة، والتفاهم قليلاً.
إنّ نموّ الفرد في الأسرة بمعزل عن الآخرين، نموّاً عقلياً واجتماعياً، يجعل التفاوت بين أفرادها ينمو، فتحدث هوّة تتعمّق باستمرار بين الزوجين أنفسهما وبين الأولاد.
ـ المشكلة من أساسها:
والحقيقة أنّ المشكلة هذه لا تقف عند حدود العلاقات الوالدية والعلاقات الزوجية، بل تقتحم العلاقات الاجتماعيّة كلّها، فتعطي صورة خاصّة عن المجتمع، تقوم العلاقات بين أفراده على أساس عطاء محدود ومثمّن، وتجعل التفاعل بين الأفراد، التفاعل الذي هو حقيقة المجتمع، تجعله تفاعلاً آلياً غير إنساني وبلا روح.
والسبب الحقيقي لهذه المشكلة هو اعتماد المادّة والماديّة قاعدة لبناء الحضارة، وعزل ما وراء الطبيعة عن التأثير في الحياة، كما ارتآه بناة الحضارة الحديثة.
إنّ المادّة لا يمكن أن تكون مطلقة، ولذلك فالعطاء البشري الذي هو صلته ببني نوعه، والذي هو أساس تكوين مجتمعه، هذا العطاء قائم على أساس مادّي، فهو نسبي ومحدود حيث ينطلق من دافع مادّي ومحدود. فكلّ فرد يقدّم لمجتمعه عملاً يتحدّد بنسبة الأجر الذي يأخذه من مجتمعه، وبمقدار المنفعة التي تعود إليه.
إنّ هذا المجتمع يعيش كلّ فرد فيه غريباً يرتبط مع الآخرين بحسب منافعه المشتركة معهم، فالمجتمع شركة تجارية كبيرة تضمّ شركات أصغر منها باسم الأسرة والعائلة والطبقة والصداقة والوطن والأمّة.
وفي هذا المجتمع يصبح التباعد الزماني أو المكاني خطراً على الأسرة، وسبباً لاهتزاز العلاقات، حيث التفاعل يتقلّص، والمصالح المشتركة تتضاءل من أجل مصالح أخرى مشتركة بين أفراد الأسرة والآخرين.
٨ ـ رأي الإسلام هنا:

←

← إنّ المجتمع الذي يقترحه الإسلام هو المجتمع الإنساني الحيّ الذي يرتبط الأفراد فيه بعضهم ببعض من خلال عطاء مطلق لا يحدّد ولا يثمّن.

إنّ العمل هنا رسالة يجب تحقيقها ببذل كلّ ما في طاقة الفرد، فهو قطعة من وجود الإنسان ذابت، فتحوّلت إلى العمل. والعمل حي مثل الإنسان، عبادة، لا يمكن تجميده ولا تثمينه.

والمجتمع الذي يتكوّن من هذه الأعمال وهذه العلاقات مجتمع حي، كمثل الجسم الواحد، على حدّ تعبير الحديث الشريف. والعمل بهذه الصورة ينبع من الإيمان بالمطلقات وبالقيم التي لا ينفصل الإيمان بها عن الإيمان بالله.

والمؤمن بالله يهدف من خلال عمله إلى هدف أسمى، هو كماله. ولذلك فنّ عمله هو حركته التكاملية نحو الأفضل، ولا يقصد من خلاله الوصول إلى الأجر الذي يقدّمه له مجتمعه، بل الأجر هذا هو واجب مجتمعه تجاهه، وليس ثمناً لعمله.

وهنا نشعر بالصورة التي يرسمها الإسلام للمجتمع، إنّه موجود حي وواحد متماسك الأجزاء، وليس شركة وشركاء ومتحالفين.

ومن خلال صورة المجتمع وتبيّن أدوار جميع الأفراد المطلقة، نتلمّس دور الأُمومة والأُبوّة المطلقة، فنصل إلى علاج المشكلة المطروحة.

إنّ الوالدين اللذين يقومان بدورهما بصورة رسالية ومطلقة، وإلى درجة التفاني في خدمة الطفل، الوالدان هذان يغمران مشاعر الطفل ويملآن عقله إيماناً وقلبه حبّاً ووجوده رعاية، ويعيش الطفل وينمو في هذا البحر المتدفّق مؤمناً ملتزماً مكمّلاً لرسالة والديه وفياً لعطائهما ولجيلهما.

والزوجان أيضاً يشكّلان وحدة متكاملة خلال العطاء المطلق الرسالي، الذي يقدّمه كلّ منهما للآخر، ويقدّماه معاً للأولاد.

المهمّ هو نوعية العطاء، لا حجمه، ولا كميّته، فالمشكلة لا تحصل في الأساس.

٩ ـ وتدابير إسلاميّة أُخرى:

ويضع الإسلام لتطبيق هذا المبدأ أُطراً في باب العلاقات الأُسرية: لكي يضمن بقاءها، ويصون الآيديولوجية الاجتماعيّة العامّة التي بحثنا عنها. فيفرض على الوالدين رعاية الأولاد بشكل الحضانة والولاية والتربية، ويؤكّد أنّ تربية الطفل تعادل رسالة الإنسان في حياته، حيث يكون الفرد من خلال تربية طفله مثالاً لنفسه يحمل الرسالة، ويوجب على ←

← الولد الإحسان والاحترام بالنسبة إلى والديه، ويعتبر بيت المرأة مسجدها، وحسن التبعّل جهادها، ويعطي لعملها في البيت ولخدمة أولادها وزوجها طابع القداسة وعنوان السجود وثواب الجهاد. ويصعّد الإسلام تشجيع الأمّ في العطاء، حتّى يعتبر أنّ: «الجنّة تحت أقدام الأمّهات»، ويضيف تعاليم لتنظيم العلاقات وتحديد واجبات الرجل تجاه المرأة، ويكرّس هذا كلّه بفرض نفقة الزوج دائماً، ونفقة الوالد على الولد، والعكس في حالة احتياج أحدهما إلى الآخر.

١٠ ـ والنقطة الثانية: مشكلة الجنس:

إنّ الرغبة في كسب المزيد من الأرباح في المجتمعات الحديثة تدفع إلى نشاطات تجارية واسعة النطاق تعجّل بتطوير المجتمعات وتطوير الأسرة، وتعتمد النشاطات المتنوّعة المذكورة لكسب المزيد من الزبائن، تعتمد على عنصر الإثارة الجنسية، وتستعمل كافّة الوسائل العلمية لتحريكها وتنميتها. ولذلك نجد بوضوح في الأفلام والمسرحيات وكافّة وسائل الإعلام وفي كثير من النشرات، نجد التركيز على جانب الجنس. وفي مختلف أنواع التجارة أيضاً يستعمل الجنس لاجتذاب المشترين، أو للدعاية والإعلانات، والأزياء المعاصرة كذلك تعتمد على الجنس بصورة أساسية.

إنّ هذه الوسائل التي تلعب دوراً كبيراً في تطوير الحياة الأسرية بمختلف جوانبها، هي أيضاً تخلق هزّات عنيفة واضطرابات وأنواعاً من الفوضى في العلاقات الجنسية بين الزوجين، تلك العلاقات التي تشكّل عنصراً مهمّاً في الحياة العائلية وثباتها، وفي تكوين الوحدة المتكاملة خلالها، وإنّ هذه الاضطرابات تترك أثراً عنيفاً في كيان الأسرة وفي وهن دعائمها.

ومن ناحية أخرى، يؤثّر هذا المناخ الشامل في النضوج المبكّر للأولاد من هذه الناحية، ويجعلها تنمو بسرعة على حساب سائر الكفاءات. وهذا الوضع بدوره يؤثّر على العلاقات الوالدية والانسجام العائلي، كما يؤثّر أيضاً على عزوف الفتيان والفتيات عن الزواج، حيث إنّ الأعباء الثقيلة التي يتطلّبها الزواج من جانب، والاكتفاء الجنسي لوجود مناخ مناسب من جانب آخر، والاستهلاك للكثير من الطاقات الجنسية خلال العشرة العابرة من جهة ثالثة، كلّ هذا يحول دون رغبة الفتيان والفتيات في الزواج. ويزيد في تعقيدات الأحاسيس الجنسية والعلاقات المعتمدة عليها نموّ وسائل ارتباطها وكثرتها، وتعاظم اللقاءات ←

← وتوسعتها، واختلاطها، وتعميمها، والمنافسات الطبيعية التي تتكوّن خلالها.

١١ ـ وعلاج المشكلة في رأي الإسلام:

إنّ الإسلام وضع مخطّطاً شاملاً لمعالجة هذه المشكلة ولمواجهتها، وبإمكان هذا المخطّط أن يصون أيضاً الأسرة ضمن المجتمع المتطوّر مع إبقائها متفاعلة معه. والتخطيط هذا يعتمد الأصول الآتي ذكرها:

أوّلاً: التربية الإسلاميّة منذ الطفولة تعتمد على تنمية مشاعر الطفل الجمالية، وتوجيهها نحو الجمال الكوني المتجلّي في الموجودات، ونحو الجمال المعنوي البارز في الخدمات والترفّع، وهذه المحاولة ظاهرة في القرآن الكريم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا﴾ [سورة الكهف ١٨: ٧]، ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ﴾ [سورة الصافّات ٣٧: ٦]، وهذه التربية تساعد على بقاء الغريزة الجنسية بحجمها العادي.

ثانياً: منع المرأة من الإثارة بجميع أنواعها: نطقاً: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب ٣٣: ٣٢]، ومشياً: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [سورة النور ٢٤: ٣١]، وجسماً: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [سورة النور ٢٤: ٣١].

ثالثاً: الحدود الموضوعة في العلاقات بين الرجل والمرأة (الأجنبيان)، مثل: غضّ البصر، وعدم العشرة الحميمة، والمغازلة، والتلذّذ، والريبة.

رابعاً: صيانة الأسرة عن عبث الآخرين، واعتبار العبث هذا من أهمّ المعاصي، ففي الحديث: «ما بني في الإسلام بناء أحبّ عند الله من الزواج». والمفهوم المخالف لهذا الحديث حول موقف الهادم منه هو المطلوب هنا.

خامساً: الحضّ على الإسراع بالزواج، واعتباره إحرازاً لنصف الدين.

١٢ ـ وقواعد إسلاميّة لتطوير الأسرة:

وعلينا أن نذكر أحكاماً تخصّ الأسرة وتساعدها على بقائها سعيدة ضمن المجتمع المتطوّر:

ـ لا مانع إطلاقاً من عمل المرأة في الإسلام.

ـ لا يجب على المرأة التطوّع لخدمة البيت وتقديم الخدمات للطفل أو الزوج.

ـ إنّ المرأة لا تجبر على الزواج، فلها أن تختار الحياة العامّة، ولكنّها عندما تختار حياة الأسرة فعليها أن تتقن العمل، وتؤدّي الرسالة؛ لأنّها التزمت بها، وهنا يمكننا أن نضيف ←

والمقابلات والمذكّرات العلميّة المهمّة التي خلّفها الإمام موسىٰ الصدر وراءه، حيث يقوم (مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات) بتجميعها وتقديمها لعشّاق هذه الشخصيّة ومحبّي الحقيقة.

← شرطاً يجوّز للمرأة أن تعمل عند توفيره، وهو عدم تأثير العمل على مهمّات المرأة الأُسرية.
تأمين السكن المنفصل من واجبات الزوج، ويعدّ جزءاً من الإنفاق اللازم عليه، وتأثير السكن على وضع الأُسرة وتطويرها واضح.
ـ يجوز تحديد النسل برضا الزوجين، فإنّهما الوحيدان الصالحان لتحديد حجم العائلة.
ـ ويمكن تطوير صورة الزواج، ومواقع الطلاق، وأوضاع الحضانة، وتفاصيل الحياة الزوجية، يمكن تطوير هذه كلّها من خلال الشروط الواردة ضمن العقد. فبالإمكان لأحد الزوجين وضع تفاصيل عن السكن والنفقة والعلاقات المتنوّعة بينهما، ممّا يتناسب مع مصالح تطوّر الأُسرة ووضعها ضمن العقد.
وبإمكان المرأة أن تضع شرطاً ضمن العقد يحدّد صلاحيات الرجل في الطلاق، وذلك عن طريق ذكر شرط فرض نفقات أو دفع مبالغ عندما يبادر إلى الطلاق بغير سبب مبرّر، ومن الممكن اعتماد المحكمة أو لجنة التحكيم لتمييز السبب المبرّر. وبإمكانها أيضاً أن تطلب الوكالة في الطلاق للمحكمة، أو للجنة التحكيم، في حالات مختلفة. وبالإمكان تحديد إدارة شؤون الطفل بعد الطلاق عن طريق شروط ضمن العقد بدلاً عن الحضانة التقليدية. كما يمكن تنظيم الشؤون المالية المشتركة، وتصفية محتويات البيت عند الانفصال.
ولتنظيم كلّ هذه الشؤون يمكن للمؤسّسات المسؤولة أن تدرس أوضاع الأُسر، وكيفية تنظيمها في الظروف الاجتماعيّة المتنوّعة، وتضع نماذج لعقود الزواج، تقرّر عند إجراء الصيغة؛ لكي يتمكّن الزوجان من معرفة حقوقهما، والاستفادة من هذه الحقوق عن طريق ذكر الشروط ضمن العقد.
وهنا نصل إلى نتيجة مهمّة، وهي: أنّ الوضع القانوني للأُسرة في مختلف الظروف والأحوال يمكن تنظيمه من خلال الأحكام الفقهية الإسلاميّة، وذلك لكي لا تخرج الأُسرة ـ ضمن حركة التطوير في المجتمع ـ عن إطارها الصحيح، فتضيع الحقوق.
(سايت: www.balagh.com).

الفصل السابع :

مصير الأطهار



كانت لنشاطات الإمام موسىٰ الصدر لعقدين من الزمن في لبنان الأثر العجيب علىٰ أكثر التحوّلات في الشرق الأوسط.

كثرة أسفاره إلىٰ الدول الأفريقيّة والعربيّة والأوربيّة، ومشاركته في الكثير من المؤتمرات العلميّة والثقافيّة والدينيّة، صنعت منه شخصيّة ذات نفوذ عالمي.

ومساهماته المتعدّدة في طرح الأفكار الإسلاميّة اللائقة والمؤثّرة في قلوب الملايين من أبناء الدول الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، كانت لها الأثر الكبير في امتلاكه مقاماً خاصّاً..

كلّ هذا مكّنه من السعي لأجل تثبيت قواعد وأُسس أُمّة إسلاميّة واحدة مقتدرة ومتمكّنة علىٰ صنع قراراتها في العالم، ومن ثمّ تخليص المسلمين من سلطة الدول الاستكباريّة الطامعة بخيراتها.

هذا في الوقت الذي انطلقت فيه صيحات الحرّية التي نادىٰ بها الإمام الخميني من النجف الأشرف، ذلك الصوت الذي وصل إلىٰ مسامع العالم، فقال عنه الإمام الصدر في مقالة نشرتها له جريدة «اللوموند» الفرنسيّة بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٣م ـ أي: قبل أُسبوع من اختطافه ـ بأنّه امتداد لمسيرة الأنبياء، واصفاً الإمام الخميني بالقائد الكبير.

فأحسّ أعداء الإسلام بهذا الخطر، وتخوّفوا من اتّحاد العضد الصدري بالقبضة الخمينيّة، فتشكّل قوّة جبّارة تسحق مصالحهم في المنطقة، فحاولوا اغتيال الإمام موسىٰ الصدر أكثر من مرّة، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل،

وافتضح أمرهم. فقرّ قرارهم أخيراً علىٰ خطفه وتغييبه عن ساحة العمل السياسي، وذلك عن طريق أياديهم في المنطقة.

خطف في وضح النهار

وفي عام ١٩٧٨م وفيما كان الإمام موسىٰ الصدر ينزل في الجزائر خلال زيارته لبعض البلدان العربيّة والإسلاميّة؛ لتعبئة الرأي العامّ العربي والإسلامي؛ للضغط علىٰ إسرائيل ومن يقف وراءها من أجل الانسحاب من جنوب لبنان، التقىٰ بالرئيس الجزائري هواري بومدين[1] وحمد صلاح يحياوي، وهما من قادة الجبهة الشعبيّة، واقترحوا عليه زيارة ليبيا، فلم يمانع، خصوصاً وهو الذي يحمل أهدافاً وحدويّة لا تبرّر له الاستمرار بالخصومة مع دولة إسلاميّة.

بتاريخ ١٩٧٨/٨/٢٥م وصل الإمام موسىٰ الصدر إلىٰ ليبيا عبر الحدود الجزائريّة، يرافقه الشيخ محمّد يعقوب، والصحافي عبّاس بدر الدين، حيث حلّوا ضيوفاً رسميّين علىٰ الحكومة الليبيّة في فندق الشاطئ بطرابلس الغرب.

وشوهد الإمام موسىٰ الصدر ومرافقاه عصر يوم ١٩٧٨/٨/٣١م وهو يغادر فندق الشاطئ بطرابلس، ليستقلّوا السيّارات الرسميّة المرسلة لهم من قبل الحكومة الليبيّة؛ لنقلهم إلىٰ حيث كان مقرّراً اجتماعهم بالزعيم الليبي معمّر القذّافي، ومن تلك اللحظة لفّ مصيرهم الغموض.

---

(١) هواري بومدين: عسكري ورجل دولة جزائري. اسمه الأصلي محمّد بوخرّوبة. ولد عام ١٩٢٥م في غويلما، وتلقّى التعليم الديني في جامعتي الزيتونة والأزهر، وعمل مدرّساً في الجزائر ومصر، وألمّ بالأسلوب الحزبي السوفيتي والصيني، وتقلّب في عدّة مناصب، إلى أن أصبح رئيساً للجمهورية عام ١٩٦٥م. أُصيب بمرض عضال اضطرّه إلى التوقّف عن ممارسة مهامه السياسية، وتوفّي عام ١٩٧٨م. (موسوعة السياسة ٧: ١٦١ ـ ١٦٢).

ردود الفعل الغاضبة

بعد انتشار خبر اختطاف الإمام موسىٰ الصدر، عـمّت العـالم الإسـلامي موجة من القلق والاضطراب، وحتّىٰ تلك البلدان التي كانت لا تملك معرفة كبيرة عن هذه الشخصيّة، فقد أصابها الحزن الشديد.

وهاجت لبنان بكامل طوائفها، وجـابت شـوارع بـعلبك وصـور وصـيدا وبيروت وطرابلس تظاهرات أبـنائها الغـاضبين، وأُضـربت المـحالّ التـجاريّة والمؤسّسات والدوائر الحكوميّة وغير الحكوميّة عن العمل، ولم يسبق لهذا البلد أن مرّ بهكذا تضامن سياسي مع شخص يمثّل جميع طوائفها.. ففي مدينة صـور لوحدها خرج ما يزيد عن مئة ألف متظاهر، وعيونهم طـافحة بـدموع الغـضب والألم مطالبين الأفراج عن قائدهم وإمامهم المحبوب.

وكان الإمام الخميني في ذلك الوقت مقيماً في النجف الأشرف، فلمّا علم بالخبر المؤلم ذاك أرسل برقية إلىٰ ياسر عرفات، وهذا نصّها:

«حضرة رئيس اللجنة التنفيذيّة لمنظمة التحرير الفلسطينيّة السـيّد يـاسر عرفات:

إنّني قلق بسبب عدم توفّر أيّة معلومات لديّ حول سلامة حجّة الإسـلام السيّد موسىٰ الصدر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلىٰ في لبنان.

أطلب من سيادتكم إطلاعي علىٰ مكان وجوده وسلامته في أسرع وقت ممكن.

أتمنّىٰ النصر لكم لتحقيق أهداف الإسلام.

روح الله الموسوي الخميني»[١].

---

(١) نامهى إمام (صحيفة الإمام) ٣: ٤٥٨.

كما واستغلّ الإمام فرصة انعقاد مؤتمر الصمود في سوريا حول القضيّة الفلسطينيّة، فأرسل برقية أُخرىٰ إلىٰ رئيس المؤتمر السيّد حافظ الأسد(١)، وهذا نصّها:

«بسم الله الرحمٰن الرحيم

بعد التحيّة والسلام:

إنّني قلق ومتأثّر لغيبة سماحة حجّة الإسلام السيّد موسىٰ الصدر.

أطلب من سيادتكم طرح هذا الموضوع مع رؤساء الدول الذين يجتمعون لبحث قضيّة فلسطين، والتأكيد عليهم بالاهتمام به أهميّة فائقة.

نحن والشعب الإيراني مبتلون في هذا العصر في مواجهة نظام يتلقّىٰ الدعم من أمريكا، ويرتكب بحقّ الشعب المجازر الجماعيّة، ويحرقه بنار الديكتاتوريّة، ويسلبه كافّة أنواع الحريّة.

نأمل منكم ـ يا رؤساء الدول الإسلاميّة ـ مساعدتنا لإنقاذ الشعب الإيراني المظلوم.

يتعرّض إخوانكم المسلمون لإذلال جلاوزة الشاه وللأحكام العرفيّة التي تسود معظم المدن الإيرانيّة المهمّة.

روي عن النبيﷺ: «كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيّته»(٢). الجميع

---

(١) حافظ الأسد: ضابط ورجل دولة سوري. ولد عام ١٩٣١م في قرية القرداحة قرب اللاذقية، وأصبح عضواً قيادياً في التشكيلات العسكرية لحزب البعث العربي الاشتراكي منذ عام ١٩٦٠م، وقائداً للقوّات الجوية، ووزيراً للدفاع، فرئيساً للجمهورية منذ عام ١٩٧١م. عارض اتّفاقية كامب ديفيد، وشارك في تكوين جبهة الصمود والتحدّي. (موسوعة السياسة ٢: ١٥١ ـ ١٥٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم ٣: ١٤٥٩، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ٢٨٧ و٧: ٢٩١، شعب الإيمان للبيهقي ٦: ٢٤٩٧، كنز العمّال ٦: ٢٢.

مسؤولون، ومن جملتهم أنتم يا رؤساء الدول الإسلاميّة؛ لأنّكم تمتلكون القدرة للدفاع عن شعبنا المظلوم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

روح الله الموسوي الخميني»[١].

وانهمر سيل البرقيات من قبل مراجع التقليد في قم والنجف ومشهد، ومن قبل الجمعيّات والمحافل الطلّابيّة الإسلاميّة خارج البلاد، ومن قبل الشخصيّات الثقافيّة والدينيّة في كلّ دول العالم، انهمر هذا السيل نحو ليبيا والجزائر وسوريا.

وكان الإمام الخميني لا يدع فرصة إلّا واغتنمها لطرح هذه القضيّة ومتابعتها.

وبعد انتصار الثورة الاسلاميّة في إيران، قامت الحكومة الليبيّة بدعوة الإمام الخميني للسفر إلىٰ ليبيا، فرفض ذلك، وعلّق كلّ شيء بعودة الإمام موسىٰ الصدر[٢].

ومن نافلة القول أن نذكر أنّ الوجود المقتدر للإمام موسىٰ الصدر علىٰ الساحة السياسيّة والاجتماعيّة في لبنان والعالم الإسلامي بحدّ ذاته كان سبباً للوحدة بين المذاهب الإسلاميّة، وأيضاً بين الإسلام والمسيحيّة. وعلىٰ هذا الأساس فإنّ أُولئك الذين كان وجودهم دائماً مصدر فرقة وانفصال ونفاق قد سرقوه وغيّبوه عن أعين الناس؛ لإعادة الفرقة والاختلاف في لبنان، كما هو الحال في العالم الإسلامي.

---

(١) نامهاى إمام (صحيفة الإمام) ٢: ٤٧٩.

(٢) راجع كتاب «مسي به رنگ شفق» (نحاسي بلون الشفق): ٢٣٤.

حسن الختام

والآن، وقد مضت أكثر من ثمانية وعشرين سنة علىٰ تغييب هذا الوجود المبارك، لا زال المسلمون وحتّىٰ المسيحيّون واليهود من أصحاب الضمائر النقيّة في حالة الانتظار علىٰ أحرّ من الجمر، ولا زالوا يأملون أن يأتي ذلك اليوم الذي يرون فيه قامة ذلك الرجل الشجاع، ويسمعون صوت الوحدة والحكمة والحريّة، يعدّون لذلك الأيّام يوماً تلو الآخر.

ولكن الذي يهوّن المصيبة علىٰ هذه الأُمّة ويخفّف عنها مرارة هذا الفراق هو إحياء آمال وطموحات وأفكار هذا الرجل التاريخي العظيم، واليوم حيث نشاهد ذلك في بعض مجتمعاتنا الإسلاميّة، كما نلمسه في لبنان مجسداً بوجود حزب الله، حيث تغلي أهداف الصدر وتتفاعل كلّ يوم لتحقّق إنجازات العزّ والانتصار.

وخير ما نختتم فيه مؤلّفنا هذا بعض من كلام الإمام الخميني (رضوان الله تعالىٰ عليه) مع جمع من عائلة الإمام موسىٰ الصدر المحترمة، حيث يقول:

«إنّ ما يهدّئ الروع ويهوّن الخطب أنّنا وشعبنا والسيّد الصدر سلّمه الله تعالىٰ نواجه مشكلة من أجل رسالتنا، فعندما تكون المسألة مسألة تكليف، فتكليفنا أن نجاهد لخدمة الإسلام، وأثناء أدائنا لهذا التكليف ان وفّقنا في هذا الطريق فهو خير على خير، وإن لم نوفّق فإنّ أصل خيره باق، وهو أنّنا نعمل في طريق خدمة الإسلام والرسالة، وإنّ ذلك لن يضيع أبداً..

عندنا أدلّة تثبت أنّه في ليبيا. وهذا العناء في سبيل خدمة الإسلام وخدمة الرسالة سيكتب له به عبادة.

يجب أن نتحمّل هذه المصائب برحابة صدر؛ لأنّها من أجل الإسلام، ونحن ندرك أنّ أولياء الإسلام وفي طليعتهم رسول الله ﷺ واجهوا كلّ ذلك الأذىٰ،

وعانىٰ النبيّ ﷺ من التعب والأذى طيلة حياته، وهكذا الأئمّة من بعده، ولم يمرّ عليهم يوم واحد سعيد ـ في اصطلاحنا ـ لكنّهم كانوا جميعاً سعداء في اصطلاح العرفاء والعارفين بالإسلام.

علىٰ كلّ حال، كانت هذه ميزة أولياء الإسلام الأوائل الذين سجنوا وعذّبوا وقتلوا في سبيل أهدافهم.

مضت إلى الآن سنتان علىٰ سجن السيّد الصدر، ويروىٰ أنّ جدّه الإمام الكاظم عليه السلام سجن بشكل مكدّ سبع سنين، ويحتمل أن يكون قد سجن أربع عشرة سنة، كان هذا طريق جميع أولياء الله، ليس فقط أولئك الذين جاؤوا بعد عصر الإسلام أيضاً؛ إذ عندما تطالعون تاريخ الأنبياء عليهم السلام تشاهدون أنّ تاريخهم بأكمله كان حافلاً بالعذاب والصحاب والمتاعب، لكنّهم كانوا سعداء؛ لأنّهم يضحّون من أجل أهدافهم...»[1].

والسلام، علىٰ أمل انتصار موسويّ العصر علىٰ فراعنة الزمان.

---

(١) صحيفة نور (صحيفة النور) ١٣: ٤٩.



فهرس المصادر



فهرس المصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ أبجديّة الحوار .

اهتمام: حسين شرف الدين / نشر: مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات ـ بيروت.

٣ ـ أحاديث السحر: أحاديث السحر (مجموعة من محاضرات السيّد موسى الصدر) .

اهتمام وتحقيق: حسين شرف الدين / نشر: مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات ـ بيروت.

٤ ـ الأزهر في ألف عام .

تأليف: د. محمّد عبد المنعم الخفّاجي / نشر: عالم الكتب ـ بيروت ومكتبة الكلّيات الأزهرية ـ القاهرة / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٨ هـ.

٥ ـ أسرار الاختطاف .

إعداد: مركز الإمام الصدر ـ طهران / ١٣٨٠ هـ. ش .

٦ ـ إسلام وفرهنگ قرن بيستم (الإسلام وثقافة القرن العشرين) .

تأليف: السيّد موسى الصدر / ترجمة: علي حجّتي كرماني / نشر: إيران .

٧ ـ الأعلام للزركلي: الأعلام .

تأليف: أبي الغيث خير الدين الزِرِكْلي المتوفّىٰ سنة ١٣٩٦ هـ / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الثامنة ـ ١٩٨٩ م.

٨ ـ أعيان الشيعة .

تأليف: محسن بن عبد الكريم الأمين العاملي المتوفّىٰ سنة ١٣٧١ هـ / تحقيق: حسن محسن الأمين العاملي / نشر: دار التعارف ـ بيروت / ١٤٠٣ هـ.

٩ ـ الإكمال لابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنىٰ والألقاب .

تأليف: سعد الدين أبي نصر علي بن أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر العجلي الجرباذقاني البغدادي المعروف بابن ماكولا المتوفّىٰ سنة ٤٧٥ هـ / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

١٠ ـ **الإمام الصدر والحوار.**

إعداد وتحقيق: حسين شرف الدين / نشر: مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات ـ بيروت / ١٤١٨هـ.

١١ ـ **إمام موسىٰ صدر أُميد محرومان (الإمام موسى الصدر أمل المحرومين).**

تأليف: عبد الرحيم أباذري / نشر: إيران.

١٢ ـ **الإمام موسى الصدر (الرجل، الموقف، القضيّة).**

إعداد ونشر: منظّمة أمل ـ بيروت.

١٣ ـ **أمل الآمل.**

تأليف: محمّد بن الحسن بن علي الحرّ العاملي المتوفّىٰ سنة ١١٠٤ هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة الأندلس ـ بغداد.

١٤ ـ **إنجيل لوقا: الإنجيل.**

كتابة: لوقا / ترجمة ونشر: جمعية الكتاب المقدّس في الشرق الأدنىٰ ـ بيروت / ١٩٧٢م.

١٥ ـ **إيضاح المكنون: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.**

تأليف: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم البابانى البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٣٣٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٣هـ.

١٦ ـ **بهجة الآمال: بهجة الآمال في شرح زبدة المقال.**

تأليف: علي العلياري التبريزي المتوفّىٰ سنة ١٣٢٧ هـ / طبع: المطبعة العلمية ـ قم / ١٤٠٨هـ.

١٧ ـ **التاريخ الثقافي المعاصر (العدد الخاصّ بالإمام موسى الصدر).**

اهتمام: هادي خسروشاهي / نشر: إيران.

١٨ ـ **تأسيس الشيعة: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام.**

تأليف: حسن بن هادي بن محمّد علي بن صالح الصدر المتوفّىٰ سنة ١٣٥٤ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ طهران.

١٩ ـ **تكملة أمل الآمل.**

تأليف: أبي محمّد حسن بن هادي بن محمّد علي بن صالح الموسوي الصدر المتوفّىٰ سنة ١٣٥٤ هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٦هـ.

٢٠ ـ تنقيح المقال: تنقيح المقال في علم الرجال.
تأليف: عبد الله بن محمّد حسن المامقاني المتوفّىٰ سنة ١٣٥١ هـ / نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم.
٢١ ـ جامع الرواة: جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والإسناد.
تأليف: محمّد بن علي الأردبيلي الغروي الحائري من أعلام القرن الحادي عشر الهجري / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٣ هـ.
٢٢ ـ حلية الأولياء: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء.
تأليف: أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ٤٣٠ هـ / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأولىٰ ـ ١٤٠٩ هـ.
٢٣ ـ حوارات صحفيّة: حوارات صحفيّة للإمام موسى الصدر.
إعداد ونشر: مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات ـ بيروت.
٢٤ ـ خاطرات من أز أستاذ شهيد مطهّري (ذكرياتي مع الأستاذ الشهيد المطهّري) للدواني.
تأليف: علي الدواني المتوفّىٰ سنة ١٤٢٧ هـ / نشر: إيران.
٢٥ ـ دائرة المعارف للبستاني: دائرة المعارف.
تأليف: بطرس بن بولس بن عبدالله بن كرم البستاني المتوفّىٰ سنة ١٨٨٣ م / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.
٢٦ ـ الدرّ المنثور: الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور.
تأليف: جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر الكمال بن محمّد بن سابق الدين الخضيري السيوطي الشافعي المتوفّىٰ سنة ٩١١ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢٣ هـ.
٢٧ ـ دراسات للحياة: دراسات للحياة (مجموعة من مباحث وتفاسير الإمام موسى الصدر).
تحقيق: حسين شرف الدين / نشر: مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات ـ بيروت.
٢٨ ـ الذريعة: الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة.
تأليف: محسن أغا بزرك الطهراني المتوفّىٰ سنة ١٣٨٨ هـ / نشر: دار الأضواء ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٣ هـ.
٢٩ ـ ذكرى الإمام موسى الصدر.
إعداد ونشر: مركز الإمام موسى الصدر للأبحاث والدراسات ـ بيروت.

٣٠ـ روزنامه جمهوري إسلامي (صحيفة الجمهوريّة الإسلاميّة).
نشر: طهران.
٣١ـ روضات الجنّات: روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات.
تأليف: محمّد باقر بن زين العابدين بن أبي القاسم بن حسين الموسوي الخوانساري الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ١٣١٣ هـ / نشر: مكتبة إسماعيليان ـ قم.
٣٢ـ رياض العلماء: رياض العلماء وحياض الفضلاء.
تأليف: عبد الله أفندي الأصفهاني المتوفّىٰ سنة ١١٣٠ هـ / تحقيق: أحمد الحسيني / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤١٥ هـ.
٣٣ـ ريحانة الأدب: ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب.
تأليف: محمّد علي بن محمّد طاهر المدرّس التبريزي الخياباني المتوفّىٰ سنة ١٣٧٣ هـ / طبع: مطبعة الشركة العامّة لطبع الكتب ـ إيران / الطبعة الثانية ـ ١٣٣٥ هـ. ش.
٣٤ـ زندگاني (حياة) آية الله البروجردي.
تأليف: علي الدواني المتوفّىٰ سنة ١٤٢٧ هـ / نشر: إيران.
٣٥ـ سجين الصحراء: سجين الصحراء (القائد العاملي الإمام موسى الصدر).
تأليف: مصطفى حجا / نشر: بيروت.
٣٦ـ السنن الكبرىٰ للبيهقي: السنن الكبرىٰ.
تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٥٨ هـ / نشر: دار المعرفة ـ بيروت.
٣٧ـ سير أعلام النبلاء.
تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي المتوفّىٰ سنة ٧٤٨ هـ / تحقيق: مجموعة من الباحثين / إشراف: شعيب الأرناؤوط / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / الطبعة الحادية عشرة ـ ١٤١٧ هـ.
٣٨ـ شذرات الذهب: شذرات الذهب في أخبار من ذهب.
تأليف: أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمّد المعروف بابن العماد الحنبلي المتوفّىٰ سنة ١٠٨٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤١٤ هـ.
٣٩ـ شرف الدين عاملي چاووش وحدث (شرف الدين العاملي دليل الوحدة).
تأليف: مصطفىٰ قلي زاده / نشر: مركز چاپ ونشر سازمان تبليغات إسلامي (مركز الطباعة والنشر في منظّمة الإعلام الإسلامي) ـ قم / الطبعة الأولىٰ ـ ١٣٧٢ هـ. ش.

٤٠ ـ **شعب الإيمان للبيهقي: شعب الإيمان.**
تأليف: أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري المتوفّى سنة ٤٥٨ هـ / تحقيق: حمدي الدمرداش محمّد العدل / نشر: دار الفكر ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤هـ.
٤١ ـ **شعراء الغري: شعراء الغري، أو: النجفيات.**
تأليف: علي الخاقاني النجفي / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٨ هـ / أُفست عن المطبعة الحيدرية ـ النجف / ١٣٧٣ هـ.
٤٢ ـ **شهيد صدر بر بلنداي أنديشه وجهاد (الشهيد الصدر رأس القمّة والجهاد).**
تأليف: مصطفى قلي زادة / نشر: مركز چاپ ونشر سازمان تبليغات إسلامي (مركز الطباعة والنشر في منظّمة الإعلام الإسلامي) ـ قم / الطبعة الأُولى ـ ١٣٧٢ هـ. ش.
٤٣ ـ **صحيح مسلم: الصحيح.**
تأليف: أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري النيسابوري المتوفّى سنة ٢٦١ هـ / تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٩٧٢ م.
٤٤ ـ **صحيفة نور (صحيفة النور).**
نشر: إيران.
٤٥ ـ **صفوة الصفوة.**
تأليف: أبي الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمّد بن علي البكري البغدادي الحنبلي المعروف بابن الجوزي المتوفّى سنة ٥٩٧ هـ / تحقيق: محمود فاخوري ود. محمّد روّاس قلعجي / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٤٠٦ هـ.
٤٦ ـ **عزّت شيعة (هيبة الشيعة).**
تأليف: محسن كماليان وعلي أكبر رنجبر كرماني / نشر: دفتر تبليغات إسلامي (مكتب الإعلام الإسلامي) ـ قم / ١٣٧٧ هـ. ش.
٤٧ ـ **العقائد والأديان.**
إعداد: عبد القادر صالح / نشر: دار المعرفة ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤٢٤ هـ.
٤٨ ـ **الغدير: الغدير في الكتاب والسنّة والأدب.**
تأليف: عبد الحسين أحمد الأميني النجفي المتوفّى سنة ١٣٩٢ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الأُولى ـ ١٤١٤ هـ.

٤٩ ـ الفوائد الرضوية: الفوائد الرضوية في أحوال علماء مذهب الجعفرية .
تأليف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩ هـ / طبع: إيران.
٥٠ ـ الكنىٰ والألقاب .
تأليف: عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي المتوفّىٰ سنة ١٣٥٩ هـ / نشر: مكتبة الصدر ـ طهران / الطبعة الخامسة ـ ١٣٦٨ هـ . ش .
٥١ ـ كنز العمّال: كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال .
تأليف: علاء الدين علي المتّقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري المتوفّىٰ سنة ٩٧٥ هـ / ضبط وتفسير الغريب من الكتاب: بكري حيّاني / تصحيح وفهرسة: صفوة السقّا / نشر: مؤسّسة الرسالة ـ بيروت / ١٤٠٩ هـ.
٥٢ ـ لبنان به روايت إمام موسىٰ صدر ودكتر شمران (لبنان برواية الإمام موسى الصدر والدكتور جمران) .
إعداد: علي حجّتي كرماني / نشر: إيران .
٥٣ ـ لسان الميزان .
تأليف: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفّىٰ سنة ٨٥٢ هـ / نشر: مؤسّسة الأعلمي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٦ هـ.
٥٤ ـ لغت نامه .
تأليف: علي أكبر دهخدا المتوفّىٰ سنة ١٩٥٥ م / نشر: مؤسّسة انتشارات جامعة طهران ـ طهران / الطبعة الثانية ـ ١٣٧٧ هـ . ش.
٥٥ ـ لؤلؤة البحرين: لؤلؤة البحرين في الإجازات وتراجم رجال الحديث.
تأليف: يوسف بن أحمد البحراني المتوفّىٰ سنة ١١٨٦ هـ / تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم / نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الثانية.
٥٦ ـ مجلّة «الأنوار» اللبنانيّة .
نشر: بيروت / ١٩٧٠ م .
٥٧ ـ مجلّة «البعثة» الإسبوعيّة .
نشر: إيران .
٥٨ ـ مجلّة «ترجمان وحي» (مجلّة ترجمان الوحي) .
نشر: منظّمة الأوقاف والشؤون الخيريّة ـ قم .
٥٩ ـ مجلّة «سروش» (مجلّة الإلهام) .
نشر: إيران .

٦٠ ـ مجلّة «سيماي إسلام» (مجلّة سيماء الإسلام) السنويّة .
نشر: إيران .
٦١ ـ مجلّة «گفتار ماه» (مجلّة القول الشهري) .
نشر: إيرن .
٦٢ ـ مجلّة «المجاهد» .
إشراف: عبد العزيز سعيد المنياوي / نشر: بيت المقدس للثقافة والإعلام ـ دمشق وبيروت / ١٩٧٣ م .
٦٣ ـ مجلّة «المحرّر» البيروتيّة .
نشر: بيروت / ١٩٧١ م .
٦٤ ـ مجلّة «النهار» البيروتيّة .
نشر: بيروت .
٦٥ ـ مجلّة «نور علم» (مجلّة نور العلم) .
نشر: إيران .
٦٦ ـ مجمع الرجال .
تأليف: زكي الدين عناية الله بن علي القهبائي المتوفّىٰ بعد سنة ١٠١٦ هـ / تحقيق: ضياء الدين الأصفهاني / نشر: مؤسّسة إسماعيليان ـ قم.
٦٧ ـ مجمع الزوائد: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .
تأليف: نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفّىٰ سنة ٨٠٧ هـ / نشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت / الطبعة الثالثة ـ ١٤٠٢ هـ.
٦٨ ـ المدخل إلى دراسة الأديان: المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب.
تأليف: عبد الرزّاق محمّد أسود / نشر: الدار العربية للموسوعات ودار المسيرة ـ بيروت / الطبعة الأولى ـ ١٤٠١ هـ.
٦٩ ـ مستدركات أعيان الشيعة.
تأليف: حسن محسن الأمين العاملي المتوفّىٰ سنة ١٤٢٣ هـ / نشر: دار التعارف ـ بيروت / ١٤١٨ هـ.

٧٠ ـ مسند أحمد: المسند.
تأليف: أبي عبد الله أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفّىٰ سنة ٢٤١ هـ / نشر: دار صادر ـ بيروت.
٧١ ـ مسّي به رنگ شفق (نحاسي بلون الشفق) (خاطرات السيّد كاظم الموسوي البجنوردي).
إعداد واهتمام: علي أكبر رنجبر كرماني / نشر: ني ـ طهران / ١٣٨١ هـ. ش.
٧٢ ـ مشكاة المصابيح.
تأليف: أبي عبد الله محمّد بن عبد الله الخطيب التبريزي المتوفّىٰ سنة ٧٤١ هـ / تحقيق: سعيد محمّد اللحّام / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٢١ هـ.
٧٣ ـ مع علماء النجف الأشرف.
تأليف: محمّد الغروي / نشر: دار الثقلين ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٢٠ هـ.
٧٤ ـ معارف الرجال: معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء.
تأليف: محمّد بن علي بن عبد الله حرز الدين النجفي المتوفّىٰ سنة ١٣٦٥ هـ / نشر: مكتبة المرعشي النجفي العامّة ـ قم / ١٤٠٥ هـ.
٧٥ ـ معجم أسماء المستشرقين.
إعداد: د. يحيىٰ مراد / نشر: دار الكتب العلميّة ـ بيروت / الطبعة الأُولىٰ ـ ٢٠٠٤ م.
٧٦ ـ معجم رجال الفكر والأدب: معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام.
تأليف: د. محمّد هادي عبد الحسين الأميني النجفي / الطبعة الثانية ـ ١٤١٣ هـ.
٧٧ ـ معجم مؤلّفي الشيعة.
تأليف: علي القائيني النجفي / نشر: مطبعة وزارة الإرشاد ـ إيران / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤٠٥ هـ.
٧٨ ـ معجم المؤلّفين.
تأليف: عمر رضا كحّالة / نشر: دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
٧٩ ـ ملحق موسوعة السياسة.
تأليف: د. خليل أحمد خليل / نشر: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر ـ بيروت /

الطبعة الأولى ـ ٢٠٠٤ م.

٨٠ ـ المنجد في الأعلام.

تأليف: جماعة من الباحثين / نشر: المطبعة الكاثوليكيّة ـ بيروت / الطبعة الثانية عشرة.

٨١ ـ موسوعة الأديان الميسّرة.

تأليف: جماعة من الاختصاصيّين / نشر: دار النفائس ـ بيروت / الطبعة الثانية ـ ١٤٢٣ هـ.

٨٢ ـ موسوعة أعلام الفلسفة: موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب.

إعداد: روني إيلي ألفا / مراجعة د. جورج نخل / نشر: دار الكتب العلمية ـ بيروت / الطبعة الأولى ـ ١٤١٢ هـ.

٨٣ ـ موسوعة السياسة.

تأليف: د. عبد الوهاب الكيّالي وجماعة من المتخصّصين / نشر: المؤسّسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت / الطبعة الرابعة ـ ١٩٩٩ م.

٨٤ ـ موسوعة طبقات الفقهاء.

تأليف: اللجنة العلمية في مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام / نشر: مؤسّسة الإمام الصادق عليه السلام ـ قم / الطبعة الأولى ـ ١٤٢٤ هـ.

٨٥ ـ موسوعة المورد.

تأليف: منير البعلبكي / نشر: دار العلم للملايين ـ بيروت / الطبعة الأولى ـ ١٩٨٠ م.

٨٦ ـ الموسوعة الميسّرة في الأديان: الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة.

تأليف ونشر: أعضاء الندوة العالمية للشباب الإسلامي ـ الرياض / الطبعة الثانية ـ ١٤٠٩ هـ.

٨٧ ـ نامهي إمام (صحيفة الإمام).

نشر: إيران.

٨٨ ـ نامهي مفيد (رسالة المفيد).

نشر: إيران.

٨٩ ـ نجوم السماء: نجوم السماء في تراجم العلماء (مع التكملة).

تأليف: محمّد علي بن صادق علي بن محمّد مهدي الكهنوي الكشميري المتوفّىٰ سنة ١٣٠٩ هـ / تكملة: محمّد مهدي بن محمّد علي بن صادق علي الكهنوي الكشميري / نشر: مكتبة بصيرتي ـ قم.

٩٠ ـ نقد الرجال.

تأليف: مصطفى بن حسين الحسيني التفرشي من أعلام القرن الحادي عشر الهجري / تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث ـ قم / الطبعة الأُولىٰ ـ ١٤١٨ هـ.

٩١ ـ هدية العارفين.

تأليف: إسماعيل بن محمّد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي المتوفّىٰ سنة ١٣٣٩ هـ / نشر: دار الفكر ـ بيروت / ١٤٠٢ هـ.

٩٢ ـ الوحدة والتحرير: الوحدة والتحرير (باقة من محاضرات السيّد موسى الصدر).

إعداد ونشر: مركز الإمام الصدر للأبحاث والدراسات ـ بيروت.

٩٣ ـ ياران إمام، ويژه موسىٰ صدر، گزارش هاي ساواك (أنصار الإمام، خاصّ بالإمام موسى الصدر، تقارير السافاك).

نشر: إيران.

* * *

* قد تمّت الاستفادة كذلك من عدّة مواقع (سايتات) في الشبكة العالميّة للاتّصالات (الإنترنيت).

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الفصل الأوّل
السيرة الذاتية

الفصل الثاني
الإصلاح والمقاومة في لبنان

الفصل الثالث
الخصوصيّات الأخلاقيّة والمنهج الفكري

الفصل الرابع
الوحدة بين المذاهب والأديان

الفصل الخامس
موسى الصدر كما يراه الآخرون

الفصل السادس
كتابات الإمام موسى الصدر ومحاضراته

الفصل السابع
مصير الأطهار